منشورات الجامعة اللبنانية

قسم الدراسات التاريخية

١٥

تاريخ اليونان

من فيليبوس المقدوني إلى الفتح الروماني

للدكتور أسد رستم

١٨٩٧ - ١٩٦٥



بيروت ١٩٦٩

منشورات الجامعة اللبنانية

قسم الدراسات التاريخية

١٥

تاريخ اليونان

من فيليبوس المقدوني إلى الفتح الروماني

للدكتور أسد رستم
أحد أساتذة التاريخ في الجامعة اللبنانية
١٨٩٧ - ١٩٦٥





بيروت
١٩٦٩

وجدنا في مخلفات فقيدنا الكبير الدكتور اسد رستم هـذا المخطوط في « تاريخ اليونان » . خطّه بكامله بالقلم الرصاصي ، وبوّبه ، وعلّق حواشيه . فلم يكن علينا الاّ ان نخرجه كما هو في « منشورات الجامعة اللبنانية » مكرّرين الترحّم على المؤلّف البحّاثة الرصين ، الذي غذا هذه المنشورات في حياته وبعد مماته .

بيروت في ٢٩ كانون الثاني ١٩٦٩ ف. ا. ب.

الفصل الاول

فيليبوس المقدوني
٣٥٩ - ٣٣٦ ق.م.

تفكك اليونانيين القدماء : وكان ما كان من أمر التنافس بين اثينة وبين اسبارطة . فأفنتا قواهما في مناوأة احداهما الاخرى وعجزتا عن ضم حكومات اليونان الى حكومة واحدة كبرى وعن جعل الشعب اليوناني امة واحدة . وقام في البلاد زعيمة ثالثة وهي طيبة التي احرزت فوزاً مبيناً في البر ولكنها لم تستطع ان تقوم بالعمل الذي عجزت عنه اثينة واسبارطة . فلما تبوأ القائد ابيميناندوس منصب الزعامة في طيبة أقنعها بوجوب بناء اسطول قوي وحارب به اثينة وغلبها وفاز بزعامة اليونان اجمعين . ولكن هذه الزعامة بنيت على عبقرية رجل فذ لا على استعداد الشعب للتعاضد والتكاتف . فلما قضى ابيميناندوس في ساحة الوغى في منتينية ضد اسبارطة (٣٦٢) تهدم صرح طيبة فأمسى ركاماً مركوماً . فاليونان الذين بلغوا في تمدنهم ظلوا في الحضيض في سياستهم .

المقدونيون : وكان لا يزال في قلب البلقان في مناطق مدينتي ادسة وبيرية قبائل هندية اوروبية تمت الى اليونانيين القدماء بصلة وتتكلم لهجة قريبة من لغة هؤلاء . وكانت الطبيعة قد حرمت هذه القبائل الموارد اللازمة للرقي والمرافئ الضرورية للاتصال بالخارج فظل المقدونيون متأخرين في سلّم المدنية منقسمين على بعضهم متحاربين لاتفه الاسباب . ثم اخذت خشونتهم تحتجب تحت طلاء رقيق من الحضارة اليونانية . وعند بدء القرن الخامس كانت نظمهم السياسية والاجتماعية لا تزال تتشابه وما كانت عليه نظم اليونانيين في العصر الهوميري . فهنالك امراء اقطاع اقوياء وهنالك نظام عقاري وسط بين المشاع وبين الملكية الفردية . وهنالك حكم ملكي ولكن بدون قانون يحدد الخلافة . وهنالك قوة جسدية هائلة ورياضة بدنية على ظهور الخيل ولكن بدون اي انضباط او تدريب .

ولا نعلم الشيء الكثير عن ملوكهم قبل فيليبوس الثاني . ولكننا تعرف أمينتاس الاول

والاسكندر الاول وبرديكاس الثاني ونعلم انهم جاوروا الفرس ودخلوا في طاعتهم احياناً وتحرروا منها احياناً اخرى . ونعلم ايضاً ان ارخيلاوس تبوأ العرش قبيل نهاية القرن الخامس فأنشأ جيشاً وخطط طرقاً وسك نقوداً ونقل عاصمته من التلال الى السهول من أيغية (Aigai) الى بلّة (Pella) وانه أقام المباريات الرياضية والموسيقية برعايته ودعا عظماء الرجال من الخارج الى بلاطه كسقراط وغيره وانه صادق اثينة وتوغل في تسالية وضم لاريسة . ونعلم ايضاً انه اغتيل في السنة ٣٩٩ قبل الميلاد فدخلت بلاده في دور من الفوضى لم ينته قبل تدخل اسبارطة واجلاس امينتاس الثالث على العرش .

وتوفي أمينتاس في السنة ٣٦٩ وخلّف ثلاثة بنين اسكندر وبرديكاس وفيليبوس . فملك اسكندر سنتين . ومات تاركاً الملك لبرديكاس الذي كان وقتئذ قاصراً . فقام وصياً عليه بطلماوس اخوه النغل . فطمع بالملك واراد خلع برديكاس فلم يتسنّ ذلك له لان الطيبيين اعانوا برديكاس . ولكي يجعلوا خضوع مقدونية اخذوا منها رهائن ثلاثين شاباً بينهم فيليبوس اخو برديكاس وأصغر اولاد أمينتاس . ولم يكترث برديكاس لمصالح اثينة ورفض ان ينقد الأليريين الجزية فثارت الحرب بين الفريقين ومات بها برديكاس وخلّف طفلاً اسمه امينتاس الرابع . فعادت الفوضى . فأرسل الاثينيون اسطولاً ليحاربوا مقدونية ويستولوا عليها . وبلغ فيليبوس ذلك في غربته فنشط لاعانة وطنه وجاء لانقاذه .

فيليبوس الثاني : وكان فيليبوس لا يزال في العشرين من عمره يحب الرياضة القاسية والنساء والخمر . وكان نشيطاً طموحاً قديراً في الحرب وفي السياسة . وكان قد عاش في غربته في طيبة في منزل باميتيس (Pammenes) القائد الطيبي فعرف ابيميناندوس وبيلوبيداس فأعجب بمواهب الاول واخذ عنه احدث الآراء الحربية . وكان قد لزم المدارس فتلقى العلوم والآداب وجال في البلدان اليونانية فازداد علماً في السياسة والحرب وصادف مشاهير الرجال كافلاطون واسطوقراطس وارسطو فتفتحت امامه آفاق جديدة . وأعلن بادئ ذي بدءٍ انه جاء ليعين ابن اخيه ويكون له وصياً . وكان الشعب قد بات في ضيق من حرب الاليريين ورأى في فيليبوس شجاعة ومقدرة وحكمة فأقامه ملكاً في السنة ٣٥٩ وتنازل له ابن اخيه عن حقوقه في الملك .

فتوحاته الاولى واصلاحاته : وطمع في عرش مقدونية آنئذ خمسة آخرون . فأمات فيليبوس احدهم واكره اثنين على الفرار وقوّض امكانيات الرابع بالوعود والهدايا لمن حوله . وكان الخامس أرجيوس مرشح اثينة فثبّط فيليبوس الأثينيين عن مساعدته .

وتفصيل ذلك ان أرجيوس كان قد وعد الاثينيين بمدينة أمفيبوليس (Amphipolis) مقابل معونة عسكرية يقدمونها له لايصاله الى العرش فلما تولى فيليبوس سحب جنوده من أمفيبوليس وكتب الى الاثينيين يرجو تجديد الحلف الذي كان والده امينتاس قد عقد بينه وبينهم . ففترت همة الاثينيين ولم يقدموا لمرشحهم سوى السفن لمواكبته الى ميثونة وبعض المتطوعين . فتغلّب فيليبوس على أرجيوس وعقد صلحاً مع اثينة في السنة ٣٥٨ معترفاً بحقوقها في امفيبوليس .

وكان يحيط بمقدونية عدد من الاعداء أهمهم الاليريون في الغرب والبايونيون (Paeonian) في الشمال والتراقيون في الشرق . فغرّ فيليبوس البايونيين والتراقيين بالوعود وبالمال . ولما توفي ملك البايونيين أغار فيليبوس على بلادهم وضمها الى ملكه . فخشي الاليريون سوء العاقبة وهبوا لقتاله . فانتصر فيليبوس عليهم عند موناستر واضطر ملكهم برديلس (Bardylis) ان يتخلى له عن جميع ما وقع الى شرقي بحيرة أخريدة .

ويرى رجال الاختصاص اليوم ان هذه الانتصارات الاولية تدل على ان فيليبوس بدأ بتنظيم جيشه وتدريبه منذ ان تبوأ العرش . وكانت تعبئة الجيوش عند اليونان قبل عهده سهلة للغاية وكذلك كان التنظيم والتدريب والتكتيك . فالوحدة التكتيكية كانت كتيبة المشاة . وكانت تؤلف هذه صفاً كثيفاً من الجنود المدرعين المسلحين بالتروس والرماح . فاذا أمر المشاة بالهجوم مشوا صفوفاً متراصة في اتجاه العدو . وبقيت هذه قاعدة التكتيك حتى موقعة مرثون في السنة ٤٩٠ ق. م. ثم أدخل الاسبارطيون معنويات عالية وشجاعة فائقة وصبراً على المشقة وعند الشدة لا مثيل لها . وكان جهاز الجندي الاسبرطي ثقيلاً ولذلك ارفق برجل يحمل ترسه ثم بسبعة ارقاء وراءه اي ان الصف الواحد من الكتيبة كان يتألف عمقاً من ثمانية رجال . وكان على هؤلاء المتخلفين ان يجهزوا على الجرحى بدبابيسهم وان يعنوا بأسيادهم اذا اصيبوا . وكان الفن التكتيكي منحصراً في مقدرة المشاة الثقال على شق الطريق بواسطة الحراب الى ان تنضم اليهم قوات خفيفة . وكانت هذه القوات الخفيفة محتقرة وقد رفض المحاربون الاستعانة بها في حرب المورة (٤٣١ — ٤٠٤) . وفي مطلع القرن الرابع قبل الميلاد انشأ القائد الاثيني ابقراط فيلقاً من المشاة الخفاف ودرّبهم على المناورات السريعة . وكان واحدهم يستعين بالسيف والترس والمزراق . وبرهن ابقراط عن جدارة هؤلاء عندما اباد فيلقه هذا كتيبة كاملة من الاسبارطيين في السنة ٣٩٠ . واغفل اليونانيون قبل فيليبوس شأن الفرسان . ويرى رجال الاختصاص ان العامل الحاسم في الحروب بين الفرس وبين اليونان كان الذعر الذي دبه في صفوف هؤلاء ظهور الخيالة .

وبدأ فيليبوس فيما يظهر بانشاء جيش صغير دائم فخالف بذلك القول السائد انه لا يمكن اشعال الحرب الا في الصيف . ثم اعتمد تكتيكاً جديداً في استعمال الكتيبة فجعل من مشاته الثقال قوة مهمتها التشبث بالموقع وسلح فريقاً من هؤلاء بحراب طويلة بلغت في طولها ضعفي الحراب القديمة — ستة امتار وثلاثين سنتيمتراً — فأتاح بذلك طعن العدو من بعيد وزاد عدد الحراب المسددة فعزز طاقة كتيبته الجديدة على الصمود والانقضاض في آنٍ واحد . وكانت الكتيبة التقليدية تقوم على مبدأين : عمق يوطد الصمود وطول يتيح اللّف حول العدو . فقلل فيليبوس كثافة الصفوف ليتمكن افراد الكتيبة الثقيلة من الحركة وتخلّى عن المبدأ الثاني لانه لمس صعوبة الحفاظ على الصفوف في اثناء القتال فجعل ميمنة من الخيالة لجناح كتيبته الايمن فأضحى هذا الجناح جناح الهجوم . وألحق بجناح الكتيبة الايسر القسم الاكبر من خيالته المساعدة فاضحى هذا الجناح جناحه الدفاعي . وحشد بين الخيالة الثقيلة وميمنة الكتيبة قطعة مهمتها حماية ميسرة الخيالة عندما تتقدم وجعل قواته الخفيفة الى يمين الخيالة للغرض نفسه . وهكذا توافر لديه جيش متأهب للهجوم والدفاع . فالجناحان سريعا الحركة والقلب راسخ كالطود . واختار للخيالة السيف والرمح القصير . وسلّح المشاة الثقال بالتروس والدروع الثقيلة وبعضهم بالرماح الطويلة والبعض الآخر بالرماح القصيرة والخفاف بالقوس والنشاب . وكانت الخيول كثيرة في بلاده يمتطيها الاشراف ويحاربون بها بدون نظام . فنظم فيليبوس هؤلاء ودرّبهم حتى اصبحوا قادرين على العمل معاً كأنهم جسم واحد . ثم زاد عددهم زيادة فاق بها جميع جيوش عصره . وساوى فيليبوس بين الخيالة والمشاة فجعل النوعين « رفاقاً » له . فآثر عدد كبير من الشبان الفلاحين الجندية على الفلاحة ورعاية المواشي . واحبوا البقاء في الخدمة فأصبح الجيش المقدوني جيش مواطنين مؤمنين مندفعين لا جيش مرتزقة كاكثر جيوش اليونان في غالب الاحيان .

ويلوح لبعض رجال الاختصاص ان فيليبوس عني في الوقت نفسه باصلاح اداري كبير . فأنشأ القلاع في داخل بلاده وعند تخومها وشحنها بالجنود فأمّن بها الامن بين الرعايا . ثم جعل الحكومة مركزية في ادارتها وماليتها فضعفت بذلك شوكة رجال الاقطاع وازداد الوفر في المال .

وكان فيليبوس لا يزال يفكّر في الاستيلاء على أمفيبوليس لوقوعها في سهل خصب جداً وعلى ضفة نهر كبير يصلح للملاحة ولقربها من آجام جبل بانجيوس ومعادنه الذهبية . وأدرك اهلها مقاصد فيليبوس واطماعه واوجسوا خوفاً من استعداداته ففاوضوا اولنثية في

تحالف يدرأ هذا الخطر ثم اظهروا شيئاً من التصلف والفظاظة في موقفهم من المقدونيين . فاتخذ فيليبوس تصلفهم ذريعة للمجاهرة بالعدوان وهمّ بالهجوم عليهم في اوائل السنة ٣٥٧. وأدرك الاولنثيون والامفيبوليون عظم الخطر فارسلوا الى اثينة يسالون امداداً . فارسل فيليبوس الى اثينة يسترضي وجوهها ويستميلهم بأية وسيلة كانت . وغرّ الاعيان بالمال والوعود وأكد انه اذا استولى على أمفيبوليس يعيدها لا محالة ويرضى مقابل عمله بمرفأ بدنة (Pidna) وقام فيليبوس الى أمفيبوليس فصمدت في وجهه فاستمال بعض وجوهها فسقطت في النصف الثاني من السنة ٣٥٧ . ولم تتنازل اثينة عن بدنة فاحتفظ فيليبوس بأمفيبوليس . وانشغلت اثينة في حرب ضد حلفائها فقام فيليبوس واستولى على بدنة ايضاً .

وتوفي بريساذك ملك تراقية في السنة ٣٥٧ . واقتسم اولاده الثلاثة تراقية فاستولى اكبرهم كيتريبورس (Cetriporis) على منطقة الذهب . فقام فيليبوس من امفيبوليس وتقدم في داخل حدود تراقية واستولى على جبل بانجيوس (Pangaeus) وذهب توًا الى مناجم الذهب فطرد ابناء جزيرة ثاسوس الذين كانوا يستخرجون هذا المعدن كما استولى على مدينة كرينيذس (Crenides) عند سفح بانجيوس ونقل اليها عدداً كبيراً من المقدونيين وأطلق اسمه عليها فأصبحت تدعى مدينة فيليبي . وهيأ ما لزم لاستخراج الذهب . فاستخرج في كل سنة الف وزنة فتهيأ المال اللازم لبرنامج عسكري واسع . فالألف وزنة كانت تكفي جيشاً كاملاً مؤلفاً من خمسة وعشرين الف رجل سنة كاملة ! وتمكن فيليبوس من سك نقود ذهبية وفضية وطدت اقتصاديات مقدونية في الداخل وفي الخارج . واستعان فيليبوس باحراج المنطقة الجديدة فأنشأ اسطولاً كان في اشد الحاجة اليه لمناوأة أثينة بسلاحها .

وكانت مشاكل اثينة مع حلفائها لا تزال معقدة فلم تستطع ان تقابل القوة بالقوة . ولكنها ألّبت كيتريبورس التراقي وليبيوس البايوني وغرابوس الاليري ووحدت صفوفهم بعقد تحالف بينهم لمناوأة فيليبوس وذلك في صيف السنة ٣٥٦ . فأنفذ فيليبوس جيوشه لقتالهم وانزل برمينيون (Parmenion) احد قواده هزيمة منكرة بالاليريين قبل انتهاء هذا الصيف نفسه .

وكان فيليبوس قد حالف ملك ابيروس وتزوج من اخته اوليمبياس وكانت بديعة الحسن والجمال فرزق منها ولداً ذكراً في هذا الوقت وأسماه الكسندروس . وفي هذه السنة نفسها ٣٥٦ قبل الميلاد حازت خيول فيليبوس قصب السبق في ميادين اولمبية. فتعاقبت المسرات وازداد فيليبوس قوة ونشاطاً . وكتب فيليبوس لهذه المناسبات الى ارسطو

يقول : « لقد ولد لنا ابن فشكرنا الآلهة التي منحتنا اياه في ايامك . فلا ريب انك ستعتني به ليحاكي اباه ويكون اهلاً لان يملك على مقدونية » .

وانتهز فيليبوس فرصة انشغال اليونانيين بالحرب المقدسة في الفترة (٣٥٧ – ٣٥٣) للسيطرة على جميع الشاطئ الايجي من جبل اوليمبوس في الغرب حتى مصب النستوس (Nestus) مقابل جزيرة ثاسوس في الشرق وبلغت حدوده الشمالية الدانوب . وفي اثناء حصار ميثونة خسر احدى عينيه بجرح أصابه في وجهه . وفي صيف السنة ٣٥٣ قام فيليبوس الى تسالية ليحافظ على حقوق امراء لاريسة ضد خصمهم ليكوفرون الفرآي . فاستنجد هذا بحلفائه الفوكيين فأعانوه فخسر فيليبوس وعاد الى مقدونية «كالمنجنيق» كما قال هو « الذي يتراجع ليعود الى الدفع بقوة اكبر» ! وفي ربيع السنة ٣٥٢ عاد فيليبوس الى ميدان تسالية بثلاثة الاف فارس وخمسة وعشرين الف مقاتل من المشاة ليجابه عشرين الفاً من المشاة الفوكيين وخمس مئة فارس . وجعل من غزوته هذه حرباً مقدسة لتأديب الفوكيين الذين اغتصبوا اراضي ابولّون وعبثوا بقدسية هيكله . فانتصر فيليبوس انتصاراً باهراً وقتل عدداً كبيراً ثم أغرق من حاول النجاة بالبحر . ثم اتجه جنوباً فعلم ان الاثينيين صمدوا عند مضيق تيرموبيلي فعاد الى مقدونية . وحارب في نواحي خرسونيس (Chersoneses) في شبه جزيرة غاليبولي . فاضطرب الاثينيون لان حرية المضائق كانت مهمة جداً لاتجارهم في البحر الاسود . ثم اعترت فيليبوس اسقام ففرح الاثينيون واستبشروا ولاسيما حينما بلغهم خبر موته كما اشاع البعض فاستأنفوا القتال في الحرب المقدسة انتصاراً للفوكيين . اما فيليبوس فانه حالف كردية عند برزخ غاليبولي وبرينثوس على بحر مرمرا وبيزنطة على البوسفور وأكره ملك تراقية ان يرسل ابنه الى قصره رهينة .

ويختلف رجال البحث والتنقيب ايما اختلاف في ترتيب حوادث السنوات ٣٥١ الى ٣٤٩ ترتيباً تاريخياً وذلك لغموض المراجع الاولية وعدم اتفاقها . ولعلّ الاولنثيين بدأوا في السنة ٣٥١ يشكون في نوايا فيليبوس نحوهم فاتصلوا باثينة يطلبون معونتها وآووا ارهيداوس واخاه مناظري فيليبوس في عرش مقدونية . واكتفى فيليبوس فيما يظهر في هذه الآونة بانذار الاولنثيين الا يسوقوا انفسهم سوقاً الى الحرب والعنف وبانشاء حزب يؤيد مواقفه في داخل هذه الجمهورية الصغيرة . ونراه في هذا الوقت نفسه يقيم بعض الحصون في اليرية ويستولي على قسم من ابيروس ويغزو جزيرتي لمنوس وإمبروس ويستولي على قافلة اثينية تحمل الحبوب وينزل في سهل مراثون الشهير قوة صغيرة ثم تأسر سفنه بارجة اثينية في اثناء قيامها الى جزيرة ديلوس للاشتراك في بعض الحفلات الدينية .

وكان قد نشأ حزبان في اثينة حزب رأى في فيليبوس منقذاً للعالم اليوناني طراً ترأسه ابقراط الشيخ وحزب رأى في الملك المقدوني رجلاً قاسياً سفاحاً دائباً في استعباد مدن اليونان الحرة تزعمه ذيموستينس الخطيب . ولعل ذيموستينس القى فيليبيته الاولى اما في السنة ٣٥١ او في السنة ٣٤٩ . ومما جاء في هذه الفيليبية الاولى :

« ايها الاثينيون لقد سئمتم حالاً والاخطار أصبحت محدقة بكم من كل جانب . فاعلموا ان هذا ناشئ عن التواني والاهمال . فاصلحوا اعمالكم تفوزوا بما ترغبون . واذا نظرتم الى ضعفكم واقتدار فيليبوس عدوكم فلا تجزعوا بل ثابروا على الثبات لتسترجعوا املاككم التي حازها المقدونيون . ألستم انتم الذين فتحوا تلك البلاد حينما كانت مستقلة وكان اهلها يدافعون عن حريتهم ووطنهم بغيرة ونشاط . ولو لم يكن فيليبوس جسوراً لم يقدم على الحروب التي اثارها بشجاعة وحمية ولم يصل ومملكته الى هذه الدرجة العليا من العظمة . ولكنه علم العلم اليقين ان المدائن والحصون هي جائزة لمن نال قصب السبق في ميدان الفطنة والبسالة وان مال الخامل المتواني هو ملك النشيط النبيه . فهبّوا ايها الاثينيون من رقدة الاهمال واقتدوا بفيليبوس لتستعيدوا ما فقدتموه . والزمان دولاب . فلا تظنوا الملك إلهاً لا ينكب . ان هو الا انسان خاضع لظروف الدهر واحكام التغيير وله اعداء ومبغضون وحاسدون يتمنون سقوطه غير انهم لا يستطيعون المجاهرة بالعدوان خوفاً منه . فاعضدوهم اذا ليعينوكم عليه . فالى مَ هذا الخمول وحتى مَ تصبرون وأي امر يهم اناساً احراراً اكثر من الذود عن حريتهم وشرفهم . والى مَ تنفقون الساعات والاوقات بالاجتماعات العمومية لاستعلام الاخبار . واي خبر غير هذا ان مقدونيا قد استظهر واستولى على بلاد اليونان . فيليبوس لم يمت ولكنه مريض . غير انه اذا مرض او مات هل تصطلح احوالنا ان لم نشمر عن ساعد الجد والاقدام . من الواجب الان ان تجهزوا سفناً كافية وان تستعدوا انتم للكفاح . ولا تتكلوا على الجنود الغريبة المرتزقة لانها جيوش في دفاتر الحكومة لا في ساحات الضرب والطعان » .

وفي السنة ٣٤٩ زحف فيليبوس على بلاد اولينثية واستولى على مدنها ثم حاصر اولينثية نفسها . فأرسل اهلها يستعطفونه فأجابهم انه يلزم لرجوعه عنهم اما خروجهم من اولينثية او خروجه من مقدونية ! فعادوا الى مفاوضة اثينة يطلبون امداداً . فخطب ذيموستينس موجباً المعونة . فأرسلت اثينة قوة بحرية برية ولكنها لم تأتِ بفائدة . وفي صيف السنة ٣٤٨ سقطت اولينثية في يد فيليبوس . فأمر باعدام مناظريه فيها وباع سكانها في اسواق الرقيق ووزع اراضيها وعقاراتها بين اعوانه .

وهاج الاثينيون واخذوا في الاستعداد لقتال فيليبوس وفاوضوا غيرهم من دويلات اليونان بالتعاون والتعاضد . وعلم فيليبوس بذلك فشرع يتملقهم ويظهر لهم رغبته في السلام . ولم تسفر مفاوضات الاثينيين مع الدويلات عن شيء . فرضي الاثينيون بالمصالحة في اوائل السنة ٣٤٦ ، وقال ذيموستينس قوله « ان صلحاً رديئاً لاولى من حرب مشومة »

فأوفدت اثينة فيلوقراطس وأسخينس وذيموستينس نفسه . فوصلوا الى بلّة فرحب فيليبوس بقدومهم . فامتثل اسخينس بين يديه وأبان اعتداء فيليبوس في افتتاحه امفيبوليس وطلب ان ترد الى اثينة . وتكلم اخرون في قضية خرسونيس . وشخص فيليبوس واعوانــه الى ذيموستينس آملين انه سيلقي خطاباً انيقاً بليغاً ولكنه ذلّ وتلعثم ولم يستطع ان ينطق ببنت شفة . ولعل السبب في ذلك كان مزاجه العصبي وموقفه القديم المعادي لفيليبوس . ولما فرغ الرسل من عرض حاجتهم اجابهم فيليبوس بعبارات لطيفة ممتنعاً عن البحث في قضية امفيبوليس مؤكداً امياله السلمية واعداً بالتوقف عن اي عمل اجرائي في قضية خرسونيس طالباً التحالف . واتفق الطرفان على اقامة سلم دائم بين اثينة وحلفائها من الجهة الواحدة وبين فيليبوس وحلفائه من الجهة الاخرى على اساس المحافظة على الوضع الراهن آنئذ . وأقسم ممثلو اثينة يمين المحافظة على هذا السلم وعادوا الى اثينة . وبعد موافقة المجلس علىً هذه الشروط عاد وفد أثيني خصوصي الى مقدونية يتقبل قسم فيليبوس . ووصلوا الى بلة وانتظروا فيها عودة فيليبوس اليها . وكان فيليبوس قد قام بحملة في تراقية واحتل عدداً من حصونها وأسر ملكها . ولما عاد الى بلة أقسم يمين المحافظة على السلم بينه وبين اثينة . فقفل الوفد الاثيني راجعاً الى بلده .

فيليبوس والامفقطيون : وفي اثناء ذلك استصرخ الثيبيون فيليبوس وكانت قد زهقت انفسهم من الحرب المقدسة فبادر الى إعانتهم وعبر تيرموبولي واخضع الفوكيين في اثنين وعشرين يوماً وذلك في صيف السنة ٣٤٦ . وحرم الفوكيين حق ارسال ممثلين الى مجلس الامفقطيون ودك حصونهم وحرم كورنتوس حق رئاسة الالعاب البيثينية لانها اسعفت الفوكيين . وعند نهاية السنة ٣٤٦ أصبح فيليبوس سيد الموقف في كل بلاد اليونان الشمالية وفي جميع تراقية ما عدا الخرسونيس .

سلم اسمي بين فيليبوس واثينة : (٣٤٦ — ٣٤٣) وعني فيليبوس بعد ابرام الصلح مع اثينة بتحصين حدوده وتمرين شعبه . فنقل سكان الشواطئ التي استولى عليها عنوة الى داخل مقدونية ليؤسسوا قرى جديدة تكون مراكز تمرين لشعبه المتأخر . ودعا الى عاصمته اشهر الشعراء والفلاسفة . وأوكل إلى ارسطو امر تربية ابنه الاسكندر . وادخل في صفوف « الرفاق » عناصر يونانية لتهلّن جنوده . واضطر في السنة ٣٤٤ الى القيام بحملة تأديبية في نواحي اليرية حملته الى شاطئ الادرياتيك وأدت الى جرحه في فخذه جرحاً بليغاً .

وفي هذه السنة عينها ٣٤٤ اعاد تنظيم تسالية فجعلها تخضع لأرخون يحكمها مدى الحياة ويتصرف بمقدراتها المالية والعسكرية بدون مشورة اهلها . وفي هذه السنة ايضاً عادت اسبارطة الى التدخل في شؤون جاراتها في المورة فأرسل فيليبوس يحذرها ويهدد باستعداده للقيام بنفسه الى المورة . وحاول الاثينيون ابعاد اعداء اسبارطة عن فيليبوس فرفضوا ثم اقاموا له تمثالاً من البرونز في ميغالوبوليس واهدوا اليه تاجاً من الذهب باسم ارغوس.

وظلت اثينة مقسمة على نفسها وتابع ذيموستينس معارضته لفيليبوس محبذاً الدفاع عن الديموقراطية ضد الطغيان . وحاول فيليبوس اقناع المعارضة الاثينية بصدقه واخلاصه فأوفد في اوائل السنة ٣٤٣ بيزنطياً مفوهاً يدعى بيثون (Python) لينقل الى الاثينيين ولاءه واخلاصه . ولكن المعارضة طالبت بتعديل المعاهدة القائمة على اساس العودة في الممتلكات في تراقية الى ما كانت عليه قبل قيام فيليبوس وأوفدت هيغيسيبوس (Hegesippus) الى بلاط فيليبوس لهذه الغاية . وكان هيغيسيبوس فظاً وقحاً فتحرج الموقف وقلّت الثقة .

تراقية والخرسونيس : (٣٤٢ — ٣٣٩) وقضى فيليبوس معظم السنة ٣٤٢ في تراقية فقضى على ما كان قد تبقى من مظاهر الاستقلال فيها وأصبحت تراقية جزءاً من مقدونية . وانشأ فيها عدداً من الحصون اشهرها فيليبوبوليس (Philippopolis) وفي اثناء هذا كله ارسلت اثينة عدداً كبيراً من ابنائها الى كردية (Cardia) في الخرسونيس . فامتنع الكرديون عن اعطاء الاراضي لهؤلاء . فأيدت اثينة ابناءها بالقوة . فاستنجد الكرديون بفيليبوس فأنفذ اليهم حامية قوية . فتحرش الاثينيون بالمقدونيين . واضطر فيليبوس ان يكتب الى الاثينيين في اوائل السنة ٣٤١ محتجاً مهدداً . فاشتد الخلاف في اثينة بين ذيموستينس واتباعه وبين حزب اسخينوس . فأعد ذيموستينس فيليبيته الثالثة مبيناً مطامع فيليبوس مؤكداً عداءه لاثينة . وكان لكلامه وقع شديد في قلوب الاكثرية . فأرسلت اثينة المدد لابنائها في الخرسونيس وجددت صداقتها مع بيزنطية واستفزت بعض الوجوه في تراقية واوفدت الوفود الى اليرية محرضة . ثم حاول ذيموستينس واعوانه ان ينشئوا حلفاً هلينياً جامعاً شاملاً للصمود في وجه فيليبوس . فوافقت كورنتوس ومغارة وآخية في المورة وآثر الباقون المحافظة على حسن العلاقة مع فيليبوس . وأصغى الاكرنانيون الى دعاء الاثينيين وحذا حذوهم ابناء امبراقية ولفقة وقورقيرة . وفي مطلع السنة ٣٤٠ اوفد جميع هؤلاء وفوداً تمثلهم في مؤتمر عقد في اثينة للنظر في تفاصيل الحلف الهليني . وفي اذار هذه السنة نفسها قدم الاثينيون الى ذيموستينس اكليلاً اعترافاً بخدماته !

وتطورت الحوادث في تراقية فأدت الى الحرب بين فيليبوس واثينة . وكانت بيزنطة وبيرينثوس لا تزالان في عداد حلفاء فيليبوس فطلب المقدوني المعونة منهما فرفضتا . فأقلع اسطوله في صيف السنة ٣٤٠ الى بحر مرمرا . وأنفذ الاثينيون بوارجهم الى هذه المنطقة نفسها للمحافظة على سلامة نقل الحبوب من حوض البحر الاسود الى اثينة . وحاصر فيليبوس بيرينثوس ولكنه لم يقوَ عليها نظرًا لمناعة سورها البري وارتفاع صخورها عند البحر. ونظرًا للمعونة ايضاً التي قدمتها لها بيزنطة وفارس . فرفع فيليبوس الحصار وزحف توًا على بيزنطة ليفاجئها . فصادف هنالك مئتين وثلاثين سفينة اثينية تجارية محملة بضائع . فألقى القبض عليها كلها واستحوذ على كمية كبيرة من المال . فاحتج الاثينيون فأجاب فيليبوس برسالة عدها الاثينيون اعلاناً صريحاً للحرب . وكانت بيزنطة حصينة يكتنفها البحر من ثلاث جهات . وكان لها من جهة البر سور منيع وخندق عميق وابراج عالية عديدة . فلم يبال البيزنطيون بجيش فيليبوس . ودخلت البوسفور عمارة اثينية معقود لواؤها للقائد فوكيون صديق لاوون قائد الحامية . فتعاون الاثنان وصمدت بيزنطة . وفي اوائل ربيع السنة ٣٣٩ في ليلة مقمرة زحفت فرقة مقدونية لتتسوَّر الاسوار خلسة . فانتبهت الكلاب التي في الحصون . فاجتمعت الحراس وبعض العساكر ودحرت الاعداء بعد ان كادوا يفوزون . وكانت عمارة فوكيون قد سدت البوسفور في وجه بوارج فيليبوس فحصرتها في مياه البحر الاسود . فكتب فيليبوس الى قائد اسطوله كتابة يغش بها فوكيون فوقعت هذه الكتابة بيد القائد الاثيني فانخدع وسلم اسطول فيليبوس . فقام بجيشه الى مصب الدانوب في حملة تأديبية وعاد الى بلّة في ربيع السنة ٣٣٩ . والغريب المستغرب في اخبار هذين الحصارين ان فيليبوس استعان بالمهندس بولييذوس (Polyeidus) الثاني الشهير وان بولييذوس لجأ الى احدث الاستنباطات لدك الحصون فلم يفلح !

موقعة خرونية : (٣٣٨ ق. م.) وكان مجلس الامفقطيون يشتغل منذ خريف السنة ٣٤٠ في اصلاح هيكل ذلفي وفي جمع الهدايا والتماثيل من بلاد اليونان لارجاع ما سلبه الفوكيون في الحرب المقدسة الثانية . وأرسل الاثينيون هدايا فاخرة من جملتها مجانّ كتب عليها ما يأتي : « أخذت من الماديين والطيبيين حينما نهضوا لقتال اليونان » . ووضعت هذه الهدايا في الهيكل قبل الاوان المعين . فأغضب هذا الامر اعضاء المجلس ولاسيما الطيبيين لانهم رأوا فيه اهانة وعارًا . فقام اسخينوس ممثل اثينة وتظاهر بالغضب وألقى خطاباً دحض فيه حجج مناظريه وبرّأ قومه . فاعترضه لوكريّ من أمفيسة وتكلّم بحدة

وطعن على الاثينيين قائلاً انهم قوم طغام لا يعبأون بالدين ولا يبالون بفرائضه وان الدليل على ذلك انهم انتصروا للفوكيين وسعوا في اضرار خدام ابولّون واتلاف اراضي هيكله والاموال الموضوعة فيه الى ان قال : « من الواجب عليكم ايها الاعضاء الا تسمحوا بذكر الاثينيين في هذا المحفل الحافل » . فنهض اسخينوس فبرّأ الاثينيين من هذه التهم وطعن في الامفيسيين وأظهر اعمالهم الكفرية لاسيما زرعهم سهل سيرّة خلافاً لما حكم به الامفقطيون فهاج الاعضاء وامروا بحرق الزرع . فأثار هذا الامر فتنة ونشبت الحرب المقدسة الثالثة . ولعلّ الاثنين لم يتكلما الا لهذه الغاية ارضاءً لفيليبوس .

ولما كان كوتيفوس قائد جيوش الامفقطيون من انصار الملك المقدوني فانه لم يباشر الحرب بهمة ونشاط بل تقهقر عمداً ليعظم الخطر ويمهد السبيل لتدخل فيليبوس (٣٣٩). فتم له ذلك ودعي فيليبوس الى اعانة المجلس . وسعى الاثينيون لاحباط اعمال فيليبوس . فانفذوا بوارجهم لتمنعه من الاجتياز الى ارض امفيسة ساحة القتال . فادعى انه راجع الى تراقية وارسل رسائل الى مقدونية يخبر بلاطه بما نوى . وقبض الاثينيون على السفينة الحاملة هذه الرسائل فقرأوها وانكفوا راجعين . وحينما انصرفت سفن الاثينيين ركب فيليبوس البحر ودخل ارض ذلفي وارسل يدعو الدويلات اليونانية لنصرة الامفقطيون . فلم يجبه الى ما طلب سوى اهل طيبة . فانهم بعثوا اليه بكتيبة . اما الاثينيون فانهم استأجروا عشرة الاف جندي وارسلوهم لمحاربة فيليبوس . وكانت الحرب وبالاً على هؤلاء فدخل فيليبوس امفيسة ظافراً . وانتشر خبر هذا النصر فبعث الاثينيون الى فيليبوس ان يكف عن القتال وجال خطباؤهم في المدن والاقاليم يحثون اليونانيين على النهوض يداً واحدة لمحاربته . فحالفهم المغاريون والكورنثيون وغيرهم . وحار الطيبيون في أمرهم . وأسرع فيليبوس فافتتح ألاتية بين سلسلتي جبال تمتد من فوكس الى بيوتية . وكان مركز هذه المدينة مهماً جداً من الناحية الستراتيجية لان من استولى عليه تمكن من الدخول الى اراضي طيبة واثينة .

وبلغ الاثينيين خبر استيلاء فيليبوس على ألاتية بعد المساء . وكان كل قد اوى منزله . فلم تكن الا برهة حتى غصت الساحات . ونادى المنادي باذن لمن يريد الكلام ان يبدي رأياً مفيداً . فلم يلب احد من القواد والحكام والرؤساء . فنهض ذيموستينس يقول انه صوت الوطن يستصرخ ابناءه ويحثهم على الاتحاد لنصرة الحرية ضد الاستبداد والطغيان ويؤكد ان المقدونيين ارسلوا رسلاً الى طيبة ليبذروا الشقاق . وذهب الى طيبة فاجتذب قلوب ابنائها ووافقوا على خوض الحرب الى جانب اثينة .

والتقى الفريقان في سهل خرونية (Chaeronea) في الثاني من آب او الاول من ايلول سنة ٣٣٨ قبل الميلاد خمسة وثلاثين الفاً ضد خمسة وثلاثين ايضاً. وتولى فيليبوس قيادة ميمنة جيشه ليصدم الاثينيين بقيادة ستراتوكليس وغيره. وتولى ابنه الاسكندر وكان لا يزال في الثامنة عشرة قيادة الميسرة ليقاتل الطيبيين وفرقهم «المقدسة» بقيادة ثياجينس. وبقيت الحرب سجالاً في الميسرة الى ان هجم الاسكندر بنفسه فولى الطيبيون الادبار بعد ان قتل جميع انفار الفرقة المقدسة. وتراجع فيليبوس بادئ ذي بدء يستدرج الاثينيين الى مكان مناسب ثم انقضّ عليهم فشتت شملهم وقتل منهم الفاً وأسر الفين.

وعامل فيليبوس الاثينيين بالرفق فسمح لهم بحرق موتاهم واطلق اسراءهم بدون فدية وترك لهم املاكهم الخارجية فسروا بمحالفته. اما الطيبيون فانه عاملهم بقساوة وشدة فأكرههم على الخضوع التام لسلطته. وأصبح هو ناظر الالعاب المقدسة وامين هيكل ابولّون في ذلفي ورئيس مجلس الامفقطيون والقائد الاعلى لجميع الجيوش اليونانية.

وفي السنة ٣٣٧ عقد فيليبوس مؤتمرًا في كورنثوس دعا اليه جميع الدويلات اليونانية. فلبّت جميعها ما عدا اسبارطة. وأقرّ هذا المؤتمر اقامة حلف هليني يشمل جميع اليونانيين تحت زعامة فيليبوس كما أقر استقلال كل دولة من دول الاعضاء وضمن سلامة حدودها. ثم حدد المعونة الحربية المتوجبة على كل دولة. وجعل من مجلس الامفقطيون محكمة عليا. ثم تكلم فيليبوس عن ظلم ولاة الفرس وقساوتهم على رعاياهم اليونان في اسية الصغرى. وأعلن رغبته في محاربة هذه الدولة. فوافقت الدول الاعضاء وجهزت جيشاً كبيرًا لم يجهزه اليونان من قبل.

وفاة فيليبوس : واحتفل فيليبوس قبل قيامه لقتال الفرس بزفاف ابنته كليوبترة الى ملك ابيروس خال الاسكندر. فاقام الافراح اياماً عديدة. وبينما كان ذاهباً مرة الى الملعب لقيه رجل مقدوني اسمه بوزنياس ضربه بمدية فأرداه قتيلاً وذلك في تموز السنة ٣٣٦. وقيل آنئذ ان زوجته اولمبياس ارسلت بوزنياس لان فيليبوس كان قد هجرها واتخذ لها الضرائر. اما الاسكندر فانه اتهم الفرس بقتل ابيه وجعل هذا الامر احد الاسباب التي دعته الى محاربتهم.

الفصل الثاني

الإسكندر وفتوحاته

٣٣٦ - ٣٢٣ ق.م.

حداثته : هو الاسكندر الثالث ابن فيليبوس الثاني المقدوني من زوجته اولمبياس . ولد في بلّة سنة ٣٥٦ قبل الميلاد . وعلى الرغم من ان والديه ادعيا التحدر من اصل يوناني فانهما حملا ايضاً دماً اليرياً اي البانياً . وكان اشقر اللون حليق الوجه منحني الرأس قليلاً نحو اليسار مائل العينين الى فوق . وقد نشأ كريما وفياً سهل الاقناع . ولكنه كان قوي الشكيمة لا يكره اكراهاً . ورث عن والدته مزاجاً عاطفياً قوياً وعن والده عقلاً نيرًا ومقدرة عملية فائقة وموهبة عسكرية نادرة .

وقد يكون ليسماخوس اليوناني اول من عني بتهذيب الاسكندر ولكن الثابت ان ارسطو الفيلسوف تولى امره في الثالثة عشرة من عمره فدرسه الاخلاق والسياسة ومبادئ الفلسفة وخصه برسالتين احداهما في فن الحكم والثانية في الاستعمار . وأوقد ارسطو في نفس تلميذه حب التحري العلمي والعناية بالطب . ومن هنا اهتمام الاسكندر في اثناء فتوحاته بالابحاث العلمية واحاطة نفسه بالفلاسفة الذين رافقوه .

وفي السادسة عشرة من عمره تولى الحكم في مقدونية في اثناء غياب ابيه فأخمد فتنة في تراقية . وفي الثامنة عشرة قاد ميسرة الجيش في خرونية . وفي التاسعة عشرة فرّ مع والدته اولمبياس الى اليريه احتجاجاً على سلوك والده . فان فيليبوس تزوج من كليوبترة نسيبة اتلوس احد قواده . فغضبت اولمبياس . فأشاع اتلّوس وذووه ان الاسكندر ابن زنى . وفي احدى المآدب تمنى اتلّوس ان يرزق فيليبوس وريثاً شرعياً . فثار ثائر الاسكندر ورمى هذا القائد بكأس كانت بيده واخذ والدته وذهب بها الى اليرية احتجاجاً . فنفى فيليبوس اصدقاء الاسكندر . ثم تدخل ذيماراتوس الكورنثي فأصلح وعاد الاسكندر ووالدته الى البلاط[1] .

---

(1) TARN, W. W., *Alexander*, *Cam. Anc. Hist.*, VI, 352-354.

ثم كان ما كان من امر اغتيال فيليبوس فاتهمت اولمبياس بذلك . ورأى البلاط ان يداً فارسية دفعت الجاني الى ارتكاب الجرم . وقال آخرون انها موآمرة لايصال اسكندر ابن آيوبوس الى العرش . واضطرب الجوّ فتدخل الجيش في امر الولاية ونادى القائدان انتيباتر وبرمينيون بالاسكندر بن فيليبوس ملكاً . فحكم الاسكندر على المتآمرين بالموت وعلى اتلّوس بالخيانة فالموت . وقتلت اولمبياس كليوبترة وطفلها .

توطيد السلطة : وكانت القبائل الكلتية الاوروبية قد دفعت القبائل التريبالية عبر الدانوب الى شمالي بلغارية . فعاثت هذه القبائل فساداً . فنهض الاسكندر في ربيع السنة ٣٣٥ لقتالها فهزمها ثم اضطر ان يعبر الدانوب للقضاء على من ساند التريباليين . ففعل وخرّب وأحرق . فخضعت هذه القبائل جميعها . وراسل الكلتيون الاسكندر من اعالي الدانوب مؤكدين صداقتهم وولاءهم .

وفي اثناء هذه الاغارة أُرجف في بلاد اليونان بموت الاسكندر فشغب اهالي طيبة وقرر الاثينيون مساعدتهم وتقبل ذيموستينس ثلاث مئة وزنة من داريوس ملك الفرس لتجهيز الطيبيين بالاسلحة والعتاد . فخشي الاسكندر تحالفاً بين اثينة وطيبة وايتولية واسبارطة . فأسرع الى محاربة طيبة ووصل اليها بجيشه في اربعة عشر يوماً فحاصرها واستولى عليها عنوة وهدمها بعد ان قتل عدداً عديداً من اهلها وباع الباقين عبيداً . ولم يبقَ من بيوتها سوى بيت الشاعر بنذاروس ولم ينجُ من الاسر والقتل سوى اهل بيته . ورعب الاثينيون رعباً فأوفدوا يهنئون الاسكندر بعودته سالماً . فطلب الى الوفد تسليم عشرة من عظماء اثينة في طليعتهم ذيموستينس . فتشفّع فوكيون في هؤلاء . فعفّ الاسكندر ولكنه أصرّ على نفي خريذيموس . ولم يبال ذيموستينس بما جرى بل قال لقومه « ان ملك مقدونية يريد قتل الراعي لتبديد الخراف » . ولما رأى اليونانيون ما حلّ بطيبة من شديد البلاء سارعوا جميعاً الى الطاعة والانقياد . فعاد الاسكندر الى بلّة في خريف السنة ٣٣٥ يعد العدة للحرب الفارسية .

اسباب الحرب الفارسية : وكان الاسكندر قد استظهر كثيراً من اناشيد هوميروس. فكان لاعمال الابطال القدماء تأثير عظيم في اعماق نفسه وكان يفاخر بانه متحدر من هرقيل . وقال اليونانيون بانهم تسلسلوا من جد واحد هو هلّين . وشعروا بانهم يختلفون عن سائر الاجناس الاخرى . ودعوا جميع من لم يجرِ في عروقهم الدم اليوناني برابرة . ولم ينسَ اليونان طغيان الفرس وحروبهم في بلادهم . ووافق كل منهم على المطالبة بالدم

والاخذ بالثأر . وعلّم ايسوقراطس (Isocrates) وغيره منذ بداية القرن الرابع بوجوب توحيد الصفوف للاخذ بالثأر ولاستعمار آسية وأكدوا ان تفوق اليونانيين في الحضارة يبرر استيلاءهم على آسية . وقال ايسوقراطس ان المهم في اليوناني حضارته لا جنسه[١] . وعلّم ارسطو الاسكندر نفسه بحقانية هذه الاقوال وبرر استرقاق البرابرة[٢] . وجاهر الاسكندر بهذا كله فجعله السبب الرئيسي لحربه في آسية وذلك في بيانه المشهور الذي ارسله الى داريوس الثالث من مراثوس كما سيجيء بنا .

وقضت الضرورة بالتوسع في الشرق لا في الغرب . فقرطاجة كانت اذ ذاك تسيطر على البحر في الغرب وتستأثر بأفضل الاسواق . والايطاليون كانوا قد بدأوا يستيقظون من سبات العصور فيقاومون كل تدخل في شؤونهم . وكانت بلاد اليونان قد بدأت تطفح بالسكان وبالمهندسين والاطباء ورجال الفن والتجار والمرتزقة فتفيض بهم على الشرق[٣] .

وقد تكون الدوافع التي حدت بفيليبوس ان يغزو آسية محدودة الأفق . فقد يكون القصد من انفاذ برمينيون بعشرة الاف في السنة ٣٣٦ مجرد اخضاع المدن اليونانية في آسية لتدعيم سيطرة فيليبوس على اليونان والبلقان[٤] . ولكن يجب الا يغيب عن البال ان الاسكندر قام بالفتح لا فيليبوس وانه كان اوسع افقاً واسمى مطلباً من والده وانه كان يرى نفسه متحدراً من هرقيل وان المراجع الاولية تتغنى بمحياه الملكي العالي وبنظره اللامع الثاقب وبغضبه المخيف المرعب وبنَفَسه العاطر[٥]. ولذا فانه لا يستبعد ابداً ان يكون قد أخلص كل الاخلاص عندما اعلن نفسه مطالباً بثأر اليونان .

الجيش والاسطول : واضطر الاسكندر ان يبقي أنتيباتر (Antipater) قائده الامين على رأس اثني عشر الف ماشٍ والف وخمس مئة فارس في مقدونية . فلم يبقَ لديه للزحف على آسية الصغرى سوى ثلاثين الف ماش وخمسة الاف فارس . ولم يكن هؤلاء جميعهم متساوين في المقدرة والقوة . فالاشراف من المقدونيين جاءوا الفاً وخمس مئة فارس بخوذهم ودروعهم وسيوفهم ورماحهم الطويلة (sarissa) . وجاء المقدونيين الاقل شرفاً

(1) Isocrates, IV, 50.
(2) Tarn, W. W., *op. cit.*, 357-358.
(3) Jouguet, P., *Macedonian Imperialism*, 4.
(4) Koehler, U., *Sitzungsberichte der kgl. preussischen Akademie der Wissenschaften*, 510; Meyer, E., *Alexander der Grosse*, 293; Kaerst, *Hist. Zeit.*, 14.
(5) Plutarque, *Alexandre*, 4.

تسعة الاف ماشٍ بخوذهم وتروسهم الصغيرة وساقياتهم الجلدية وسيوفهم ورماحهم . واختلف طول رماح هؤلاء باختلاف مراكزهم في الصفوف . فجاءت رماح المتأخرين منهم بطول ستة امتار . وجاء بعد هؤلاء جميعهم ثلاثة الاف ماش مقدوني خفيف يعملون في وحدات صغيرة مسلحين بالتروس الصغيرة والسيوف القصيرة .

وبعد هؤلاء المقدونيين جاء تسع مئة فارس تراقي وبايوني بسراويلهم العريضة ودروعهم وخوذهم وحرابهم . وجاء مع هؤلاء من قبائل البلقان ستة الاف ماشٍ مسلحين بالاقواس والحراب . وقد اشتهر هؤلاء بشجاعتهم وشدة بأسهم . وقدمت تساليةً حوالي الف وخمس مئة فارس مدرب مجرب كما ارسلت المدن اليونانية اعضاء اتحاد كورنثوس ست مئة فارس وسبعة الاف ماش . ولم تكن ثقة الاسكندر بهؤلاء كبيرة فانه وكّل اليهم المحافظة على بعض النقاط المحتلة وتأمين النقل .

وتميز جيش الاسكندر وتفوق بوحداته الفنية . وكان على رأس هذه الوحدات المهندس الكبير ذياذس (Diades) يعاونه عدد كبير من رجال الاختصاص . فأثار هؤلاء اعجاب جميع المعاصرين بابراجهم النقالة واكباشهم الثقيلة ومحذفاتهم الخفيفة لرمي الحراب ومجانيقهم ذوات العجلات لرشق الحجارة . وكان بين هذه الوحدات وحدة تراقيـــة لبث الالغام اشتهرت بحذقها . واستفاد سلاح المخابرات من تنظيمات البريد الفارسي فاستعان بالانوار لنقل المعلومات كما استخدم السعاة لنقل الاخبار بالطرق القديمة . وكان لدى الجيش مكتب طوبوغرافي يعنى بالطرقات وينتقي الاماكن الصالحة للمعسكرات . وقامت مصلحة خاصة للعناية بالصحة مؤلفة من عدد كبير من الاطباء والمعاونين . وتبوأ مدير مصالح الجيش مرتبة عالية جداً من مراتب الدولة .

وكان فيليبوس قد خلّف رهطاً من الرجال الذين اشتهروا بالدراية وحسن الادارة والاخلاص للعائلة المالكة بينهم عدد من القادة الذين خبروا الحرب وبرعوا فيها فألفوا اركان حرب الاسكندر . وأشهر هؤلاء برمينيون (Parmenion) يمين الاسكندر ورئيس اركانه وابناه فيلوتاس (Philotas) قائد الخيالة ونيكانور (Nicanor) قائد المشاة . وكان الاسكندر بطبيعة الحال الكل وفي الكل . فقد يكون على رأس الخيالة وقد ينتقل الى قيادة المشاة وهلمّ جرًا . وكان يحيط به عدد من كبار المقدونيين يبحثون معه كبريات المشاكل ويتولون قيادة الوحدات عند الحاجة (somatophylakes) . وكان بين هؤلاء هربلوس (Harpalos) وسلوقس (Seleucos) الملك فيما بعد وليسيماخوس (Lysimacos)

وبطليموس (Ptolemaos) الملك فيما بعد[1].

ورافق هذا الجيش عدد من الفلاسفة والعلماء بينهم كليشينس (Callisthenes) الفيلسوف المؤرخ نسيب ارسطو وانكسرخوس (Anaxarchus) وتلميذه بيرون (Pyrrhon) والمؤرخان ارستوبولس (Aristobulus) واونيسيكريتوس (Onesicritus) . وأفيد هؤلاء للتأريخ بطليموس بن لاغوس.

مواطن الضعف : وشكا الاسكندر من صغر اسطوله وقلة موارده . فانه لم يرَ من الحكمة ان يسخر جميع بوارج المدن اليونانية وذلك لسببين هامين اولهما انه لم يرد ان يثير تذمر اليونانيين والثاني انه رغب في الاحتفاظ بالصبغة المقدونية للحملة . والواقع انه لو شاء لقدمت له اثينة وحدها اربع مئة بارجة . وهكذا فاننا نرى اسطوله صغيراً نسبياً لا يتجاوز عدد بوارجه المئة والثمانين . ولكنه على صغره كان متقن الصنع يحتوي على وحدات من ذوات الصفوف الخمسة والصفوف الاربعة . وكان هذا الاسطول عند بدء الزحف راسياً في مياه امفيبوليس[2] .

ويرى المؤرخون الثقات انه لم يكن في خزينة الاسكندر عند بدء الزحف على آسية الصغرى سوى ستين وزنة وانه كان يتوجب عليه دفع دين بلغ الفاً وثلاث مئة وزنة وان معدل نفقات الجيش في الشهر الواحد كان مئتي وزنة ومعدل نفقات الاسطول في المدة نفسها كان مئة وزنة[3] .

أحوال فارس : وكان لدى خصمه داريوس الثالث ملك الفرس كميات كبيرة من الذهب مخزنة في برسيبوليس وشوشن واقبطنة وبابل . وكان بامكانه فيما لو خسر جميع ولاياته الغربية ان يجبي من اجزاء امبراطوريته الشرقية وحدها خمسة الاف وزنة في السنة . وكان اسطول داريوس مؤلفاً من اربع مئة بارجة نصفها فينيقي والنصف الآخر قبرصي . وكان جيشه كبيراً مئة الف في آسية الصغرى واربعين الفاً في ارمينية وقيليقية وسورية ومصر وعدداً لا يحصى في الولايات الشرقية . ولكنه كان غير منظم وغير مدرب . ولم يكن سلاحه كاملاً ولم تكن قيادته يقظة واعية . وكانت ولايات داريوس قد اصبحت ممالك صغيرة متحدة في الظاهر متفككة في الواقع . وهي مجموعة من الشعوب المتباينة

---

(1) Bauer, A., *Die Kriegsaltertumer*; Jouguet, P., *op. cit.*, 9-13; Glotz, G., *Alexandre et le démembrement de son Empire*, 51-55.

(2) Berve, H., *Das Alexanderreich auf prosopogr. Grundlage*, I, 158 ff.

(3) Tarn, W. W., *op. cit.*, 360; Glotz, G., *op. cit.*, 56.

في الدين واللغة والجنس . وكان النفوذ اليوناني قد تزايد في جميع الولايات الفارسية الغربية في العلم وفي الحرب معاً[1] .

الاستيلاء على آسية الصغرى : واجتاز الاسكندر الدردنيل (Hellespontes) في ربيع السنة ٣٣٤ من سيستوس الى ابيذوس (Sistos-Abydos) . فذهب الى طروادة وقدم الذبائح لزفس واثينة وهرقيل الاكبر الذي تحدر منه وزار هيكل اثينة إليونة فقدم سلاحه للتكريس واستعاض عنه بسلاح آخر كان قد ترك في الهيكل للغاية نفسها . فضرب فوق نفسه بعمله هذا قبة من بطولة حرب طروادة القديمة ليرى جميع اليونانيين ان الشاب المقدوني يجدد توحيد قوات اليونان ضد آسية . فأحاط نفسه بهالة من بطولة .

وكان ملك آسية العظيم قد استأجر عشرين الفاً من مشاة اليونان المرتزقة وأضاف اليهم عشرين الفاً من الفرسان الآسيويين . فتجمعت هذه القوة في فريجية الساحلية بقيادة ممنون الرودسي قائد المرتزقة . ورأى ممنون ان يجتنب الفرس المعامع العظيمة وان يتلفوا الغلال ويستدرجوا المقدونيين الى الداخل وان يعمل الاسطول في الجزر وبين المدن اليونانية لفصل الاسكندر عن قواعده فأبى زملاؤه استكباراً ولم يرضَ احدهم أريستس (Aristes) ان تتلف المقاطعة التي كان هو مسؤولاً عنها . فعزم الجميع على الصمود عند نهر غرانيكوس (Granicos) بين زلة والدردنيل . وهو يدعى اليوم كوجه شاي . وفي اواخر نيسان او اوائل ايار من السنة ٣٣٤ وصل الاسكندر الى هذا النهر الى نقطة تقابل النقطة التي اختارها الفرس للصمود فيها . فارتأى برمينيون ان لا يصار الى محاربة الفرس فوراً بل ان يؤجل الهجوم عليهم الى اليوم التالي لعلهم يضجرون فيتبرمون ثم ينسحبون . وأكد انهم لن يجرأوا على المبادرة بالهجوم وعبور النهر . وانتظر ممنون وسائر قادة الفرس ان يهجم الاسكندر على ميسرتهم حسب عادته المتبعة . ولكن الاسكندر انفذ خيالته وبعض مشاته الى ميمنة العدو . وقام هو على رأس نخبة من « الرفاق » بحركة التفاف واسعة فعبر النهر وانقض على عدوه عند التقاء ميسرته بقلب جيشه . وكان لشجاعته وشدة بأسه وسرعة انقضاضه اثر بليغ في نفوس اعدائه ففصل ميسرة عدوه عن قلبه وميمنته وبدد شمل الخيالة ففروا مذعورين . ثم هجم بخيالته ومشاته على المشاة اليونانيين المرتزقة فذبح معظمهم وأسر الفين وارسلهم الى مقدونية يعملون مسخرين . وبعث الى هيكل البارثينون في اثينة بثلاث مئة درع من دروع الفرس هدية تحفظ فيه وأمر بنقش العبارة التالية

---

(1) Berve, H., *op. cit.*, I, 161 ff.

على كل منها : « الاسكندر والهلينيون ما عدا اسبارطة » . وخسر الاسكندر في هذه الموقعة خمسة وثمانين فارساً وثلاثين راجلاً فأمر بصنع تماثيل نحاسية لهم وبوضعها في مدينة ديليوم (Dellium) تذكاراً لبسالتهم وتنشيطاً لاخوانهم في السلاح ليرى هؤلاء انهم اذا حيوا فازوا بالاسلاب والغنائم واذا قضوا في ساحة الوغى حسبوا في عداد الابطال المشهورين . وأمر ايضاً ان آباء هؤلاء المتوفين واولادهم يعافون من الضرائب[1] .

ونهض الاسكندر الى ساردس (Sardis) اكبر مدن آسية الصغرى وعاصمة ليدية (Lydia) فاستسلم له مثدينوس محافظ قلعتها . وكان ممنون قائد المرتزقة الذين حاربوا في صفوف الفرس قد التجأ الى افسس ليتعاون مع امينتاس بن انطيوخوس الذي فرّ عند وفاة فيليبوس ابي الاسكندر فقام الاسكندر اليها . فانقسم اهلها ديموقراطيين يؤيدون الاسكندر واوليغارخيين يؤيدون الفرس . فانتصر الديموقراطيون على اخصامهم واستسلموا للاسكندر . وكان الافسسيون يبنون آنئذٍ هيكل ديانا الذي حرقه رجل احمق فسرّ الاسكندر من مشروعهم وسمح لهم بانفاق الدراهم التي كانوا يقدمونها للفرس جزية لاتمام بناء الهيكل واتقانه .

وفرّ اعداء الاسكندر من افسس الى ميليتوس فتأثرهم الاسكندر بجيشه واسطوله وحاصر ميليتوس في البر والبحر واستولى عليها عنوة في تموز السنة ٣٣٤ . وتحصن ممنون القائد في هليكارناسوس وانضم اليه امينتاس المشار اليه وافيالتوس الاثيني . فقام الاسكندر الى هليكارناسوس واخذ في قتال حاميتيها العليا والسفلى فاستولى على الثانية وأبقى لحصار الاولى ثلاثة الاف مقاتل بقيادة بطليموس . ثم تابع زحفه في السواحل وارسل برمينيو الى ليدية ثم فريجية وبعث كلياندر الى المورة ليأتيه بجنود جديدة . واذن لعساكره الذين تزوجوا قبل رحيلهم بالرجوع الى الاوطان ليصرفوا فصل الشتاء مع نسائهم ويعودوا في الربيع[2] .

وارسلت اليه اسبندس قاعدة بامفيلية رسلاً يعرضون رغبة في التسليم ولكنها اشرطت الا يبقي فيها جيش احتلال . فرضي الاسكندر وطلب خمسين وزنة والخيول التي اعدوها جزية لداريوس . فأبوا فزحف وحاصر وأكره اسبندس على دفع ما طلب وتأدية جزية سنوية لحكومة مقدونية . ثم سار الى فريجية الكبرى حيث كان ينتظره برميمنيو والجنود الجدد . ووصل الى غورديوم فقطع بسيفه العقدة التي كان يزعم الاقدمون ان من يحلها

(1) Keil, Josef, *Der Kampf um den Graniko-subergang* etc., *Mitteilungen des Vereins Klass. Philol.*, Wien, 1924, nº 62.

(2) Arrien, *Anabasis*, I, 24.

يملك آسية[1] . وما زال الاسكندر جائلاً في قلب آسية الصغرى منتصراً حتى وصل الى قبدوقية .

وفي اثناء هذا كله كان خصمه ممنون الرودسي قد تسلم قيادة الاسطول الفارسي الكبير فاحتل خيّوس ثم قام الى لسيوس فاستولى عليها وحاصر ميتيلينة . وفرح اخصام الاسكندر في مدن اليونان وظنوا ان الساعة اقتربت وتوقعوا نزول ممنون في يوبية . ولكن ممنون توفي امام ميتيلينة في ربيع السنة ٣٣٣ فخابت آمالهم وخسر داريوس بوفاته قائداً مجرباً . وتابع خلفه العمل في بحر ايجه وتمكن من الاستيلاء على ميتيلينة ولكنه لم يأت بالفائدة المطلوبة ولم يتمكن من ايثارة اليونان[2] .

وترامى للاسكندر وهو في قلب آسية الصغرى ان داريوس ليس بعيداً . فقام بجيشه الى قيليقية ماراً بمضيق كولك . وعلم والي قيليقية بذلك فأرسل قوة تحرس هذا المضيق . وبلغ الاسكندر ذلك فنهض ليلاً بفرقة من جنوده ودهم الفرس في المضيق فولوا مدبرين[3] . وكان الوالي قد عوّل على نهب طرسوس قبل مغادرتها ولكن الاسكندر جاءها كالبرق الخاطف . واعترى الاسكندر في طرسوس مرض شديد . وظن اطباؤه ما عدا فيليبوس الاكارناني ان موته قريب . فعمل له فيليبوس شراباً ودفعه إليه فأعطى الاسكندر الطبيب كتاباً ارسله اليه برمينيون يحذره فيه من هذا الطبيب ثم تجرع العلاج وشفي[4] ! وشاع في المدن اليونانية وفي اوساط المعارضة انه فقد كل شيء وان خيالة الفرس ستسحقه سحقاً .

واضطر الاسكندر في اثناء مرضه ان يتخذ خطة دفاعية فأنفذ برمينيون بالخيالة الخفيفة الى مداخل قيليقية التي تفصلها عن خليج الاسكندرونة لحمايتها وقام هو بتأديب رجال التلال التي تحف بسهول قيليقية من الشمال وفرض عليهم الجزية . ثم كتب اليه برمينيون يفيد ان داريوس زاحف على رأس قوة جبارة .

وكان داريوس قد جيش جيشاً كبيراً في شتاء السنة ٣٣٤ ــ ٣٣٣ وتولى قيادته بنفسه . وواكبه في ذلك رجال بلاطه . وكانت امرأته وسراريه يصحبنه في هذه الحملة كأنهن ساعيات الى ولائم وافراح . ورأى بادئ ذي بدء ان يصمد للاسكندر في ممر بيلان ثم رأى ان ينتظره في سهل صوخس (Sochas) الى غربي حلب حيث تتمكن خيالته من القيام بالمناورة بسهولة . وطالت اقامة داريوس في صوخس وقرب فصل الخريف

(1) Deonna, W., *Nœud Gordien*, *Rev. Etudes Greca.*, 1918, 39 ff., 141 ff.
(2) Diodorus, XVII, 29, 4.
(3) Arrien, *Anab.*, II, 4, 7.
(4) Berve, H., *op. cit.*, II, 388.

وضجر الجند من الانتظار . فارسل خزينته وامتعته الثقيلة الى دمشق وقام على رأس جيشه الى قيليقية عبر الامانوس .

وكان الاسكندر قد خفَّ لقتال داريوس . فقام من طرسوس الى ملّوس (Mallos) عند شاطئ البحر ثم إسوس (Issus) عند قلب خليج الاسكندرونة ثم ميريانذروس (Myriandrus) الاسكندرونة فيما بعد . وهكذا فانه في الوقت الذي كان داريوس يتجه فيه شمالاً لمواقعة خصمه كان الاسكندر يتجه جنوباً للغاية نفسها .

ووصل داريوس الى إسوس واستولى عليها وقتل الجرحى والمرضى المقدونيين والرجال الباقين فيها لحمايتها وعسكر في سهلها عند نهر البيناروس استعداداً لملاحقة الاسكندر بعد الاستراحة . ولم يصدق الاسكندر بادئ ذي بدء ان داريوس يزج بنفسه وبجيشه الكبير في منطقة ضيقة مثل هذه التي اقام فيها بين تلال وبحر ونهر . ولكن طلائعه اكدت هذا الخبر ففرح واستبشر ونهض بعساكره ليلاً وما زال سائراً حتى لقي اعداءه عند صباح الثاني عشر من تشرين الثاني سنة ٣٣٣[1] .

موقعة إسوس : وليس لنا ان نصدق ما جاء في الكتب القديمة من ان جيش داريوس كان يربو على الست مئة الف مقاتل . ولو كان جيشه بهذا القدر من العدد لما تمكن من الفرار عبر الامانوس في ليلة واحدة . ويرى رجال الاختصاص ان الجيش الفارسي كان اكبر عدداً من جيش الاسكندر ولكن ليس بكثير[2] . وانشأ داريوس الحواجز عند ضفة النهر الفاصل بينه وبين الاسكندر وجعل المشاة اليونانيين المرتزقة الاثني عشر الفاً في القلب واتخذ هو مقره وراءهم وجعل مشاته النظاميين « الكراديس » الى ميمنة المرتزقة اليونانيين وميسرتهم . وجمع خيالته في الميمنة وجعل منهم اداة للهجوم . ولما كان يتوقع هجوماً من ميمنة الاسكندر اضاف الى كراديسه في الميسرة قوة كبيرة من الرماة . ثم انفذ الى التلال عند اقصى الميسرة قوة من المشاة الخفاف يُرهق بهم جوانب ميمنة الاسكندر .

ولم يكن لدى الاسكندر اكثر من عشرين الى اربعة وعشرين الف ماشٍ وخمسة الاف فارس . وما ان اصبح على مقربة من سهام العدو حتى انفذ الاغريانيين الى قتال المشاة الفرس في التلال المجاورة لميمنته . فقام هؤلاء بمهمتهم خير قيام وبددوا شمل الفرس

(1) Arrien, II, 6-12; Diod., XVII, 33 ff.; Polyb., XII, 17, 22; Jouguet, P., *Mac. Imp.*, 21-23.

(2) Tarn, W. W., *Alexander*, *Cam. Anc. Hist.*, VI, 367.

في التلال . ثم شنّ هو هجوماً خاطفاً بخيالة الميمنة على قلب جيش داريوس فذابت الكراديس والرماة فأدبر داريوس بعربته وفرّ فراراً . ولكن اليونانيين المرتزقة صمدوا في وجه الاسكندر وانزلوا بمشاته الثقال خسارة كبيرة . وقام نيرزانس قائد الخيالة الفرس بهجوم عنيف على ميسرة الاسكندر واكره خيالة برمينيون على التراجع . ولكنه عندما سمع بفرار سيده تراجع عن القتال فانهزم . فتراجع المرتزقة بانتظام . اما سائر الجنود الفرس فانهم رعبوا وصاحوا بالويل فقتل منهم الاسكندر عدداً كبيراً . ثم ادلى الليل ستاره فلم يتمكن الاسكندر من ادراك عدوه . وعبر المرتزقة جبال الأمانوس بقيادة امينتاس وما فتئوا حتى وصلوا طرابلس فأقلعوا منهـا الى مصر . وحاول امينتاس ان يستولي على مصر ولكنه قتل في المعركة فتفرق جيشه وعاد رجاله الى المورة ليحاربوا فيما بعد في صفوف اسبارطة .

واستولى الاسكندر على معسكر الفرس وعلى سرادق الملك . ووجد فيها قوسه وجواهر وامتعة ثمينة . وجلس الى مائدة داريوس يتناول طعامه وقال قوله الشهير « هكذا يكون الملك ملكاً » . ثم سمع ام داريوس وزوجته وابنتيه وجواريه يندبن رجلهن وسوء حظهن . فأرسل اليهن حالاً ليوناتوس ليؤكد لهن ان داريوس ما زال حياً ويطيب خاطرهن . وفي الغد زارهن مع صديقه افسيتيون . وحين أبصرتهما سيريغامبيس ام داريوس أسرعت نحوهما وخرّت ساجدة عند قدمي افسيتيون ظانة انه هو الظافر على جيوش ابنها . وحينما اشعرت بخطإها نكصت على عقبيها خجلاً وارادت الاعتذار . فقال لها الاسكندر لقد اصبت ايتها السيدة ان افسيتيون هو نظير الاسكندر . ولم يسمح الاسكندر لنفسه ان ينظر الى زوجة داريوس ولكنه تزوج من احدى الابنتين فيما بعد[1] .

صور ودمشق : ورغب الاسكندر بعد هذا في افتتاح المدن الفينيقية ليقطع الاسطول الفارسي عن قواعده ويمنعه عن اثارة الفتن في اليونان ومساعدة اسبارطة . فاعاد تأسيس ميريانذروس واسماها الاسكندرية (الاسكندرونة) ثم تقدم نحو ماراثوس (Marathus) عين الحية عمريت بالقرب من طرسوس فاستقبله فيها استراتوس بن جيروستراتوس ملك ارواد وما وازاها من البر وقدم له تاجاً من ذهب مسلماً ارواد ومارثوس وما تبعهما . امـا جيروستراتوس ملك ارواد وأنيلوس ملك جبيل وغيرهما من ملوك فينيقية وقبرص فانهم كانوا

(1) Keil, J., *op. cit.*; Dieulafoy, M., *La Bataille d'Issus*, *Mém. Acad. Inscrip. Belles Lettres*, 1914, 41-76; Glotz, G., *Alexandre* etc., 72-73.

آنئذٍ في بوارجهم برفقة فارنابازوس واوتوبرادانس قائدي عمارة فارس البحرية في بحر ايجه . وتسلّم الاسكندر وهو في ماراثوس رسالة من داريوس يطلب اليه فيها ان يطلق سراح اسرته ويعرض عليه تحالفاً وصداقة . فأجاب الاسكندر مذكراً باعمال زركسيس وهجومه على اليونان مبيناً اعتداءات داريوس نفسه وتدخله في امور اليونان ضده موجباً الثأر بذلك معلناً حقه بملك آسية[1] .

وكان برمينيون قد اتجه شطر دمشق . فلما تبطن البلاد لاقاه رسول من دمشق يحمل تحريراً الى الاسكندر . ففضه برمينيون واذا به يدعو الاسكندر لتسلم خزائن داريوس . فأمر برمينيون بالرسول الى دمشق مع خفر . فلما ساروا به فرّ . وسار برمينيون بجيشه حتى بلغ دمشق ففتحت له ابوابها . فقبض على الفين وخمس مئة وزنة وأسر نساءً فارسيات واولاداً كانوا ينتسبون الى عظماء فارس . وكان داريوس قد ارسل الى دمشق رسلاً وفدوا عليه من اسبارطة واثينة وطيبة . فلما سلمت المدينة بخيانة واليها أصبح هؤلاء الرسل المفاوضون في قبضة برمينيون . فسلمهم هذا الى الاسكندر فعاملهم بالصفح لانهم كانوا قد جاءوا الى فارس قبل تجديد ميثاق كورنتوس ولكنه ابقى رسول اسبارطة تحت الحفظ ولم يطلق سراحه الا بعد موقعة غوغملة[2] .

وقام الاسكندر من ماراثوس الى جبيل فخرج اليه رجالها وسلموه المدينة . ثم « دعاه » سكان صيدا الذين لم ينسوا تحوّل المدن الفينيقية الاخرى عنهم في اثناء محنتهم في السنة ٣٤٤ فدخلها منصوراً شاكراً واعاد اليها ممتلكاتها ودستورها الخاص . وكان ملكها ستراتو في العمارة الفارسية فأقام الاسكندر على حكومتها احد انسباء هذا الملك . واختلفت المراجع الاولية في اسم الملك الجديد فجاء في بعضها انه ابدالونيموس وجاء في البعض الآخر انه بالونيموس[3] . وقام من افراد هذه الاسرة فيما بعد من تغنى بانتصارات الاسكندر فزيّن ناووسه بمشاهد من تاريخ هذا البطل فأورثنا قطعة فنية رائعة ومرجعاً تاريخياً مفيداً . والاشارة هنا الى « ناووس الاسكندر » الذي وجد في ضواحي صيدا في عهد الاتراك العثمانيين فنقل الى القسطنطينية وحفظ في متحفها .

وكان ازميلكوس ملك صور لا يزال في العمارة الفارسية ايضاً . فاجتمع اهل هذه المدينة وتشاوروا . فأرسلوا وفداً الى الاسكندر الى صيدا وقدموا الطاعة والخضوع . وكانوا يظنون فيما يظهر ان الاسكندر يكتفي بهذه الظاهرة ويمر الى مصر . ولكن الاسكندر

(1) Radet, G., *Notes critiques*, IV, 25 ff.; *Mélanges René Dussaud*, I, 235 ff.
(2) Arrien, *Anab.*, II, 13-15.
(3) Eislen, *Sidon*, 60 ff.

رفض هذا التسليم الناقص وطلب الى الصوريين ان يسمحوا له بالدخول الى بلدتهم ليقدم عن نفسه كفارة الى هرقيل الإله الذي تحدر هو منه كما سبق ان أشرنا . وكان اليونانيون يعتقدون ان ملكارت إله صور هو هرقيل نفسه . فامتنع الصوريون عن اجابة هذا الطلب واشاروا ان في صور القديمة هيكلاً لملكارت وانه بامكان الاسكندر ان يقدم ذبيحته هناك . ويرى العلامة الاستاذ جوغه ان دخول الاسكندر الى هيكل ملكارت في صور وتقدمه من هذا الإله بالذبيحة كان يعني في عرف ذلك العصر ان ملكارت وهب الاسكندر حق الحكم على المدينة وحق الخلافة في ذلك بعد ملوكها[1] . وكانت صور آنئذٍ مبنية في جزيرة يفصلها عن البر خليج ضيّق عرضه نصف ميل تقريباً . وكانت ذات اسوار منيعة بلغ علوها مئة قدم او اكثر. وكانت سلطانة التجارة واميرة البحار . وكان لها في ابنتها قرطاجة خير معين وحليف . وكانت قد صمدت في وجه نبوخذنصر ثلاثة عشر عاماً فأبت ان تذعن لهذا الملك الجديد واستعدت للقتال .

فزحف الاسكندر بجنوده وأعلن الحصار واخذ فوراً في بناء تنهاة تفصل البحر وتوصل الجزيرة بالبر . ولم يرَ في ذلك صعوبة في بدء عمله . ولكنه عندما اقترب من الجزيرة ، وأصبح البحر عميقاً لقي في اكمال هذا العمل أصعب الصعوبات . فأمر بانشاء برجين خشبيين يحمي بهما الفعلة ويرد الصوريين عن الاسوار . ولكن الصوريين احرقوا ما بنى بمركب شراعي حمل مواداً ملتهبة واشعل البرجين بها . وقذف الصوريون عدوّهم بالسهام من البوارج ثم خرجوا بالقوارب فهدموا ما بقي من هذين البرجين . ولم يكن الاسكندر من الذين تقعدهم المصاعب . فجد في بناء تنهاة جديدة اوسع وامتن من الاولى . وكان هو نفسه يدير العمل ويقاسم رجاله الاتعاب والمشقات . ورأى في الوقت نفسه انه لا بد من الاطباق بالمدينة من جميع نواحيها . فقام بنفسه الى صيدا لايجاد البوارج اللازمة للقيام بحصار بري وبحري في آن واحد . وكانت انباء اسوس قد وصلت الى الاسطول الفارسي فتفككت روابطه وعادت البوارج الفينيقية الى قواعدها . فجمع الاسكندر في صيدا من بوارج هذه المدينة وبوارج ارواد وجبيل ثمانين بارجة وضم اليها اربعين غيرها من بوارج رودوس وصولة وملوس ومئة وعشرين من سفن قبرص وقام بها جميعها الى مياه صور . وكان ازميلكوس قد عاد الى صور ببوارجه . فأطلّ الاسكندر عليه باسطوله ورغب في منازلته ولكن الصوريين لزموا الهدوء نظراً لكثرة البوارج المتحالفة . وعندئذٍ أبقى الاسكندر الاسطول القبرصي تجاه المرفأ الشمالي بقيادة بنيتاغوراس (Pnytagoras)

(1) Jouguet, P., *Mac. Imp.*, 25.

وأمر البوارج الفينيقية المحالفة بمراقبة مرفأ صور الجنوبي . وانشأ الابراج والاكباش والمقاذف الجديدة واقام بعضها عند آخر التنهاة والبعض الآخر على سفن مشدودة بعضها الى بعض وهاجم الاسوار . وكان الصوريون قد استعدوا لهذا الهجوم استعداداً كاملاً فأقاموا الابراج الخشبية على الاسوار لصب النار على البوارج المعادية وألقوا الصخور في البحر عند الاسوار ليمنعوا العدو من الاقتراب . فأنفذ الاسكندر بعض الكانسات لرفع هذه الصخور . فجاءتها البوارج الصورية وقطعت حبال مراسيها . فأنفذها الاسكندر مرة ثانية محمية ببوارجه . فغطس الصوريون جماعات وقطعوا الحبال تحت سطح المياه وعادوا فائزين . فجعل الاسكندر حبال المراسي سلاسل حديدية وتمكن من رفع الصخور عند اسفل الاسوار وتقريب البوارج من اهدافها . وقام الصوريون يفاجئون البوارج المحاصرة فانقضوا بثلاث عشرة بارجة على الاسطول القبرصي في وقت كانت بحارته تتناول فيه الطعام في البر فحطموا بارجة امير البحر بنيتاغورس وغيرها . وثأر الاسكندر بان اغرق اثنتين من بوارج صور قبل عودتهما الى المرفأ .

وفي اواخر تموز من السنة ٣٣٢ وبعد حصار دام سبعة اشهر أمر الاسكندر بهجوم عام . فقام بنفسه على رأس قوة نقلتها الناقلات البحرية الى ثغرة في الاسوار الجنوبية فتمكن من اقامة رقبة جسر متينة . وهجمت بوارج حلفائه دفعة واحدة على مرفأي المدينة فدخلتهما عنوةً . فعاد الصوريون الى دورهم وأقاموا فيها محاصرين . فأبلى المقدونيون فيهم بلاءً شديداً وأثخنوا فيهم قتلاً واسراً . فسقط منهم ثمانية الاف ووقع في الاسر والاستعباد ثلاثون الفاً . ولجأ الحكام وبعض الحجاج القرطاجيين الى هيكل هرقيل فنجوا بانفسهم . وجعل الاسكندر صور حصناً مقدونياً ونزع صفة الملك عن حاكمها وجعله محافظاً (phrourarchon) . وأبقى الملكية في صيدا كما سبق ان أشرنا فانتقلت الزعامة في الساحل الفينيقي الى صيدا[1] .

ووردت على الاسكندر في اثناء هذا الحصار رسالة ثانية من داريوس يفاوض بها في أمر السلم . ويخاطب الاسكندر مخاطبة الند للند معترفاً بملكيته . ثم تنازل له عن حقوقه في كل ما وقع الى غربي الفرات واظهر استعداده لدفع عشرة الاف وزنة فدية حرمه وعرض صداقة وتحالفاً وعقد زواج بين الاسكندر وبين ابنته ستاتيرة وبقاء ابيه

(1) Arrien, *Anab.*, II, 18 ff.; Curtius, IV, 2, ff.; Diod., XVII, 41 ff.; Abel, F. N., *Alex. en Syrie et en Palest.*, *Rev. Bibl.*, 1934, 542 ff.; Jouguet, P., *Mac. Imp.*, 24-27; Glotz, G., *Alexandre* etc., 85-87.

اوخوس رهينة بين يديه[1] . وكان هذا كله اكثر بكثير مما اوجبه ايسوقراطس الفيلسوف الذي قال كما سبقت الاشارة بوجوب السيطرة على آسية الصغرى فقط ومن قيليقية حتى سينوب . ويقال انه بعد ان أنعم برمينيون النظر في رسالة داريوس قال : « لو كنت انا الاسكندر لقبلت » . وان الاسكندر اجاب فوراً : « ولو كنت انا برمينيون لقبلت » . والواقع انه منذ ان مزّق الاسكندر شمل خصمه في اسوس بدأ يظهر لعينيه منظر امبراطورية عظيمة الشأن لم ترها عيون الرجال الذين معه فأماط بهذا الحكم الفاصل الحجاب عن شخصية قوية بدأت عصراً جديداً . وكان جواب الاسكندر انه قام من صور الى دمشق ومنها الى السامرة وانه أقر حاكم السامرة الفارسي في حكمه واقام الى جانبه اندروماخوس (Andromachos) قائداً عسكرياً[2]. ثم انحدر الى غزة غير مبال باورشليم الساقطة بطبيعة الحال . ويرى العلماء الباحثون ان ما جاء في تاريخ يوسيفوس من ان الاسكندر ذهب الى اورشليم وسجد لجدعيا رئيس كهنة اليهود هو حديث خرافة[3] .

ووصل الاسكندر الى غزة فامتنع صاحبها باتيس (Batis) الخصي الاسود عن تقديم الطاعة معتمداً في ذلك على مناعة غزة وعلى رجاله العرب الذين شدوا ازره ودخلوا معه الى المدينة ليحموا حصونها . فاقام الاسكندر الابراج العالية وهجم على الاسوار والابواب فقابله العرب بهجوم معاكس شديد . فتراجع المقدونيون واحرق العرب الابراج . وأصيب الاسكندر بقذيفة في كتفه . وامتنعت غزة شهرين كاملين . ثم دخلها الاسكندر عنوة فأسر من أسر وثقب اباهم باتيس وربطه في مركبة حربية وأمر بجره فمات[4] .

فتح مصر : وكان سباكس (Sabakes) والي مصر الفارسي قد التحق بداريوس في إسوس وحارب فيها[5] . وكان الاسكندر لا يزال يسعى لتأمين قواعده الحربية . وكانت خطته في ذلك كما سبق ان اشرنا ان يملك جميع الثغور الحافة بالبحر المتوسط لتصبح بقية الاسطول الفارسي هائمة ضالة لا تجد ملجأ للترميم او التموين . وكانت قد دارت مواقع وطنية مع الفرس في مصر فناصر اليونان بجنودهم المرتزقة زعماء مصر الوطنيين . وقبل ان يهبط الاسكندر مصر ببضع سنين كان الفرس قد طردوا نقطانيبو (Nectanibo) آخر

---

(1) Radet, G., *Notes crit.*, I, 25 ff.; *Mélanges Dussaud*, 1939, 235 ff.
(2) Berve, H., *op. cit.*, II, 38.
(3) Josephe, *Ant. Jud.*, XI, 8; *Abel*, *Alex. en Syrie et en Palest.*, *Rev. Bib.*, 1935, 48 ff.
(4) Berve, H., *op. cit.*, II, 104; Radet, G., *Alex.*, 104 ff.; Curtius, IV, 6, 8.
(5) Diod., XVII, 34; Arrien, II, 8 f.

ملوك الفراعنة (٣٤٥) ووطدوا حكمهم على ضفاف النيل . فلما وفد الاسكندر بجيشه خُيِّل الى المصريين انه صديق منقذ[1] .

وقطع الاسكندر المسافة بين غزة ومصر في سبعة ايام فوصل الى وادي النيل في اواخر تشرين الثاني من السنة ٣٣٢ . وكان مزاكس (Mazakes) وكيل سباكس في الحكم قد علم بما جرى في آسية فأمر المدن بفتح الابواب . فاحتل الاسكندر بلوسيوم (Pelusium) وبعد ان ترك فيها حامية تقدم بجيشه على موازاة فرع النيــل الشرقي فبلغ هيليوبوليس (Heliopolis) ثم ممفيس (Memphis) . وجاء في المراجع الاولية ان مزاكس سلّم الاسكندر لدى دخوله الى ممفيس ثمان مئة وزنة وجميع نفائس القصر الملكي[2] .

وأبدى الاسكندر احتراماً كبيرًا لآلهة مصر . فقرَّب القرابين للعجل المقدس في ممفيس وضحَّى لغيره من الآلهة . ويروى انه احتفل بتتويج نفسه في معبد فتاح في ممفيس ايضاً فأقيمت له الشعائر التي كان يقيمها الفراعنة من قبل ارضاءً لشعور المصريين ابناء البلاد واظهارًا للاسكندر بمظهر الوارث الصحيح لملوك مصر الوطنيين الاقدمين . وراجت في القرن الثالث بعد الميلاد اسطورة ان الاسكندر كان ابن نيقطانيبو الذي كان ساحرًا والذي انسلخ في صورة افعوان ليتمكن من مخالطة زوج فيليبوس المقدوني[3] .

الاسكندرية : ولم ينسَ الاسكندر انه حامي الثقافة الهلينية فأقام في ممفيس نفسها ملعباً رياضياً وأحيا جوقاً موسيقياً يونانياً وأسس مدينة اصبحت فيما بعد مركزًا كبيرًا فعَّالاً في بث الثقافة الهلينية في الشرق كله . وهي الاسكندرية .

ويرى كبار العلماء من رجال الاختصاص ان الدوافع الرئيسية التي حدت الإسكندر على تأسيس الاسكندرية ثلاثة اولها عسكري حربي بحري . فقد رأى الاسكندر منذ ان تمّ له فتح مصر ان لا بد من انشاء قاعدة بحرية كبيرة في شرقي البحر المتوسط يأوي اليها اسطوله في حال الخطر ويتم فيها انشاء بوارجه وترميمها ويتيسر له فيها تموين هــذا الاسطول . ولا بد ان يكون الاسكندر قد لمس من الناحية الثانية عظم التجارة التي كانت تمر عبر البحر الاحمر بين الشرق والغرب واهمية بعض المواد الاولية التي كانت تستخرج من افريقية نفسها . وكان قد قضى على صور اعظم الثغور التجارية آنئذ ولمس لمس اليد كثرة البضائع في مستودعات غزة فاراد ان يؤسس في مصر ثغرًا جديدًا يكون بمثابة

(1) Glotz, G., *Alex.* etc., *op. cit.*, 10-15.
(2) Arrien, III, 2.
(3) Mahaffy, J. P., *Egypt*, 3; Jouguet, P., *Mac. Imp.*, 28-29.

« صور مقدونية » . ورأى الاسكندر من الناحية الثالثة انه لا بد من امتزاج الحضارتين الشرقية واليونانية في دولة كبيرة طمع في تأسيسها كي يتم شيء من التجانس بينه وبين رعاياه ويتيسر التعاون المنشود في السياسة والحرب[1] .

وكان مصب النيل عند كنوبس (Canopus) قد اتخذ مرفأ لتفريغ المتاجر القليلة التي كانت ترد مصر عن طريق البحر المتوسط . وكان مصب بليسيوم دون غيره صالحاً للملاحة ولكن للسفن الصغيرة فقط . وكان دخول المراكب الى هذين المصبين وخروجها منهما غير موآتيين في غالب الاحيان . فاختار الاسكندر مرتفعاً من الحجر الكلسي يعلو مستوى الدلتة ولا يتأثر بالطمي الذي كان يأتي به فرع كنوبس ويسهل تزويده بمياه الشرب بقناة يغذيها النيل . وكانت تقع على بعد ميل من الشاطئ في هذا المحل نفسه جزيرة طولها ثلاثة اميال عرفها اليونان باسم فاروس (Pharos) . فرأى الاسكندر فيها حاجزًا طبيعياً كبيرًا يصد الرياح البحرية كما ايقن انه بالامكان وصل هذه الجزيرة بالبر بحاجز مصطنع[2] .

ومما تحفظه المراجع الاولية ان المهندسين ارادوا ان يخططوا المدينة الجديدة بتراب الكلس الابيض ولكنهم لم يجدوا ما يكفيهم فأخذوا طحيناً من مخصصات الجند . فرأى الاولون في هذا تفاؤلاً بالخير . وفي رواية اخرى ان الطيور حلقت فوق التخطيط وأكلت من هذا الطحين . ومما يروى ايضاً ان الاسكندر استعان بمواهب منهدس رودوسي كان يدعى ذينوقراطس (Dinocrates) لتخطيط المدينة فخططها مستطيلاً بين بحيرة مريوط وبين البحر وقسمها احياء بشوارع مستقيمة . واحتفل الاسكندر بتأسيسها في العشرين او الحادي والعشرين من كانون الثاني . وسكن الاسكندرية عند تأسيسها مقدونيون ويونانيون وعدد كبير من المصريين ارغموا على الاقامة فيها والانتقال اليها من كنوبس . ولا عبرة بما جاء في تاريخ يوسيفوس من ان الاسكندر شجع اليهود على الاقامة في الاسكندرية بمنحهم حقوقها المدنية لان هؤلاء لم يكونوا قد تفوّقوا في التجارة والمال[3] .

واحة سيوة : واعترف اليونان بقدسية معبد عمون في واحة سيوة في الصحراء الغربية على مسافة خمسة عشر يوماً او عشرين من وادي النيل وسبعة ايام عن شاطئ قورنية

(1) Arrien, III, 5; Plut., *Alex.*, 26; Strab., XVII, 792; Hogarth, D. G., *Alexander in Egypt*, J.E.A., II, 55; Bury, J. B., *Hist. of Greece*, 773; Tarn, W. W., *Alex.*, *Cam. Anc. Hist.*, VI, 377; Jouguet, P., *Mac. Imp.*, 29; *Mélanges Radet*, 192 ff.

(2) Mogarth, D. G., *op. cit.*

(3) Bevan, E., *Hist. des Lagides*, 20-25; Glotz, G., *Alex.*, *op. cit.*, 91-92.

وقاموا اليه مستنصحين هذا الإله مستهدين . فقد جاء في اساطيرهم ان هرقيل وبرسفس شعرا بالحاجة الى النصح القدسي والهداية العلوية فذهبا الى سيوة قبل ان يقدما على مخاطراتهما . وتكلّم افريبيذس (Euripides) عن منزل عمون الذي لا يأخذه المطر كما لو كان منزلاً معروفاً عند اليونانيين . وارسل الاسبارطيون والاثينيون وفودهم الى هذا المعبد البعيد ليستهدوا . وهكذا فاننا نرى كليثينش يقول : ان ذكرى هرقيل وبرسفس حملت الاسكندر على التوغل في الصحراء الغربية لزيارة عمون الإله والاسترشاد برأيه . ولكن العلامة الانكليزي هوغارت (Hogarth) يرى ان الاسكندر انما قام ببعض وحدات جيشه من الاسكندرية الى الغرب ليخضع قورينة قبل عودته الى الشرق لمتابعة الحرب الفارسية وانه التقى عند براتونيون (Paraetonion) بوفود قورينة فقبل دخولها في الطاعة وعدل عن الزحف عليها ثم ضرب في الصحراء ليزور عمون الذي كان قد أصبح قريباً[1] .

وجاء في المصادر الاولية ان الامطار هطلت غزيرة فأنقذت الاسكندر ووحداته من العطش وان غرابين كانا يطيران ثم يحطان ليرشدا الاسكندر الى طريقه وان افعوانين كانا يتقدمانه مرسلين اصواتاً خاصة للغاية نفسها[2] .

« ولم يؤذن لغير الاسكندر بالدخول الى المعبد في ثيابه العادية . اما البطانة فأمروا بتبديل ثيابهم . ووقف الجميع في الخارج يستمعون الوحي ما عدا الاسكندر فانه دخل قدس الاقداس . فقيل له كما قيل لغيره من ملوك مصر الاقدمين انه ابن عمون . فسأل الاسكندر عما اذا كان الإله ابوه سيهبه حكم الارض جميعاً فجاء الجواب بالايجاب . فسأل الاسكندر ثانية عما اذا كان الذين اشتركوا في قتل ابيه فيليبوس قد عوقبوا فصاح المنبئ بان هذا السؤال كفر لان الإله أباه لا يمكن ان يؤذى »[3] .

ولا يستبعد ابداً ان يكون الاسكندر قد استقبل وشيع في سيوة استقبال ابن الإله العظيم . فان جميع الفراعنة منذ بداية الالف الثانية قبل الميلاد كانوا من ابناء « عمون ـ راع » وكان عمون يهب ابناءه هؤلاء « رقاب كل الاحياء وكل الممالك وكل الشعوب وكل ما تغشاه الشمس » . وقد يكون اللقب ذو القرنين نتيجة هذه الزيارة وهذه الصلة بعمون الإله العظيم وبقرنيه الكبشيين[1] .

(1) Arrien, *Anab.*, III, 3, 1-5; Plut., *Alex.*, 26 f.; Curtius, IV, 7-8; Bevan, E., *op. cit.*, 26.

(2) Diod., XVII, 49, 4-5; Lesquier, J., *Armée Rom.*, *d'Eg.*, 41.

(3) Curtius, IV, 7, 23 ff.; Strab., XVII, 814; Plut., *Alex.*, 27; Bevan, E., *op. cit.*, 29-30.

(1) Tarn, W. W., *J.H.S.*, vol. 41 (1921), 2; Bevan, E., *op. cit.*, 30-31.

تنظيم مصر : وعاد الاسكندر الى مصر اما عن الطريق نفسه الذي اتى منه او عبر وادي النطرون . وفي ممفيس استقبل الوفود اليونانية وتلقى مدداً حربياً جديداً . ثم التفت الى ادارة هذا القطر فنصّب عليه واليين مصريين يحكمانه بموجب القواعد والعادات القديمة . وعيّن الى جانبهما قائدين عسكريين بنتاليون الفدناوي (Pentalion) في ممفيس وبوليمون الفلاوي (Polemon) في بليسيوم وأمر كليومينس (Cleomenes) النقراطي ان يحكم الصحراء بين الذلتا والسويس وان يجبي من الحاكمين المصريين ما يفرض عليهما من الضرائب . ونصّب بوليمون بن ترامينس اميراً على البحر[1] .

وقبل ان يغادر مصر ارسل بعثة علمية جغرافية الى السودان تتبع مجرى النيل وتدرس فيضانه . ففعلت وجاءت بالخبر اليقين فعزت الفيضان الى الامطار الغزيرة في الحبشة واواسط افريقية . فسُرَّ ارسطو استاذ الاسكندر واعتبر هذه المشكلة الجغرافية منحلة[2] .

بين النيل والفرات : وفي ربيع السنة ٣٣١ غادر الاسكندر مصر ليشدّ على داريوس في ما وراء الفرات . فجاء السامرة لما كان قد علمه عن تمرد أهلها على اندروماخوس القائد المقدوني المقيم فيها[3] . ثم قام منها الى صور فأقام فيها مدة استقبل في اثنائها امراء قبرص وحضر الحفلة التمثيلية التي اقامها هؤلاء على شرفه . وكان بين الممثلين ثسالوس (Thessales) واثينوذوروس (Athenoderos) وليقون (Lycon)[4]. وعزل أريمس (Arimmas) حاكم دمشق ونصب مكانه اسكليبوذوروس (Asclepiodoros) وانشأ مفتشية للمال[5] . ووفدت عليه ايضاً وفود اثينة وخيوس وغيرهما . فأطلق سراح الاسرى الاثينيين الذين كانوا قد حاربوه في صفوف داريوس عند نهر الغرانيكوس وسحب الحامية المقدونية من جزيرة خيوس ولكنه ابقى الجنود المقدونيين في رودوس . وظلّت فيما يظهر دويلة اسبارطة معادية ولكنه لم يعبأ بها لانه كان قد قضى على الاسطول الفارسي وسيطر على المياه اليونانية .

وكانت سواحل البحر المتوسط الشرقية كلها قد خضعت له مع ما جاورها من الجزر فقام الى الفرات وما وراءه يفتش عن خصمه ملك الملوك . وكان داريوس قد جمع الجموع من جميع ما تبقى من البلدان تحت سلطته فتجمع لديه عدد غفير فعسكر بهم في سهول العراق وراء دجلة . وسلحهم بمئتي مركبة رُبطت الى جزوعها مناجل بارزة من الجانبين

(1) Bevan, E., *op. cit.*, 32-35.
(2) Partsch, J., *Das Arist. Buch «Uber das Steigen d. Nil»*.
(3) Bois, H., *Alex. et les Juifs en Palest.*, *Rev. Théol.*, 1890, 557 ff.
(4) Arrien, *Anab.*, III, 61 ff.
(5) Berve, H., *op. cit.*, II, 88.

وبخمسة عشر فيلاً . وهي اول مرة خرجت فيها الفيلة للمحاربة خارج البلدان التي تربّى فيها[1] .

بين الفرات ودجلة : وأمر الاسكندر برمينيون ان يتقدم الى الفرات الى تبساكوس (Thapsacos) (فنصا) وان ينشئ عندها جسرين من القوارب لعبور النهر . وكان مزايوس (Mazaios) القائد الفارسي في تلك المنطقة على رأس بضعة الاف فارس والفين من المشاة اليونان المرتزقة . فلما شرع المقدونيون في عبور النهر (تموز ٣٣١) انسحب مزايوس مستدرجاً الاسكندر الى المكان الذي انتقاه الفرس للمعركة المقبلة . وكان داريوس يعول كثيراً على مركباته الحربية ويتعشم الفوز بها فآثر انتظار الاسكندر في سهل يتمكن فيه من المناورة بهذه المركبات على الصمود عند عقبتين طبيعيتين كبيرتين كالفرات ودجلة . فانتقى سهل غوغملة (Gaugamela) بالقرب من نينوى القديمة عاصمة اشور وعلى بعد خمسة وعشرين كيلومتراً عن الموصل والى شماليها الشرقي .

فأجّل الاسكندر الزحف على بابل احدى عواصم الدولة الفارسية واتجه شمالاً فشرقاً فمرّ بسهول الجزيرة العليا محاذياً التلال الاناضولية الارمنية مبتعداً عن البادية وقيظها وقلة مياهها . ورحب به يهود هذه المنطقة وكانوا لا يزالون كثراً فيها منذ الاسر الاخير فابانوا معالم الطرق وادلوا بالمعلومات التي يحتاج اليها كل قائد مقاتل . وترامى الى الاسكندر ان خصمه صامد عند دجلة فأسرع المسير ولكنه لم يجد احداً . فعبر دجلة بالقرب من الجزيرة بدون اقل صعوبة ما عدا سرعة التيار المائي[2].

موقعة غوغملة : (٣٣١) وخُسف القمر وأظلم (٢٠ ايلول ٣٣١) فذعر المقدونيون وتشاءموا . فاضطر الاسكندر ان يقدم القرابين للالهة المختصة[3]. ثم تابع السير متجهاً جنوباً فشرقاً . وبعد اربعة ايام اعترضت مسيره قوة من الخيالة فشتت شملها وعلم ان داريوس أصبح قريباً . وقبل وصوله الى قرية غوغملة وعلى بعد ثمانية كيلومترات منها توقف عن السير آمراً بالاستراحة اربعة ايام . وفي الثلاثين من ايلول رسم خطة القتال وقال لاركانه « ان الهدف هو ملك آسية فليشعر كل منكم بالمسؤولية الملقاة على عاتقه » . فألحّ برمينيون بوجوب الهجوم ليلاً . فأبى الاسكندر ونام ليلة هادئة . ثم قام في اليوم

(1) Diod., XVII, 56, 3; Curtius, IV, 12, 13; Arrien, III, 8, 6; Plut., *Alex.*, 31.

(2) Arrien, III, 7, 1; Curtius, IV, 12, 7-8; Berve, H., *op. cit.*, II, 243; Bury, J. B., *Hist. of Greece*, 775.

(3) Radet, G., *op. cit.*, 139 f.

التالي ١ تشرين الاول الى عدوه . فبدأ الفرس القتال بهجوم الخيالة ثم بانطلاق المركبات. ولكن المقدونيين قابلوا هذا الهجوم بهجوم مماثل وما هي الا لحظة حتى تمكن بلاكروس (Balacros) بفرسانه من قتل سائقي هذه المركبات وخيلها . ونفذ الاسكندر التكتيك نفسه الذي كان قد تذرّع به في إسوس . فأفسد على عدوه حركة الالتفاف وقام على رأس « الرفقاء » بهجوم خاطف على قلب العدو فاخترق صفوفه ثم عاد يؤيد جناحيه ولاسيما ميسرته[1] .

وانجلت المعركة عن هزيمة الفرس . وفرّ داريوس بالمشاة اليونان المرتزقة وخيالة بقتريانة عبر جبال ارمينية الى مادي راجياً ان يتمكن فيما بعد من تجييش قوة جديدة من قلب آسية . وتخلّى بعمله هذا عن عاصمتيه بابل وشوشن وعن مدينتي الفرس المقدستين برسيبوليس (Persepolis) وباسرغادة (Pasargade)[2] . وقيل انه هلك في هذه الموقعة ثلاث مئة الف فارسي والف ومئتا مقدوني . وجاء في مصادر اخرى ان عدد القتلى الفرس كان اربعين الفاً[3] . وتولى برمينيون ضبط ما وقع بيد المقدونيين من امتعة المعسكر الفارسي وعتاده بما في ذلك من فيلة وجمال . وهبّ الاسكندر مسرعاً نحو اربلة وكانت تقع على بعد ثمانين كيلومترًا عن غوغملة فاستولى على ثروة طائلة وغنم عربة داريوس واسلحته .

بابل وشوشن : وكانت بابل لا تبعد عن اربلة اكثر من اربع مئة وخمسين كيلومترًا. وكان مازيوس القائد الفارسي قد التجأ اليها فوصلها الاسكندر في اواخر تشرين الاول من السنة ٣٣١ . وكان يحيط بمنطقة المدينة سور عظيم يبلغ ارتفاعه ثلاثين مترًا ويُقدّر محيطه بمئة كيلومتر . وكان لا يزال قائماً في عهد زينوفون (Xenophon) مبنياً من الطوب والاسفالت[4] . ودخل الاسكندر هذه المنطقة من « باب بابل » وأطلّ على المدينة العظيمة بسوريها وابراجها. وتوقع مقاومة من مازيوس ورجاله السوريين ولكن مازيوس آثر الاستسلام نظرًا لما كان يكنه اهل بابل من بغض للفرس . وخرجت بابل برجالها ونسائها وزعمائها وقادتها واستقبلت الفاتح المقدوني . فأبقى الاسكندر مازيوس في خدمته ونصبه حاكماً على بابل وعين قائدًا مقدونياً على حاميتها ومدبرًا مالياً مقدونياً يشرف على جباية الضرائب والدخل . وأقام فيها ثلاثين يوماً . ولعله أراد من ذلك التعارف بينه وبين الاسيويين قبل

(1) Kaerst, J., *Alexandros*, *Real-Ency.*, I, 1424; *Gesch. des Hellenismus*, 394; Jouguet, P., *Mac Imp.*, 31; Glotz, G., *Alex.*, 99-102.

(2) Jouguet, P., *Mac. Imp.*, 31.

(3) Arrien, III, 15, 6; Curtius, IV, 16.

(4) Xen., *Anab.*, II, 4, 12.

التوغل في ما وراء العراق لتشييد امبراطوريته العظيمة . واحترم عادات البابليين وآلهتهم ودخل الى معابدهم ومارس بعض الطقوس وأمر بترميم بعض ما تهدم من المعابد[١] .

وأنفذ الاسكندر بوليزانوس (Polyxenos) الى شوشن ليضبط خزينتها . ثم لحق به فتقبل طاعة اهلها واستولى على خمسين ألف وزنة من الفضة . وأقام الالعاب والحفلات ودبّر امور الادارة . وكانت اسبارطة لا تزال معادية فأنفذ الاسكندر من شوشن مينيس (Menes) هيبرخوساً على سورية وفينيقية وقيليقية وحول اليه ثلاثين الف وزنة ليعطي منها الى القائد انتيباتروس ما يحتاج اليه لمتابعة الحرب ضد اسبارطة .

ايران وما وراءها : ثم سار الاسكندر من شوشن الى ايران . فنازل في مسيره القبائل الجبلية وكسر شوكتها . وكان اريوبارزانس (Ariobarzanes) الوالي صامداً على رأس اربعين الف مقاتل . فباغتهم الاسكندر بمناورة ناجحة فتفرقوا والتجأ قائدهم الى الجبال . ثم دخل برسيبوليس عاصمة الفرس الحقيقية فحرق قصرها وذبح ذكورها واستعبد نساءها[٢] . وكان اريوبارزانس قد التحق بداريوس فقام الاثنان الى هرقانية . وكانت ابواب قزوين (سردارة) صعبة المنال فارسل الاثنان الحريم والمتاع اليها وفرّا بمن معهما من العساكر الى اقبطنة . فتبعهما الاسكندر الى اقبطنة فالري فعبرا سردارة متجهين شرقاً الى برثية . وتابع الاسكندر المطاردة نحو شاهرود (Hecatompylos) في جوار زاوية قزوين الشرقية الجنوبية . وانفك عن داريوس معظم رجاله . وطمع بسّوس بالتـــاج الفارسي وانقضّ برسانتيس (Barsantes) على ملك الملوك فتركه جثة هامدة . وفرّ مع رفاقه شرقاً وذلك في صيف السنة ٣٣٠ ووجد الاسكندر خصمه قتيلاً في الدامغان فأمر بان تدفن جثته باحتفال ملكي في اضرحة فارس الملكية .

ثم سار الاسكندر في اثر هؤلاء « الخونة » فدخل آرية بعد برثية وهي اقليم مجاور لهراة الحالية . وسار بعد ذلك الى درنغيانة (Drangiana) المسماة الآن سجستان . ولما وصل الى فرادة (Phrada) مقام الملك علم ان جماعة من المقربين اليه تواطأوا على قتله وان فيلوطاس القائد علم بذلك وكتم الخبر يومين كاملين . فحكم بالاعدام عليه ثم أمر بعض قواده ان يقتلوا برمينيون ابا فيلوطاس ففعلوا . وهاج الاسكندر وماج وشرست اخلاقه وقلّ اركانه . ثم اخضع اراخوسية (Arachosia) واقليم الباروباميسوس (Paropamisus) وهو ما نسميه

(1) King, L. W., *Hist. of Babylon*, 22 ff., 287.
(2) Plut., *Alex.*, 37; Grote, G. *Hist. of Greece*, VIII, 395-396.

الآن افغانستان وبنى فيه مدناً كثيرة وأسكن فيها يونانيين ومقدونيين . ثم طاف بقطريانة (Bactriana) واجتاز نهر الاموداريه (Oxus) وذلك في السنة ٣٢٩ وسار في صغديانة ودخل مدينة مرقندة اي سمرقند ووصل الى نهر السرداريه (Jaxartes) فبنى على ضفته حصناً اسماه الاسكندرية واراد بذلك ان يردع القبائل السكيثية[1] .

ورأى الاسكندر انه لا يستطيع ان يسود في آسية كمقدوني يوناني بحت وان لا بد له من ان يمنح الفرس بعض الامتيازات . فاقترن بروكسانة ابنة اوكسيارتس وأمر ضباطه واخصاءه ان يقترنوا بكرائم اشراف آسية . وعيّن كثيرين من الفرس في مناصب عالية وجعل منهم عماله في الولايات . واحتذى مثال الفرس في بعض ملابسه . واعلن الوهيته وعوّل في ذلك على عادات شرقية منها ان كل الذين يدنون منه في الاوقات الرسمية يجب عليهم ان ينحنوا امامه حتى تمسّ جباههم الارض ثم يقبلوا رجليه . وهو ما يشار اليه في المراجع اليونانية بقضية البروسكيناز (proskynesis) . ولم يدرك « الرفقاء » كنه الحاجة الى هذه التدابير الشرقية الغريبة . ومما زاد في الطين بلة ان الاسكندر عامل الدخلاء من الفرس معاملته « لرفقائه » او ارفع منهم درجة في بعض الاحيان . ولم يكن اعدام برمينيون القائد الكبير المخلص وابنه فيلوطاس سوى مظهر مؤلم لهذه المشادة بين الاسكندر وبين « رفقائه » .

وفي صيف السنة ٣٢٨ جلس الاسكندر ورفقاؤه يشربون ويتسامرون في سمرقند . وجاء ذكر هذه الامور فلم يتحفظ كليتوس القائد الذي كان قد انقذ حياة الاسكندر في موقعة غرانيكوس فجعل مجد فيليبوس اعظم من مجد ابنه الاسكندر واكبر . فغضب الاسكندر وقتل كليتوس بيده . ثم ندم وانفرد في سرادقه ثلاثة ايام ينوح ويبكي[2] . وفي ربيع السنة ٣٢٧ تزوج الاسكندر في بقطرة (بلخ) من روكسانة وأمر اليونان والاسيويين ان يسجدوا له ويعبدوه فاجابه الى ذلك بعض كبار اليونانيين وفي مقدمتهم انكسرخوس . اما كليتينس نسيب ارسطو ومكاتبه ومؤرخ الحملة فأبى وكابر . وكان ما كان من أمر تآمر الغلمان على الاسكندر. وكان احد هؤلاء هرمولاووس (Hermolaus) تلميذ كليسثينس . فاتهم هذا بالتآمر ايضاً وحكم عليه بالاعدام[3] . فانقلبت الصداقة

---

(1) Glotz, G., *Alex.*, *op. cit.*, 118-131; Jouguet, P., *Mac. Imp.*, 36-40.

(2) Arrien, IV, 8-9; Plut., *Alex.*, 50 ff.; Curtius, VIII, 5 ff.; Meyer, E., *Alex. der Grosse*, 319-324.

(3) Arrien, IV, 13 ff.; Plut., *Alex.*, 55; Curtius, VIII, 6, 1030; Glotz, G., *Alex.*, *op. cit.*, 131-138; Tarn, W. W., *Alex.*, *Cam. Anc. Hist.*, VI, 396-400.

بين ارسطو وبين تلميذه الاسكندر الى عداوة مرة . وهبّ تيوفراستوس (Theophrastus) وديمتريوس (Demetrius) الفيلسوفان يدافعان بالفلسفة عن كليسثينس فأورثا طلاب الآداب اليونانية صورة حقيرة جداً للاسكندر واعماله . فهو في نظرهما ذلك المستبد الذي رافقه الحظ فتوصل الى ما توصل اليه ولكنه تهدم فيما بعد من جراء تزايد هذا الحظ[١] .

الهند : (٣٢٧ – ٣٢٥) ولم يعلم الاسكندر الشيء الكثير عن الهند او عن غيرها مما بعدها . ولكنه اخذ عن استاذه ارسطو انها شبه جزيرة واسعة تتفرع عن ايران فتمتد في البحر الى شرقيها . وشارك استاذه في تردده في علاقة الهند بالحبشة . فتارة اعتبرهــا متصلة بالحبشة جاعلاً المحيط الهندي بحيرة كبيرة وطوراً فصل الاثنتين بهذا المحيط . واعتبر الاسكندر الهند ولاية من ولايات داريوس فكان من الطبيعي جداً ان يحاول فتحها ليكمل عمله فيصبح وريث ملك ملوك آسية . وليس من العلم بشيء ان نجعل الاسكندر يطمع بالعالم باسره لمجرد قيامه الى الهند لانه لم يكن يعلم عن سائر العالم الاسيوي اكثر مما ذكرنا[٢]. وكان تاكسيليس (Taxiles) احد امراء وادي السند الاعلى قد وفد عليه وهو لا يزال في صغديانة راجياً معونته ضد عدوه بوروس (Porus) . وكان سيسيكوتوس (Sisicottus) الامير الهندي الذي كان يعاون بسوس في الوصول الى مطامعه قد اصبح في معية الاسكندر يرشده عن احوال الهند فيبين انقساماتها وتحزباتها[٣] .

فقام الاسكندر في ربيع السنة ٣٢٧ من بقطرة (بلخ) بمئة وعشرين الفاً فاجتاز الباروباميسوس وتوجه الى كابل . ثم سار منها على ضفة السند اليمنى فاخضع عدة قبائل جبلية . ثم اجتاز هذا النهر من اتوك فدخل تكسيلة وتقبل هدايا اميرها وبينها الفيلة . ثم التقى بالامير بوروس عدو تاكسيليس في عبر الهيداسبس (جيلوم البنجاب) . وكان مع هذا الامير جيش كبير فلجأ الاسكندر الى التكتيك نفسه الذي فاز به عند نهر الغرانيكوس فجعل كراتيروس يشغل بوروس بالقسم الاكبر من الجيش وقام هو بالخيالة فعبر النهر في محل بعيد وجاء بوروس من خلفه فقسّم جيشه وانتصر عليه (ايار او حزيران ٣٢٦) . ولكنه ارجع اليه ملكه فصار له محالفاً وصديقاً . ثم عبر الاكيسينس (Acisenes) وهو نهر شناب غازياً محارباً . ولم يزل يتقدم في البنجاب حتى وصل الى نهر الهيدراتوس

(1) Berve, H., *op. cit.*, II, 198; Seneque, *Quaest. Nat.*, VI, 32, 2; Montesquieu, *Lysimaque*.

(2) Tarn, W. W., *Alex.*, *Cam. Anc. Hist.*, VI, 401-403.

(3) Jouguet, P., *Mac. Imp.*, 43-44.

(Hydraotes) « الرافي » فأخضع قبائل الزط (Azattas) اي الذين لا ملك لهم . ثم دكّ سنغالة اي سمكة وقتل وأسر . وما فتئ يتقدم حتى وصل الى الهيفاسيس (Hyphasis) وهو نهر ستلج . واراد ان يتابع الفتح في وادي الكنج عبر القفار فكره المقدونيون ذلك وابوا اجتياز ستلج . فأقام الاسكندر اثني عشر مذبحاً على الضفة الغربية من نهر ستلج لتكون حدًّا لفتوحاته في الشرق . وفي خريف السنة ٣٢٦ ركب مع قسم من عساكره سفناً عديدة الفين في بعض النصوص فسارت بهم في ستلج حتى السند ثم سارت في السند الى مصبه . وكان الربابنة والبحارة فينيقيين وقبرصيين ومصريين . وفي صيف السنة **٣٢٥** وصل الى المحيط الهندي فذهب نيرخوس (Nearchos) امير البحر بالاسطول من مصب السند الى دجلة . اما هو فانه اجتاز صحراء جدروسية في بلوخستان فقاسى والذين معه ما لا يوصف من الشدائد والمشقات والجوع والعطش حتى ان كثيرين من جنوده كانوا يقعون على جانبي الطريق اعياءً . ومروا في بورة فبرسيس وما زالوا حتى وصلوا اخيرًا الى شوشن في ربيع السنة ٣٢٤[1] .

أعماله الاخيرة ووفاته : وكان الاسكندر قد علم ببعض مساوئ حكامه في ايران وكان لا يزال يخشى الثورة فيها فقام من القرمان على رأس قوة خفيفة توًّا الى باسرغادة فاقتص ممن كان قد نهب قبر كوروش العظيم ونظر في امر برياكسس (Paryaxes) الثائر الذي كان قد لبس العمامة الملوكية (kitaris) . ثم قام الى برسيبوليس فحقق في المظالم التي كان قد ارتكبها اورزينس (Orxynes) الوالي فأمر بشنقه . وقام من برسيبوليس الى شوشن وسار في نهر قارون (Pasitigris) فالتقى بنيرخوس قائد اسطوله . ودخل شوشن وجرى فيها على عادات الفرس واحتفل بزواج عشرة الاف مقدوني من نساء شرقيات ومنح القادة اكاليل من ذهب (شتاء ٣٢٤) . ثم قام الى اوبيس (Opis) قبل بغداد فتمرد المقدونيون محتجين على تقدم الفرس عليهم في الجيش وفي الادارة — وكانوا تسعة الاف — فخيّرهم بين البقاء معه وبين العودة الى اوطانهم بعد قبض مرتباتهم ووزنة اضافية لكل منهم . وسار بعد ذلك في وادي الزغروس حتى اقبطنة لاخضاع بعض العشائر الثائرة .

وفي ربيع السنة **٣٢٣** عاد الاسكندر الى بابل عاصمة ملكه فاستقبل الوفود الليبية والقورينية والحبشية والقرطاجية واليونانية والسكيثية والكلتية البلقانية . وكان عقل هذا الشاب الذي اوتي قوة هرقيل لا يكف عن الاشتغال بالف مسئلة ومسئلة فأرسل بعثة

(1) Tarn, W. W., *op. cit.*, 407-418; Jouguet, P., *op. cit.*, 43-54; Goltz, G., *op. cit.*, 139-168.

الى سواحل بحر قزوين لتطوف في ارجائه لان طرفه الشمالي كان لا يزال مجهولاً . وأمر ببناء اسطول كبير في مرافئ فينيقية واتى بالسفن قطعاً الى بابل ثم وزعها على بعض الفرض لتسيارها . وأنفذ بعثات ثلاثاً الى سواحل الجزيرة العربية للاستطلاع . فلم يصل اندروسثانيس (Androsthenes) الى أبعد من جزر البحرين (Tylos) . وقل الامر نفسه عن ارخياس (Archias) . اما هيرون الصولي (Hieron) فانه نجح فيما يظهر في الوصول الى خليج السويس بعد ان طاف حول سواحل الجزيرة . وكان من جملة ما اختطه الاسكندر بناء اسطول لاخضاع ايطالية وصقلية وقرطاجة وبناء طريق سلطاني لجيشه يمتد من مصر الى قرطاجة ومنها الى اعمدة هرقيل . ومما جاء في المراجع الاولية انه اراد ان يفتش عن طريق بحرية تمر الى جنوبي ليبية فتوصله الى الغرب الذي طمع في الاستيلاء عليه[1] .

وفيما هو يتأهب للفتح في الغرب اصابته حمى شديدة في اوائل حزيران واشتدت وطأتها في يوميها الثامن والتاسع فتوفي في الثالث عشر من حزيران سنة ٣٢٣ . ولم يعين خلفاً الا انه قبل وفاته دفع خاتمه الى برديكاس[2] .

ومما « يروى » في وفاته انه كان قاصداً الدخول الى بابل فخرجت اليه مشايخ اهل العراق الذين لهم خبرة بالتنجيم واخبروه بحسب ما رأوه من علمهم ان دخوله يعود عليه بالخطر . فكاد يعدل عن قصده فأقبلت عليه حكماء اليونان وقدموا البراهين الكثيرة ان فن التنجيم مما لا يعتقد فيه وانما هو من الخرافات التي لا طائل تحتها حتى اقنعوه بان يدخل المدينة . فدخلها بمجد عظيم وقابل كبراءها واعيانها . وأقام الافراح والمواسم . ولم يخرج في كل ذلك عن الحقوق والاستقامة . غير انه مال الى اللذات وانهمك فيها . وكان ذات ليلة في مجلس اللذات والشهوات وقد أسرف على نفسه وافرط في السكر . فالتمسوا منه في مجلس الشراب ان يشرب على صحة كل واحد جاماً بعد ان كان قد امتلأ خمراً وكانوا نحو عشرين انيساً . فأجابهم الى طلبهم وشرب كما ارادوا . ثم انه دعا بقدح كبير يسع نحو ملء ست زجاجات يدعى هرقيل الجبار فشربه مرتين واراد ان يظهر الثبات فوقع في الحال مغشياً عليه وأصيب بحمى شديدة فنقلوه الى فراشه غائباً عن الدنيا . فلازمته حمى متقطعة . فكان اذا فارقته يأمر وينهي في امر الغزو براً وبحراً ظاناً ان زمن مرضه قصير . ولما رأى ان ساعته قد دنت نزع خاتمه من اصبعه وسلمه الى برديكاس وأوصاه ان ينقل جثته الى هيكل عمون في واحة سيوة ليدفن هناك .

---

(1) Kornemann, E., *Beitrage zur alten Gesch.*, 1920, 209-233; Tarn, W. W., *Bull. Acad. Belg.*, 1921, 1-17; Glotz, G., *Alex.*, 180-181.

(2) Arrien, VII, 24-26; Plut., *Alex.*, 75-77; Jouguet, P., *op. cit.*, 57-60; Robinson, C. A., *Am. Jour. Philol.*, 1940, 402 ff.

الفصل الثالث

إمبراطورية الإسكندر

الاسكندر : وكان الاسكندر لا ينام الا قليلاً وقد لا ينام اذا قضت الظروف بذلك . وكان يصغي اولاً الى تقارير كبار الضباط فيصدر اوامره حسب الحاجة . ثم ينظر في ما يعرضه « حافظ الاختام » افينس (Eumenes) والوزير الاول هيفستيون (Hephaistion) من المسائل السياسية والقضائية ويستقبل الوفود وكبار الرجال . وكان على على كثرة اشغاله يجد متسعاً من الوقت للمطالعة وللرياضة . وكان لا يتناول في اثناء النهار سوى طعام خفيف . فاذا ما حلّ المساء استحم وجلس مع عدد كبير من الضيوف الى مائدة فخمة حافلة بالمآكل الشهية والاشربة اللذيذة . وقد يطيب له المقام فيتجاذب وضيوفه اطراف الحديث فلا ينصرف الى سريره الا في ساعة متأخرة من الليل . واذا ما ذكرنا واجباته الدينية اليومية ومهامه العسكرية العليا ومشاريعه الجسيمة اعجبنا بهمته ونشاطه واخذنا بتفوقه ونبوغه[1] .

قوله بالحق الالهي : وقال الاسكندر منذ ان تبوأ عرش اجداده بتحدره من هرقيل وذيونيسوس[2] . ثم أصبح بعد فتح مصر ابن عمون كما سبق وأشرنا . فلما انتصر على داريوس وحل محله انبثق انبثاقاً من أهرومزدا نفسه كما انبثق سلفاؤه في حكم فارس من قبله[3] . ولم يهدف الاسكندر من وراء هذا كله ان يحل هو محل الالهة في جميع هذه الاقطار . فانه لم ينقطع عن الخضوع لآلهة مقدونية . ولم يتورع عن اكرام ملكارت في صور وفتاح في ممفيس وعمون في سيوة ومردوخ في بابل وعن استقبال المجوس في قصره[4] . وبالتالي فانه لم يسعَ لتوحيد اديان الشعوب الخاضعة له ولكنه وجد في الدين وسيلة فعّالة

---

(1) Plut., *Alex.*, 23, 52 f., 76; Berve, H., *op. cit.*, I, 10, 12, 14, 58; Glotz, G., *Alex.*, *op. cit.*, 222-223.

(2) Radet, G., *op. cit.*, 365 ff; Berve, H., *op. cit.*, I, 86; Baege, *De Macedonum Sacris*, 79 ff.

(3) Jouguet, P., *Mac. Imp.*, 72.

(4) Arrien, *Anab.*, III, 16, 5.

للحكم . ولاسيما وانه توجب عليه ان يحكم بلداناً كانت تعودت ان ترى في الحكم ظاهرة من ظواهر تدخل الالهة في حياة البشر وعنايتها بهم .

والواقع الذي لا جدال فيه هو ان الاعتراف بألوهية الاسكندر اختلف باختلاف اجزاء الامبراطورية . ففي مقدونية ذكّر الاسكندر شعبه بتقاليدهم التي كانت تقرّ تحدر الملوك من هرقيل وذيونيسوس وتوجب تأليههم بعد وفاتهم . اولم يحمل تمثال فيليبوس بعد وفاته مع تماثيل الالهة الاثني عشر . ولكن ما لم تقره هذه التقاليد وما ادى الى شيء من الامتعاض والتمرد كان طلب الاسكندر بان يُسجد له في اثناء حياته[1] . وذكّر الاسكندر اليونان بتكريمهم الطاغية كليارخوس (Clearchos) وغيره فطلب اليهم ادخاله هو الى هيكل جمهور الالهة Pantheon . فوافقت اثينة واعلنت استعدادها لتكريس طقس خاص به كما اقرّت المدن الاخرى منحه « جنسية » الالهة[2] . ولم يتردد الشرقيون من الاعتراف بألوهيته اعترافاً كاملاً لما كانوا قد تعودوه ونظراً لاعمال الاسكندر الباهرة[3] .

البلاط والحكومة المركزية : وأحاط بالاسكندر سبعة من كبار الضباط عرفوا آنئذ باللقب somatophylakes او اركان الحرب بينهم بطليموس وليسياخوس وبيثون واريستونوس . وكانوا بالاضافة الى مهماتهم العسكرية يقومون باعمال ادارية وسياسية خاصة بحيث اصبحوا من هذه الناحية خلفاء « اعين » ملك الفرس و « اذنيه »[4] . وجاء بعدهم ستون من الهتايرة(hetaires) بينهم قواد الحرس الامبراطوري والمستشارون ورجال الاختصاص. وجميعهم مقرب الى الاسكندر قام بخدمات باهرة ان في ساحة القتال او في الادارة[5] . وجاء بعد الهتايرة الغلمان ابناء الوجهاء من المقدونيين والفرس الذين رافقوا الاسكندر وقاموا بحراسته ليلاً ليتدربوا في الفنون العسكرية والادارة[6]. وادخل خارس (Chares) الميتيلاني التشريفات الفارسية الى البلاط المقدوني فكثر الخدم والحشم وتنوعت المصالح وتفرعت . واستمر اهتمام الاسكندر بالعلوم والفنون فسار في ركبه المؤرخان كليسثينس نسيب ارسطو ومرسياس اخو انتيغونوس والفلاسفة انكسيانس واونيسيكريتس وانكسرخوس وبيرون والشعراء اجيس وخوريللوس واسخريون وعلماء الطبيعة والاطباء[7] .

(1) Diod., XVI, 92, 5; Arrien, *Anab.*, VII, 8, 3; Valois, *Bull. Corr. Hell.*, 1931, 327.
(2) Wilcken, *Sitzung. Ber. Akad.*, 1928, 600 ff.; Glotz, G., *Alex.*, *op. cit.*, 224-225.
(3) Tarn, W. W., *J. Hell. St.*, 1921, 1 ff.; *Cam. Anc. Hist.*, VI, 423.
(4) Hoffmann, O., *Die Maked. iher Sprache und iher Yolkstum*, 167 ff.
(5) Berve, H., *op. cit.*, II, 27, 30 ff.
(6) Glotz, G., *Alex.*, *op. cit.*, 227.
(7) Berve, H., *op. cit.*, II, 53, 241.

الجيش اداة حكم : وظل الحكم عسكرياً طوال عهد الاسكندر . وبقي الجيش الاداة الرئيسية في الحكم ولم يطرأ على نظمه وتنظيمه تعديل هام . ولكنّ العنصر الاسيوي تكاثر في صفوفه بنسبة توغل الاسكندر في آسية . فقد كان الجيش عند نزوله في طروادة حوالى خمسة وثلاثين الفاً . فأصبح عند وصوله الى فارس خمسين الفاً . فلما اقدم الاسكندر على فتح الهند جعله مئة وعشرين الفاً . ويرى رجال الاختصاص ان نصف هؤلاء كانوا آسيويين[1] . ورأى الاسكندر بعد عودته من الهند ان لا بد من تقبل العناصر الاسيوية بشكل منتظم خشية تضاؤل الجيش وفنائه . ولذا فاننا نرى بين « الرفقاء » عند وفاة الاسكندر بعض وجهاء فارس وبقطريانة وصغديانة وأرخوسية كما نرى فرقة الافواكي (Evakai) الكشافة مؤلفة من خيالة درنغيانة وآريد وبرثية وفارس . نرى الاسكندر بعد حفلات التزاوج المختلط في شوشن يؤلف جيشاً من ثلاثين الف شاب فارسي فيعلمهم اليونانية ويدربهم في اساليب القتال المقدونية . ونراه يعترف بخليلات عساكره الآسيويات فينشئ من اولادهن « فيالق اولاد الجنود » استعداداً لادخالهم في صفوف الجيش[2] .

الولايات : وحاول الاسكندر الدمج بين العنصرين في ادارة الولايات كما رامه في الادارة المركزية وفي الجيش . ولم يكن بمقدوره بطبيعة الحال ان يقلب ادارة الولايات عند الفتح رأساً على عقب . فأبقى على نظام الولايات « الستربيات » كما وجده . واكتفى باديء ذي بدء باستبدال الوالي « السَتْرَب » الفارسي بوالٍ مقدوني او يوناني انتقاه في غالب الاحيان من طبقة « الرفقاء » . وحيث وجد حاكماً محلياً حكم باسم الملك الفارسي أبقاه في مركزه ليثبت دعواه بانه انما جاء آسية محرراً . وهكذا فانه أبقى أدة (Ada) على عرش كارية حتى وفاتها كما ابقى ملوك المدن الفينيقية على عروشهم . ولكنه بعد انتصاره على داريوس أبقى عدداً من الولاة الفرس في مراكزهم في العراق وفارس او عيّن غيرهم من ابناء جنسهم[3] . ثم ظهرت نعرة قومية فارسية اسفرت عن شيء من العصيان فاضطر الاسكندر ان يعود الى « الرفقاء » المقدونيين اليونانيين فأوكل اليهم الحكم في الولايات النائية في اواسط آسية وفي الهند[4] . ولم يكتفِ الاسكندر بخضوع مرافق البلدان ومغانمها

---

(1) Arrien, *Anab.*, III, 12, 5; VII, 6; Berve, H., *op. cit.*, I, 181-183; Beloch, J., *Griech Gesch.*, III, 333 ff.

(2) Diod., XVII, 108, 110; Plut., *Alex.*, 47; Droysen, H., *Real-Encyc.*, « *Epigonoi* »; Jouguet, P., *Mac. Imp.*, 78-79.

(3) Arrien, *Anab.*, III, 16-25; Lehman-Haupt, *Real-Encyc.*, « Satrap ».

(4) Niese, B., *Gesch. Griesch. Maked. Staten,* 500-509.

في آسية وبالسيطرة على الطرق الرئيسية التي كانت تربطها كما اكتفى ملوك الفرس من قبله بل انه اخضع لسلطته بعض المناطق التي كانت قد تمتعت بشيء من الاستقلال نظرًا لوعورة مسالكها او صلابة أهلها . ومن هنا هذه الحملات التي انفذها على البسيديين والسكيثيين والاوكزيانيين . واستأثر الولاة في عهد الفرس بشطر وافر من السلطة فسلكاو سلوك الملوك المستقلين في غالب الاحيان . فجاء الاسكندر يتطلب الطاعة التامة والانقياد الكامل والخضوع بلا قيد او شرط للمراقبة والتفتيش . فأقام الى جانب مازاوس والي بابل مثلاً القائدين العسكريين المقدونيين ابولودوروس (Apollodorus) ومينس (Menes) وجعل في القلعة اغاثون (Agathon) محافظاً[1] . وعين الاسكندر في برثية وهيرقانية تايبوليموس (Tlepolemos) اسقفاً الى جانب الوالي الوطني اميناسبيس (Amminaspes)[2] . ومعنى اللفظ اسقف هنا مفتش عسكري . ويستدل من بعض النصوص الاولية ان الاسكندر أقام في بعض الاحيان والياً على بعض الولاة دعاه هيبارخوساً (hyparchos) او جعل بعض رجال ادارته حكاماً على بعض المناطق في بعض الولايات مستقلين عن الولاة فوقهم فأطلق عليهم هذا اللقب نفسه[3] .

ولاية سورية : وكانت ستربية سورية تمتد في عهد الفرس من البحر الى بابل ومن ارمينية الى الجزيرة العربية . فجعلها الاسكندر عند بدء حكمه لا تشمل سوى سورية الحقيقية وفينيقية وفلسطين . وجعل عاصمتها دمشق حيث تولى الحكم فيها كل من مينون (Menon) وأريماس (Arimmas) واسكليبيوذوروس (Asclepiodoros) . وبعد غوغملة المعركة الحاسمة شملت سورية بالاضافة الى ما تقدم الجزيرة التي تقع بين النهرين . ونصّب الاسكندر على سورية الكبرى هذه والياً كبيرًا نجهل اسمه . وجعل له معاونين في ادارة المال وفي ضبط الامن . ووهب عدّوس رئيس كهنة اليهود بعض السلطة[4] . ثم خشي طموح من يحكم هذه البلدان فسلخ فينيقية عن سورية في السنة ٣٢٩ نفسها . وفي السنة ٣٢٣ جعل من الجزيرة بين النهرين ستربية خاصة[5] .

فينيقية : واتبع الاسكندر في ادارة شؤون فينيقية السياسة نفسها التي كان قد اتبعها الوالي الفارسي مازايوس. فأبقى على نظام الملكية في المدن الفينيقية وثبت الملوك

(1) Arrien, *Anab.*, III, 16; Diod., XVII, 64, 5; Curt., I, 43-44.
(2) Arrien, *Anab.*, III, 22, 1.
(3) Jouguet, P., *Mac. Imp.*, 83.
(4) Berve, H., *op. cit.*, II, 182.
(5) Leuze, O., *Die Satrap. in Syrien und Zweistromlande*, (520-320).

على عروشهم فظل جيروستراتوس ملكاً في ارواد وانيلوس في جبيل . ولكنه خلع ستراتوس عن عرش صيدا واجلس عبدايلونيموس (Abdalonymos) مكانه . وجعل من صور وغزة قلعتين مقدونيتين على كل منهما محافظ مقدوني . وربط الجميع في الشؤون المالية بمدير المال لسورية وقيليقية . وفرض عليهم الاتاوة السنوية والمعونة العسكرية والبحرية[1] . وقد سبقت الأشارة الى مصر عند الكلام عن فتحها . فلتراجع في محلها .

المدن والجاليات اليونانية المقدونية : وكان ايسوقراطوس الفيلسوف قد أوصى فيليبوس بانشاء المدن اليونانية في آسية لتوطيد سلطة اليونان ونشر حضارتهم[2] . وما لم يتمكن الاب من الوصول اليه احرزه الابن . ولكن يجب الا يبالغ في هذه . فان بلوتارخوس يؤكد في كلامه عن الاسكندر ان النابغة المقدوني انشأ في آسية ما لم يقل عن السبعين مدينة يونانية جديدة[3] . ولكن رجال الاختصاص قد اثبتوا ان هذا العدد مبالغ فيه جداً وان اهمية المدن التي انشأها الاسكندر لم تكن كما ذكرتها المراجع الاولية وانه يجب الا نخلط بين ما أسسه الاسكندر وبين ما نشأ في عهد خلفائه فنسب اليه بعد وفاته اعترافاً بفضله وتخليداً لذكره . والاسكندريات في عرف رجال الاختصاص اربع وثلاثون والحقيقيات المحققات منها سبع عشرة[4] . ولم تكن هذه كلها جديدة ولم تنشأ كلها مراكز للتجارة والاخذ والعطاء . بل ان بعضها كان في البدء حصناً عسكرياً صغيراً . واشهر هذه الاسكندريات الحقيقيات اسكندرية سورية — الاسكندرونة — واسكندرية مصر — واسكندرية آرية — هراة — واسكندرية ارخوسية — كندهار — واسكندرية الاكسرتيس — خدوند .

ولا نعلم الشيء الكثير عن نظم هذه الاسكندريات حتى ولا عن اسكندرية مصر العظيمة التي قد يكون الاسكندر اشرف على وضع نظمها بنفسه . وجل ما يمكن قوله هو ضرب من الاجتهاد قد يكون ضعيفاً . فالباحثون يرجحون وجود بولة (Boula) واكليزية (Ecclesia) في كل اسكندرية . والبولة هي المجلس والاكليزية الشعب . وهنالك حاكم في كل من هذه الاسكندريات لقبه هيبارخوس او فروراخوس يتولى شؤون العنصرين اليوناني والوطني . ويجوز القول ايضاً انه حيث غلب العنصر اليوناني تمتع الشعب بقسط وافر من الاستقلال الذاتي . ونجهل ما اذا كان كل مواطن يوناني مقدوني في هذه المدن

---

(1) Berve, H., *op. cit.*, I, 284 ff.; Arrien, *Anab.*, II, 13, 7, 15, 6; Curt., XIV, 1, 15; Diod., XVII, 46, 8.

(2) Hagen, B. Von, *Isoc. und Alex.*, *Philologus*, 1906, 113.

(3) Plut. S. Fort., *Alex.*, I, 5, 328.

(4) Chapot, V., *Alex. Fondat. Villes*, *Mélanges Glotz*, I, 174 f.

يملك ارضاً في ضواحيها وما اذا كانت هذه الارض معفاة من الضرائب . وهكذا فانه نظراً لضآلة المصادر وغموضها لا نعلم بالضبط غاية الاسكندر من انشاء هذه المدن كما اننا لا ندري ما تم بشأنها في عهده[1] . ولكنه جاء في تاريخ ديودوروس ان برديكماس أعلم المقدونيين بعد وفاة الاسكندر « ان سيده رمى الى دمج هذه المدن اليونانية الحرة لتصبح مدينة واحدة وانه اراد ان ينقل الناس من اوروبة الى آسية ومن آسية الى اوروبة لتوحيد الصفوف بالتحالف والتزاوج والوئام والصداقة » . فيكون الاسكندر والحالة هذه قد رأى في اسكندرياته وسيلة فعالة للوصول الى هذا التفاهم والتكاتف في مملكة تباينت مدنياتها واختلفت عناصرها . ولا يعقل ان يكون قد رمى الى انشاء امبراطورية على مبدأ استقلال العناصر التي تألفت منها استقلالاً داخلياً كما توهم مومسن (Mommsen) المؤرخ الالماني الكبير[3] .

وقد ذهب المؤرخون ورجال الفكر والفلاسفة مذهبين في تقدير هذه الناحية من حياة الاسكندر . فهنالك من رأى ولا يزال يرى رأي سنكه فيقول ان الدور الذي لعبه الاسكندر كان دوراً جنونياً سعيداً « felix temeritas » . وهنالك من رأى ولا يزال يرى رأي بلوتارخوس فينادي بفضل الاسكندر الخالد وفضيلته . والواقع ان الاسكندر حطّم بفتوحاته الحواجز التي كانت تفصل اليونانيين عن العالم الخارجي فوسّع افقهم وجعله عالمياً بعد ان كان يونانياً واتاح للشرقيين في آسية وافريقية ان يتمتعوا بثقافة كانت اعلى بدرجات من اي شيء توصلوا اليه .

---

(1) Glotz, G., *Alex.* etc., *op. cit.*, 245-246.
(2) Diod., XVIII, 4, 4.
(3) Jouguet, P., *Mac. Imp.* 89-90.

الفصل الرابع

سقوط أسرة الإسكندر وتقسيم الامبراطورية

٣٢٣-٣١٦ ق.م

مشكلة الخلافة : واختُطف الاسكندر اختطافاً . ولم يوصِ بالخلافة . ووصيته كما جاءت في رواية «كليسثينس الكاذب» انما هي دس وتزوير دُبرت في السنة ٣٢٠ قبل الميلاد لمناوأة انتيباتر[1] . وشاءت الاقدار ان يكون الجيش في بابل عند الوفاة . فلما علم كبار الضباط بما جرى تشاوروا فيما بينهم ونظروا في امر الخلافة . فقالت اكثرية هؤلاء بوجوب الانتظار حتى شهر آب موعد ولادة روكسانه زوجة الاسكندر الفارسية . وأيد هؤلاء في موقفهم معظمُ ضباط الخيالة . ولكن المشاة الذين كانوا في عرف المقدونيين يمثلون الامة جمعاء ويتمتعون بحق الموافقة على ارتقاء العرش رفضوا هذا الاقتراح وأبوا ان يخضعوا لامير يحمل دم البرابرة في عروقه وقالوا بحق أريدايوس (Arridaeus) اخي الاسكندر من ابيه في الملك . وكان بعضهم قد احتج على ادخال العنصر الاسيوي في الجيش قبل وفاة الاسكندر بسنة فغضبوا لكرامتهم عندما سمعوا بامكانية تولي ابن روكسانة . وكان أريدايوس اخاً غير شرعي للاسكندر ابن احدى خليلات فيليبوس . وكان مصاباً بداء النقطة واكدوا انهم سينصبون اريدايوس بالقوة . فتدخل العقلاء من الطرفين وقالوا بحلٍ وسط . فرضي الجميع بان يكون اريدايوس وابن روكسانة ملكين في وقت واحد . ووضعت روكسانة في شهر آب ولداً ذكراً سمي الاسكندر الرابع ورقي اريدايوس العرش واتخذ لنفسه اسم فيليبوس الثالث .

واختلف الضباط في امر الوصاية على الاسكندر الرابع وعلى فيليبوس الثالث السقيم فقام وصيان بدلاً من وصي واحد : برديكاس (Perdiccas) وكراتيروس (Craterus) . وكان كراتيروس ألمع الوصيين ولكنه كان بعيداً عن بابل عند الوفاة . أما برديكاس فانه كان قد لازم الاسكندر في اثناء مرضه وكان يحمل خاتم سيده فظهر في اثناء

(1) Ausfeld, A., *Rhein. Mus.*, 1895, 357 ff., 1901, 517 ff.

هذه الحوادث اكثر من زميله . فتسلم ادارة الجيوش والسلطة التنفيذية . وأصبح كراتيروس الوصي على فيليبوس الثالث وامين الخزينة العامة .

ورأى كبار الضباط الا يصار الى تنفيـــذ خطة الاسكندر في اخضاع الجزيرة العربية وان تبذل الجهود في ضبط امور الدولة واحكام الروابط بين اجزائها المترامية المتباينة . فعدلوا عن قيادة الجيوش في فتوحات جديدة وتقاسموا فيما بينهم ادارة اهم الولايات . فتسلم بطلميوس ابن لاغوس مصر وتولى لاوميذون (Laomedon) رفيق الاسكندر في الصبا امور سورية وفيلوطاس قيليقية وميناندروس ليدية وليوناتوس فريجية المضايق وليسيماخوس تراقية وبيثون مادي وكونوس سوسيانة وارخون بابل . وتولى شؤون معظم اسية الصغرى انتيغونوس كما بقي انتيباتروس حاكماً على مقدونية واليونان[1] .

وصاية برديكاس : (٣٢٣–٣٢١) وكان الاسكندر قد أجاد الفتح وأبهر الآسيويين فجاءهم بالعجب . فأذعنوا ولم يحركوا ساكناً حتى ولا بعد وفاته . وظلوا خاضعين خانعين قرناً كاملاً لسلطة المقدونيين واليونان . ولم يلقَ برديكاس اية مقاومة من هؤلاء ولكنه اضطر في السنة نفسها التي توفي فيها سيده ان يخمد ثورة قام بها الجنود اليونانيون في بقطريانة . فان عدداً كبيراً من هؤلاء كان لا يزال قائماً على حراسة الامن في اقصى الولايات الشرقية . وكانوا قد بدأوا يطالبون بالعودة الى اوطانهم منذ السنة ٣٢٥ . فلما توفي الاسكندر تجمعوا في بقطريانة ونظموا صفوفهم واقتدوا بزينوفون وآلافه العشرة وعمدوا الى شق طريقهم الى اوطانهم في الغرب . وجاء في بعض المراجع انهم بلغوا ثلاثة وعشرين الفاً . وكان برديكاس قد توقع شيئاً من هذا فجمع قوة كافية لصد المتمردين . وكانت موقعة بين القوتين أسفرت عن استسلام المتمردين لبيثون القائد نظراً لسهولة شروطه . ولكن جنوده المقدونيين عبثوا بالعهود طمعاً بالغنائم فكانت مجزرة في خريف السنة ٣٢٣ اضاعت على الحكم المقدوني في الشرق البعيد عدداً كبيراً نسبياً من الرجال الاوروبيين غير الاسيويين .

وكان الاسكندر منذ ان تمّ له النصر على الفرس قد بدأ يغير موقفه من «حليفاته» دويلات اليونان . فأبقى الحاميات المقدونية في كورنثوس وغيرها واستبدل « اقتراحاته » لمجلس الاتحاد ببيانات اتخذ فيها لهجة الآمر . وفي السنة ٣٢٤ طلب ادخاله في مصاف

(1) Diod., XVIII, 3; Curt., X, 10; Just., XIII, 4.; Lehmann-Haupt, «*Satrapia*», *Real-Encyc.*; Beloch, J., *Griech. Gesch.*, III, 2, 226-244.

الآلهة[١] . ثم طلب الى بعض حليفاته ان تتنازل عن حقوقها في بعض الاراضي لغيرها وان تقبل عودة المنفيين الى اوطانهم وادى هـــذا الطلب الاخير الى مشاكل حول استرجاع الاملاك المصادرة[٢] . فشق كل هذا على اليونانيين وحزَّ في صدورهم . فلما وصلت انباء وفاة الاسكندر الى اثينة التفت العناصر المتطرفة حول هيبريذس (Hyperides) الخطيب وطالبت بتحرير اليونان من النير المقدوني ! وشد ازر الاثينيين في البداية القبائل الايتولية . ولم يكن لدى انتيباتروس ما يكفي لاخضاع هؤلاء فانكسر واحتمى في حصون لامية في جنوبي تسالية . فدعيت هذه الحرب الحرب اللامية ودعيت ايضاً الحرب الهلينية . ثم جاءت المعونة من آسية فتغلبت السفن الفينيقية القبرصية على سفن أثينة عند المضايق وعبر كراتيروس بمشاته وخيالته الى تراقية فمقدونية . فانتصر المقدونيون على الاثينيين وحلفائهم وكانوا قد اصبحوا كثرًا عند كرانون (Crannon) في صيف السنة ٣٢٢ فدخل انتيباتروس أثينة وقضى على الديموقراطية فيها فحصر الحقوق السياسية في من كان يملك الفي درهم فما فوق . ثم بسط سلطة مقدونية على سائر بلاد اليونان[٣] .

وفيما كان انتيباتروس وكراتيروس يدوخان أثينة وحلفاءها اليونانيين كان برديكاس الوصي الاكبر منهمكاً في اخضاع المناطق الجبلية الوعرة في آسية الصغرى التي والت الاسكندر في اثناء الفتح فأبقاها في ايدي حكامها الوطنيين او ولاتها الفرس . ووجَّه برديكاس اهتمامه بنوع خاص ضد ارياراتس (Ariarathes) الفارسي الذي كان قد بدأ ينشئ دولة مستقلة في قبدوقية مطلاً بها على طرابزون وسينوب والبحر الاسود . وطلب برديكاس الوصي الى انتيغونوس وليوناتوس الواليين المجاورين ان يتوليا امر اخضاع أرياراتس الفارسي . فأبى انتيغونوس ولم يمتثل وقام ليوناتوس الى مقدونية فاليونان لمعاونة انتيباتروس في الحرب اللامية ولاقى حتفه فيها . فاضطر برديكاس ان يتولى قيادة الجيش بنفسه . فزحف على ارياراتس وانهى امره بسرعة ثم أمر به فرفع على الخازوق .

وعاد الوصي الى بابل فرأى ان يعالج عدم امتثال انتيغونوس وغيره من الضباط المقدونيين لاوامره فاتهم ميلياغوروس (Meleager) قائد المشاة الذين هددوا بالتمرد في اثناء البحث في امر الخلافة بالخيانة واجرى محاكمته امام هيئة عسكرية عليا فأثبت جرمه ونفذ فيه حكم الاعدام . ثم اتهم انتيغونوس بالتمرد وطلب اليه المثول امام هذه

(1) Meyer, E., *Kleine Schriften*, I, 267.

(2) Hicks, *Greek Hist. Inscrip.*, 164.

(3) Diod., XVII, 111, XVIII, 9 ff.; Plut., *Phoc.*, 28; Paus., I, 25, 5.; Jouguet, P., *Mac. Imp.*, 121-124.

الهيئة العسكرية العليا فأبى وتوارى عن الانظار . ويرى العلامة الانكليزي تارن ان برديكاس كان مخلصاً في ولائه للاسرة المقدونية المالكة ولكنه كان قاسياً عتياً حقوداً[1] .

وكان برديكاس في اوائل عهده على تفاهم تام فيما يظهر مع أنتيباتر وكراتيدوس وجرت محاولة لتعزيز هذا التفاهم بالمصاهرة . فوافق انتيباتر على زواج كل من برديكاس وكراتيوس وبطليموس من بناته الثلاث . ولكن اولمبياس ام الاسكندر لم تكن راضية عن أنتيباتر فأرسلت الى برديكاس تدعوه الى الزواج من ابنتها كليوبترة اخت الاسكندر والى نقل جثمان الاسكندر الى مقدونية وتولي العرش فيها . وأشار افمينيوس (Eumenes) صديق برديكاس الامين بقبول هذا العرض وبالقيام الى مقدونية . ولكن برديكاس تردد وآثر التريث فحنقت اولمبياس وابنتها كليوبترة . وفرّ انتيغونوس والتجأ الى انتيباتروس وكراتيدوس كما سبق ان أشرنا فدسّ بينهما وبين برديكاس واكد طمع هذا في العرش ولا سيما بعد ان شاع خبر الزواج من كليوبترة اخت الاسكندر واستعداد برديكاس للقيام الى مقدونية لتولي الاحكام فيها .

وساءت علاقات برديكاس ايضاً مع بطليموس بن لاغوس الذي فاز بمصر عند اقتسام الولايات في بابل . وكان بطليموس منذ وفاة الاسكندر يعلل النفس بعرش مستقل فآثر مصر على غيرها نظرًا لوفرة الدخل فيها ولاستقلالها استقلالاً طبيعياً عما جاورها من الاقطار. وفي السنة ٣٢٢ تدخل في شؤون قورينة (Cyrene) لتوطيد الامن في ربوعها فاستولى عليها وعلى ما جاورها وضمها الى نصيبه من ارث الاسكندر[2] . وفي هذه السنة نفسها عزم برديكاس على نقل جثمان الاسكندر الى مقدونية العليا ليدفن في المدافن الملكيه في آجية (Aegae) . فانتدب ارابايوس (Arrhabaeos) للقيام بهذه المهمة . فخرج الجثمان من بابل على عربة فخمة تجرها الخيول المطهمة(٦٤). فلما وصل الموكب الى سورية في طريقه الى مقدونية اتصل بطليموس بارابايوس فاستماله اليه وحول الموكب عن مقدونية الى مصر . فاحتفظ بطليموس بالجثمان في ممفيس ثم نقله فيما بعد الى الاسكندرية حيث دفن بالاكرام والاجلال وحيث اقيم له هيكل بديع متقن. وكان قد شاع ان المكان الذي يدفن فيه الاسكندر يفوق جميع الاقطار في العظمة والثروة فآثر بطليموس ان يكون النجاح لمصر دون سواها[3] .

---

(1) Tarn, W. W., *Heritage of Alexander*, *Cam. Anc. Hist.*, VI, 462.
(2) *Revue Etudes Gr.*, 1934, 258; Carry, M., *Jour. Hell. Stud.*, 222 ff.
(3) Diod., XVIII, 26-28; Paus. I, 6, 3.

وغضب برديكاس لكرامته . واوجس بطليموس خوفاً من نوايا برديكاس وأرسل رسلاً الى انتيباتر وكراتيروس لينبههما الى اطماع برديكاس ويحثهما على اتخاذ الوسائل الواقية من استبداده . فازوج انتيباتر كراتيروس وبطليموس من ابنتيه كما زف الثالثة الى ليسماخوس والي تراقية ليضمن حياده . ثم جهز جيشاً وزحف به لمقاتلة برديكاس في ارضه . فنهض برديكاس وقسم جيشه الى قسمين سلم قيادة قسم منه الى اومانيس والي قبدوقية وصديقه وزحف هو بالقسم الآخر لمحاربة بطليموس . ولما علم انتيباتر وكراتيروس ذلك قسما جيشهما الى قسمين ايضاً . وتقدم الاول الى قيليقية يهدد مؤخرة برديكاس . ومشى الثاني لمحاربة افمينيوس . فلقيه بالقرب من الدردنيل في مكان نجهل اسمه . فخر كراتيروس قتيلاً وتراجع جيشه عن القتال . وأسرع برديكاس في سيره ووصل الى مصر وحاصر بليسيوم و«سور الجمل» ولكنه لم يتمكن من الاستحواذ عليهما . فسار الى رأس الذلتا وبدأ يعبر النيل في افضل اوقات العبور (حزيران ٣٢١) فخانه رمل القعر وخسر الفين من افضل رجاله . وكان لا يزال قاسياً متكبراً فخرج بيتون (Peithon) وسلوقوس (Seleucus) عليه وقتلاه في سرادقه واستسلما لعدوه بطليموس . ولم يصعب على صاحب مصر ان يبرر موقفه من برديكاس امام الضباط والجنود . وكان بامكانه ان يعلن نفسه وصياً وخلفاً لبرديكاس ولكنه اسند ذلك الى عهدة بيتون وارابايوس ليتسنى له التشاور مع انتيباتر وانتيغونوس اللذين كانا قد أصبحا عبر المضايق في آسية[١] .

وصاية انتيباتر : (٣٢١—٣١٩) وكانت أفريديقية (Eurydice) حفيدة فيليبوس الثاني من زواج غير شرعي قد فرضت نفسها زوجة لفيليبوس الثالث بعد وصوله الى العرش . فلما توفي برديكاس استغلت ولاء الجند للاسرة المالكة واعلنت نفسها وصية على زوجها. وتابع أنتيباتر سيره جنوباً وعاد جيش برديكاس من مصر متجهاً شمالاً . فتم التشاور بين كبار ضباط الجيشين في براديسوس (Paradisus) عند قاموع الهرمل بالقرب من مصدر العاصي . وقد تكون عند الجوسية بالقرب من الزراعة[٢] . واتفق الجمع على أن يكون انتيباتر وصياً . واعادوا توزيع الولايات وأوجبوا الطاعة على جيش افمينيوس في اسية الصغرى[٣] .

---

(1) Diod., XVIII, 33-36; Just., XIII, 8, 1-2; Glotz, G., *Alex.*, *op. cit.*, 281-283; Jouguet, P., *Mac. Imp.*, 130-131.

(2) Hartmann, M., *ZDPV*, 1900, 117-119; Dussaud, R., *Top. Syrie*, 112.

(3) Diod., XVIII, 39, 1-4; Arrien Diad, 32-33.

وتغلب أنتيباتر على مطامع افريديقية وأفزعها . واستولى على فيليبوس السقيم وعلى الاسكندر الطفل ونقلهما الى مقدونية . وقام صديقه وحليفه انتيغونوس على رأس قوة الى آسية الصغرى فضرب اومينس ضربة قاضية في ربيع السنة ٣١٩ وشتت شمل جنوده . ففر اومينس واعتصم في نورة (Nora) في اعلى تلال طوروس الشمالية ولعلها حسن داغ الحالية . وكان انتيباتر قد تقدم في السن فتوفي في هذه السنة نفسها(٣١٩) .

نهاية اسرة الاسكندر : (٣١٩–٣١٦) وأوصى انتيباتر بالوصاية الى بوليبيرخون (Polyperchan) الذي كان قد رافق الاسكندر الى الهند ثم ابلى بلاء حسناً في الحرب اللامية . ووافق الجند على هذا الانتقاء وتسلّم زمام الامور ولكنه لم يتمكن من فرض سلطته على كبار الولاة . فان بطليموس قام الى سورية وفينيقية واستولى عليها ضارباً باتفاق باراديسوس (الهرمل) عرض الحائط . وكذلك انتيغونوس فانه ضم الى ولايته فريجية العليا وليدية ووصل الى ساحل البحر وشرع في انشاء اسطول حربي . ثم تفاهم واومينس ومدّ يده الى كسّاندر (Cassandros) بن انتيباتر الذي لم يرضَ عن وصاية بوليبيرخون .

فأحاط بوليبيرخون نفسه بمجلس من كبار المقدونيين وكتب الى اومينس يستفز ولاءه للبيت المالك . ثم اعلن العودة في بلاد اليونان الى الوضع السياسي الذي انشأه فيليبوس كما أعلن موافقته على عودة المنفيين الى اوطانهم . وما ان وافق افمينس على برنامج بوليبيرخون حتى خوله هذا قيادة فرقة التروس الفضية التي كانت لا تزال في قيليقية . فقام افمينس الى قيليقية وتولى قيادة هذه الفرقة واستولى على ما تبقى من مال الخزينة فيها فجيش جيشاً من المرتزقة وقام به (٣١٩–٤١٨) الى فينيقية ينشئ اسطولاً حربياً .

وفي خريف السنة ٣١٨ التقى اسطول انتيغونوس بما تبقى من اسطول انتيباتر عند البوسفور فدارت الدائرة اولاً على اسطول انتيغونوس . ولكن هذا استمال بيزنطة ونقل رجاله ليلاً الى ضواحيها . وفي صباح اليوم التالي فاجأ سفن عدوه الراسية في البر والبحر في آن واحد فقضى عليها قضاء تاماً وأصبح بفضل ذلك سيد بحر إيجه . وترك انتيغونوس تدبير الامور في اوروبة الى حليفه كساندر واتجه هو نحو اومينس في آسية .

فسارعت اثينة الدويلة البحرية الى استرضاء سيد البحر . فأعاد كساندر شيئاً من الديموقراطية اليها جاعلاً حق الاشتراك في تسيير دفة المدينة في يد من كان يملك الف درهم بدلا من الفين كما سبق ان اشرنا . وجعل لقب حاكمها الجديد ديمتريوس الفلرمي ستراتيجوساً او ارخوناً . ثم ابحر كساندر الى مقدونية حيث تفاهم وافريديقية فاعلنه زوجها

فيليبوس السقيم الثالث خليفة لبوليبيوخون . فعاد كساندر الى بلاد اليونان ليفرض سلطته عليها وبدأ سلسلة من الحصارات في المورة .

وفرّ بوليبيرخون والتجأ الى اولمبياس ام الاسكندر في ابيروس . فقامت اولمبياس الى مقدونية لتوطيد سلطة بوليبيرخون . فجمعت افريديقية الجنود واسرعت لصدها . غير ان اولمبياس اظهرت شجاعة الابطال فتقدمت الى ما بين الجيشين المتحاربين وأرت العساكر ابن سيدهم المتوفي ونادت ان هذا هو ملككم الشرعي الوارث بحق سلطنة ابيه الاسكندر . فضجوا واستسلموا لها تاركين افريديقية وزوجها فيليبوس الثالث اسيرين في قبضة يدها فألقتهما في السجن ثم أمرت بقتلها (٣١٧) . واستبدت بالحكم كأن الزمان قد صفا لها . فبادر كساندر اليها مسرعاً فامتنعت في قلعة بدنة (Pydna) وهي قطرون الحالية فاخذها عنوة واسر اوليمبياس ثم امر بقتلها سنة ٣١٦ . ثم تزوج تسالونيكية اصغر بنات فيليبوس ووضع اسكندر اغوس وامه روكسانة في السجن في قلعة امفيبوليس ليأمن شرهما ويكونا بعيدين عن دسائس ذوي الاطماع والاغراض . وابقى كساندر على حياة الاسكندر الرابع وعلى حياة والدته ست سنوات اخرى .

الفصل الخامس

أنتيغونوس الأول

٣١٦ - ٣٠١ ق.م.

العرش الامبراطوري وطلابه : ولم يبقَ لدى حكام الولايات الشرقية عدد كافٍ من المقاتلين المقدونيين او اليونانيين يتوصلون بهم الى فرض سلطتهم على من جاورهم من الحكام والشعوب . وأصبح واضحاً وضوح النهار انه لا بد من الوصول الى ساحل المتوسط والاتصال بمقدونية واليونان لكل من تخوله نفسه الاستقلال والسيطرة والتوسع .

وكان بطليموس على ساحل المتوسط وكان لديه الدخل الكافي لتجييش الجيوش . وكان يسهل عليه الوصول الى اليونان وجزرها والى مقدونية لاستقدام الرجال واستخدامهم ولا سيما وانه كان قد سيطر على فينيقية وبحارتها وسفنها . ولكنه لم يكن بطبيعته مغامراً فلم يستطع ابداً ان يجازف بكل ما كان قد توفر لديه من مال وسلطة لارتقاء عرش الاسكندر[١] . وتوفرت الرجال لدى كساندر في اليونان ولكنها لم تتوفر في مقدونية نظراً لشدة الطلب عليها في عهد الاسكندر . وكانت مناجم الذهب في منطقة فيليبي قد بدأت تنضب . فاقتدى كساندر بفيليبوس اكثر من ابنه الاسكندر واكتفى فيما يظهر بانشاء دولة في اوروبة على غرار دولة فيليبوس . وكان انتيغونوس قد فاز بأمرة عدد كبير من جنود الاسكندر وبالاستيلاء على شطر وافر من ساحل آسية الصغرى . وكان اوسع ضباط الاسكندر افقاً واشدهم مثابرة . ولم يكن له كفؤ في القيادة سوى اومينس وفي التنظيم وجمع المال سوى بطليموس[٢] . وكان قد خسر احدى عينيه في الحرب ضد الفرس في آسية الصغرى فنال لقب « الاعور» (Monophthalmos)[٣] .

انتيغونوس وافمينس : وانتصر انتيغونوس على بوليبيرخون في موقعة البوسفور البحرية في اواخر السنة ٣١٨ كما سبق ان اشرنا . فترك تدبير شؤون اوروبة الى حليفه كساندر

---

(1) Glotz, G., *Alex.*, *op. cit.*, 278-279; Jouguet, P., *Mac. Imp.*, 135-136.

(2) Carry, M., *Hist. of Gr. World*, 21-22.

(3) Berve, H., *op. cit.*, II, 278.

واسرع عبر آسية الصغرى الى سورية . وكانت بوارجه المنتصرة قد ابحرت الى الشاطئ السوري الفينيقي فحصرت بوارج افمينيوس في مياه أرسوز (Rhosus) . فاستسلمت هذه دون قتال . فاستولى انتيغونوس عليها وعلى كل ما وجد من عتاد ومال[1] .

وقام افمينس بجيشه وجموعه الى بابل ليوحد الصفوف في الولايات الشرقية باسم بوليبيرخون وباسم البيت المالك . فلم يلقَ في بابل استقبالاً سعيداً لان سلوقوس واليها لم يعبأ بأوامر بوليبيرخون وكاد يقضي على افمينس وجنوده (٣١٧) عندما حوّل مياه دجلة الى خَوْر جاف . وبعد عناء دام يومين كاملين تمكن افمينس من الخروج من الاراضي المغمورة واتجه نحو شوشن[2] . وكان بيتون والي مادي قد طمع في السلطة فحاول بسطها على زملائه في فارس وما يليها . فتألبوا عليه واحبطوا خططه واجتمعوا بقواتهم في شوشن . فأقبل عليهم افمينس وفاوضهم باسم البيت المالك . واقام خيمة في معسكره مزينة بشارات الملك واقام فيها عرشاً وطلب اليهم ان يتشاوروا كانهم امام الاسكندر نفسه . فمالوا اليه فكبر جيشه واصبح مساوياً لجيش انتيغونوس وفاقه بعدد الفيلة[3] .

ولم يتمكن انتيغونوس من ان يمنع هذا الاتحاد . فانه قضى شتاء السنة ٣١٨–٣١٧ في الجزيرة ما بين النهرين ينتظر اكتمال العدد والعدد وبين هذه الفيلة الخمسة والستون . ثم قام الى بابل للتفاهم مع بيتون وسلوقوس وتوحيد الجهود . وقام الجميع الى شوشن لضرب الخصم . ولكن شدة القيظ اضطرتهم الى النزوح شمالاً تاركين طريق بابل مفتوحة . فاراد افمينس ان يتجه غرباً ليقطع خط العودة على خصمه ويفصله عن قواعده . ولكن حكام الولايات الشرقية ابوا ان يتركوا ولاياتهم غنيمة باردة لانتيغونوس وحليفيه . فكانت موقعة براتيكنه (Paraetacene) بالقرب من اصفهان . ولم يظفر احد من الخصمين بالآخر . فعادا الى القتال في شتاء السنة ٣١٦ فكانت موقعة غبينة (Gabiene) بالقرب من شوشن . وابى المقدونيون المقاتلون في صفوف افمينس ان يشتركوا في المعركة وانسحبوا . فهجم فرسان انتيغونوس على معسكر اصحاب التروس الفضية فنهبوا متاعهم واسروا نساءهم وعيالهم . فغضب هؤلاء لكرامتهم وتواطأوا فسلموا افمينس الى خصمه مقابل اعادة الأسرى والغنائم . فانتهى بذلك دور افمينيس وقتل في السجن[4] .

---

(1) Polyaen., IV, 6, 9.
(2) Diod., XIX, 12-13, 1-16.
(3) Glotz, G., *Alex.*, *op. cit.*, 299-300.
(4) Diod., XIX, 37-44, 1-2; Plut., *Eum.*, 15-19; Polyaen., IV, 11-13.

انتيغونوس يطمع في الامبراطورية : وما ان تم لانتيغونوس هذا النصر ووالاه جميع الولاة الشرقيين حتى كشف عن وجهه فاذا به يريد السيطرة في الشرق . فأبقى على الولاة الذين انقادوا اليه واتهم الباقين بالخيانة فقضى على معظمهم . ووضع يده على أموال الامبراطورية الباقية ثم قام الى بابل يحاسب سلوقوس . ففر هذا من بابل والتجأ الى مصر وأخبر بما رأى . فكتب بطليموس الى كساندر وليسياخوس ينذرهما بسوء العاقبة . ثم كتب انتيغونوس ايضاً الى هؤلاء يفاوض على اساس الوضع الراهن . فلم يقبلوا ووجهوا اليه انذاراً اوجبوا به اعادة النظر في توزيع الولايات وفي تقسيم المال الامبراطوري . فاندلعت حرب جديدة في ربيع السنة ٣١٥ .

وفاق انتيغونوس اخصامه في المال وفي الرجال . فانه بدأ القتال بخمسة وعشرين الف وزنة من الفضة وتمتع بدخل سنوي من ولاياته الشرقية قدره اثنا عشر الف وزنة . وكان بامكانه ان يزج الى ساحة القتال اكبر عدد من الرجال[1] . وكانت جبهاته نظراً لموقعه الجغرافي اقرب لقواعده من جبهات اخصامه لقواعدها .وأدرك انتيغونوس فائدة الدعاية في الحرب فادعى انه انما يحارب كساندر لموقفه الشاذ من ام الاسكندر وحفيدها. ووعد المدن اليونانية بالعودة الى الاستقلال وباجلاء الحاميات المقدونية عنها . وبث دعاته الواحد تلو الآخر في اليونان وفي تراقية ليحرض الناس على الثورة ضد كساندر وليسياخوس[2] .

الحرب في سورية وفينيقية : وكان بطليموس قد استحوذ على مرافئ الساحل السوري الفينيقي وعلى احواضها فرأى انتيغونوس ان يزحف على سورية وفينيقية ليستولي على هذه الاحواض ولينشئ اسطولاً جديداً يسيطر به على البحر فيمنع اتصال اخصامه بعضهم ببعض . فقام في ربيع السنة ٣١٥ واحتل معظم هذين البلدين دون مقاومة . وكان بطليموس قد آثر الانسحاب واكتفى بابقاء حاميات قوية في بعض أماكن محصنة. فصمدت صور في وجه انتيغونوس واضطر ان يحاصرها اربعة عشر شهراً . ولكنه اكتسح الساحل كله حتى غزة وجمع ثمانية آلاف عامل وقطع الاشجار من لبنان وطوروس ونقلها الى احواض طرابلس وجبيل وصيدا . وفتحت رودوس ايضاً احواضها له فارسل اليها الاخشاب اللازمة[3] .

---

(1) Diod., XIX, 56, 5.
(2) Diod., XIX, 57, 5, 60, 1, 61, 1-5; Heuss, A., *Antigonos Monoph.*
(3) Diod., XIX, 58, 1-5.

وكان بطليموس قد جمع السفن والبوارج الفينيقية كلها في الاسكندرية وغيرها من مرافئ مصر فجهز جيشاً قوياً وانفذه بقيادة اخيه مينيلاوس (Manelaos) الى قبرص فأخضعها . ثم أمّر بطليموس سلوقوس على مئة بارجة واطلقها الى قبرص تناوئ الشاطئ الفينيقي حيث كان يعمل انتيغونوس ولكن دون جدوى . وتدخل بطليموس في شؤون اليونان ووعدهم بالاستقلال وبالديموقراطية كما فعل خصمه وأنفذ قوة بحرية مؤلفة من خمسين بارجة لتدعم القول بالفعل . وفي اواخر السنة ٣١٥ بينما كانت هذه القوة راجعة الى قواعدها اصطدمت في مياه قيليقية بقوة بحرية رودوسية كانت قادمة الى الشاطئ السوري الفينيقي لتلتحق باسطول انتيغونوس . فقدر النصر لهذه وخسر بطليموس خمسين بارجة وعدداً لا يستهان به من الرجال . ففاوض بطلميوس انتيغونوس في السلم فلم يقبل بل تبجح بان اسطوله سيصبح خمس مئة بارجة[1] .

وكان انتيغونوس يرى انه لا بد من الوصول الى مقدونية والسيطرة عليها ليتم له ما اراد من عرش وسلطان فان مقدونية كانت قد اصبحت نقطة الدائرة في الامبراطورية . فلما تم انشاء الاسطول اتجهت انظاره الى جزر الارخبيل فاستولى على ما تجمع منها حول ذلّس (Delos) الكوكلاذس (Cyclades) وألف منها اتحاداً وحكمها بهذا الاتحاد . وأدخل في حوزته مزار ابولونوس الشهير . فقلد بسياسته هذه سيده واستاذه الاسكندر[٢] . وانفذ انتيغونوس نسيبه بوليميوس (Polemaios) في خريف السنة ٣١٤ الى آسية الصغرى فحارب في قبدوقية وكارية وفرض سلطة سيده عليها . ثم قام انتيغونوس بنفسه الى آسية الصغرى فدانت له . فزحف الى المضايق (٣١٣) ولكنه لم يتمكن من العبور الى اوروبة لان ليسياخوس وقف له بالمرصاد ولان بيزنطة رفضت التعاون معه واستمسكت بحياد تام[٣] .

موقعة غزة : وكان انتيغونوس قد ألقى مقاليد الأمور في سورية وفينيقية الى ابنه ديمتريوس . وكان قد ابقى تحت تصرف هذا الشاب الفين من المقدونيين وعشرة آلاف من المرتزقة وخمسة آلاف فارس واربعين فيلاً[٤] . فلما أنهى بطلميوس عمله في قورينة واعادها الى الطاعة وأخضع من ملوك قبرص من سوّلته نفسه الاتصال بانتيغونوس

---

(1) Diod., XIX, 58, 5-6, 64, 5-8; Glotz. G., *Alex.*, *op. cit.*, 307-308.

(2) Heuss, A., *Hermes*, 1938, 133 ff.

(3) Tarn, W. W., *Heritage of Alex.*, *Cam. Anc. Hist.*, VI, 486-487.

(4) Diod., XIX, 69, 1.

اصغى الى نصيحة سلوقوس وأعد العدة لمحاربة القائد الحدث في سورية وفينيقية . وفي ربيع السنة ٣١٢ قطع صحراء سيناء على رأس ثمانية عشر الفاً من المشاة واربعة آلاف من الخيالة . فالتقى الخصمان عند غزة واتقى بطلميوس شر الفيلة بحاجز متحرك من السلاسل الحديدية الشائكة . وانتصر على خصمه وأسر ثمانية آلاف مقاتل مرتزق واحتل غزة . ففر ديمتريوس الى طرابلس واستقر فيها محاولاً اعادة تنظيم جيشه منتظراً المعونة من والده . وتقدم بطلميوس نحو الساحل الفينيقي فثارت حامية صور على محافظها واكرهته على الفرار وانحازت صيدا الى جانب بطلميوس[1] .

سلوقوس وبابل : واستغل بطلميوس ظرف المفاوضة في الصلح فأنفذ سلوقوس على جناح السرعة الى بابل . فانحاز الى جانبه بوليارخوس (Polyarchos) بالف من المقدونيين واستقبله البابليون الوطنيون بحرارة وفرح فلجأ أعوان انتيغونوس الى القلعة فدخلها سلوقوس عنوة . ونهج سلوقوس في سياسته في بابل نهجاً حرًا عادلاً فاستمال جميع القلوب اليه . وجيش نيقانور (Nicanor) قائد الولايات الشرقية العليا عشرة آلاف ماشٍ وسبعة آلاف فارس وقام لقتال سلوقوس . فكمن له سلوقوس عند دجلة بثلاثة آلاف ماشٍ واربع مئة فارس وفاجأه في الليل فقضى على مقاومته واجتذب جنوده اليه . فدانت شوشن ومادي الى سلوقوس . وبدأ التأريخ السلوقي (اول نيسان سنة ٣١١)[2] .

ديمتريوس والانباط : ولم يقو بطلميوس على ديمتريوس في سورية . فان الحملة التي انفذها بطلميوس بقيادة كيلاس (Killas) المقدوني باءت بالفشل عند Myonte . وهذه محلة نجهلها . فصمد ديمتريوس بعد هذا الانتصار وراء سباخ ينتظر المعونة من والده . وقطع انتيغونوس جبال طوروس فعاد بطلميوس الى مصر متجنباً مصادمة انتيغونوس مخرباً عكة ويافة والسامرة وغزة[3] .

ويفيد ديودوروس المؤرخ ان انتيغونوس انفذ في هذه الآونة حملة ارهابية عبر الاردن بقيادة صديقه اثنايوس (Athenaios) الى البتراء وان اثنايوس وصل الى وادي موسى واقتحم البتراء ونهب مستودعات البخور والمر واستحوذ على خمس مئة وزنة من الفضة

(1) Diod., XIX, 80-85; Plut., *Demetr.*, 5; Just., XV, 1, 6-19; Abel, *Gaza*, *Rev. Bib.*, 1935, 570-575.

(2) Diod., XIX, 90; *App. Syr.* 56; Just., XV, 4, 2-6.; Bouché-Leclercq, A., *Hist. Sel.*, I, 517-518.

(3) Bouché-Leclercq, A., *Hist. Lag.*, I, 50-51.

وقفل راجعاً وان الانباط كمنوا له فذبحوا معظم رجاله . ومما جاء ايضاً ان الانباط خشوا سوء العاقبة فاوفدوا من يعتذر امام انتيغونوس . فتبرأ هذا من اثنايوس ثم عاد فانفذ ابنه ديمتريوس باربعة الاف ماشٍ واربعة الاف فارس الى البتراء . فحاول اقتحامها فلم يفلح . ففاوض فاعترف الانباطُ بالسيادة . وحاول انتيغونوس استغلال الحمر عند شواطئ بحر الميت فقاومه عرب هذه المنطقة فتراجع[1] .

ديمتريوس وبابل : وساء انتيغونوس ما جرى في بابل والولايات الشرقية فسيّر ابنه ديمتريوس بخمسة عشر الف ماش واربعة الاف فارس الى بابل . وكان سلوقوس آنئذ في مادي بمعظم جيشه فلم يقوَ قائد حامية بابل على صد ديمتريوس فخرج من بابل وتمكن ديمتريوس من الاستيلاء على احدى قلعتي المدينة العظيمة . وفيما هو محاصر القلعة الاخرى وردت عليه اوامر والده بالعودة الى سورية ففعل . اما سلوقوس فانه أخضع جميع الولايات الشرقية وكسر نيقانور وقتله[2] .

سلم السنة ٣١١ : ولم تثمر الحرب . ولم يتمكن انتيغونوس من القيام باي عمل حاسم ضد كساندر في اوروبة او ضد بطلميوس في مصر . وتابع سلوقوس عمله الانشائي في الشرق . ولم يتمكن الحلفاء انفسهم من اضعاف انتيغونوس واذلاله . وأطلت السنة ٣١١ فأصدر انتيغونوس بيانه الشهير الى المدن اليونانية معلناً ايقاف الحرب « رحمة بالعالمين » !

وتسالم خلفاء الاسكندر فاعترفوا بقيادة كساندر في اوروبة حتى يبلغ الاسكندر الرابع سن الرشد . واقروا ليسياخوس في تراقية وبطلميوس في مصر وقورينة والعربية واعترفوا بقيادة انتيغونوس في جميع آسية . وجعلوا اليونان احراراً . ولم يرد اسم سلوقوس في هذا كله[3] .

دسّ وشغب واستعداد : وما كاد هذا السلم يتم حتى بادر انتيغونوس الى القتال في الشرق . فزحف على بابل في السنة ٣١٠ واحتلّ قسماً منها . ثم اضطر فيما يظهر ان يتراجع عنها بعد موقعة دامت يومين كاملين وجرت في السنة ٣٠٨ في مكان مجهول .

(1) Diod., XIX, 94-100; Plut., *Demeter.*, 7; Rostovtzeff, M., *Caravan Cities*, 48; Kamerer, A., *Petra*, I, 116-117.

(2) Diod., XIX, 100; *App. Syr.*, 54; Plut., *Demetr.*, 7.

(3) Mamigliano, A., *La Pace del 311*, St. It. Fil. Class., 1930, 83-86; Carry, M., *Hist. Gr. Wd.*, 384.

ولذا الاسم « موقعة اليومين » . وبعد هذا نقرأ عن سلوقوس في الشرق البعيد مما قد يدل على ان انتيغونوس اجّل البت في قضية سلوقوس وبابل وسائر ولايات آسية الشرقية[1].

وبينما كان انتيغونوس يحارب في بابل كان نسيبه بوليمايوس حاكم ولاية فريجية العليا يتآمر مع بطلميوس على سيده انتيغونوس ونسيبه . وأعلن بوليمايوس استقلاله عن انتيغونوس وحالف كساندر وسيطر على جزر الكوكلاذس . فلجأ انتيغونوس الى السياسة واتصل بقائد كساندر في المورة بوليبيرخون الشهير فاجتذبه وجهزه بالمال وبمطالب جديد بعرش الاسكندر هرقيل (Heracles) ابن الاسكندر غير الشرعي من خليلته برسينة الفارسية[2] . فجيش بوليبيرخون وقام الى مقدونية يطالب بالعرش لهرقيل وبالوصاية لنفسه . وكان كساندر يعلم ان لا ثقة لبوليبيرخون في انتيغونوس ففاوضه ووعده بحاكمية المورة . فعاد بوليبيرخون عن مقدونية في السنة ٣٠٩ وقتل هرقيل المطالب الجديد بالعرش[3] .

العودة الى القتال : وخشي بطلميوس مطامع انتيغونوس ولم يرضَ عن زحفه على سلوقوس وظن ان متاعبه في قبرص انما نشأت عن تدخل انتيغونوس في شؤون هذه الجزيرة . فقضى في السنة ٣١٠ على آخر ملك وطني في الجزيرة واعلن ضمها الى مصر. ثم احتل قواعد جديدة في ساحل اسية الصغرى الجنوبي . وتقدم في السنة ٣٠٩ فاحتل جزيرة كوس واستولى على مدخل من مداخل بحر ايجه . ودعا بوليمايوس الى جزيرة للبحث في التحالف فقبض عليه واتهمه بالخيانة وامر بقتله (٣٠٨) . ثم قام بطلميوس الى جزيرة ذلوس ففاق انتيغونوس في اكرام ابولون وانزل قواته في كورنتوس ودعا ممثلين من المدن اليونانية الى مؤتمر وكرر قوله باعادة الحريات التي سلبت وطلب ذخيرة ومالاً . فوعد الممثلون بالذخيرة ولكنهم لم يقدموها . فشعر بطلميوس بضعفه في اليونان فتراجع في السنة ٣٠٨ مكتفياً باحتلال مدن البرزخ وجزيرة كوس وبعض ساحل كارية عبر البحر من رودوس[4] .

ولم يحرك كساندر ساكناً لانه علم حق العلم ان بطلميوس صديقه الكذوب لن يفلح في سياسته في اليونان . واما انتيغونوس فانه خشي هذا التوسع في المطامع والسياسة فاوقف الحرب في بابل وما بعدها واستعد لقتال بطلميوس وتحطيم آماله . ورأى ان يقوم

---

(1) Mamigliano, A., *Riv. Filol.*, 1932, 477-483.
(2) Tarn, W. W., *Heracles*, *Journ. Hell. Stud.*, 1921, 18 ff.
(3) Diod., XX, 20, 25; Just., XV, 2, 3.
(4) Glotz, G., *Alex.*, *op. cit.*, 322-324.

بعمل حربي في اليونان يشغل به كساندر عن معاونة بطلميوس . فأنفذ في السنة ٣٠٧ ابنه ديمتريوس من افسس عبر بحر ايجه الى اليونان بقوة بحرية برية . فاحتل ديمتريوس اثينة ووقع معها حلفاً . وفي السنة ٣٠٦ فاجأ ديمتريوس خصمه المصري بانزال جنوده في قبرص وهجومه على سلاميس مقر منيلاوس (Menelaus) اخي بطلميوس . فدارت في مياه هذه المدينة في حزيران السنة ٣٠٦ معركة بحرية كبرى أسفرت عن تحطيم اسطول بطلميوس وتنازله عن ممتلكاته عبر البحر وعودته الى مصر[1] .

وقويت شوكة انتيغونوس وعظم امره وتقبل التاج الذياذمة (diadema) واتخذ لقب ذياذوخوس (diadokhos) وأسس في هذا الزمن نفسه انتيغونية على العاصي بالقرب من انطاكية « زيارة الشيخ حسن » وجعلها عاصمة لملكه[2] . وجيش ثمانية وثمانين الفاً وجمع ثلاثة وثلاثين فيلاً وأعد الجمال اللازمة للنقل وقام الى صحراء سينا . وانفذ ابنه ديمتريوس بالاسطول الى ساحل مصر ليكره خصمه على القتال في جبهتين في آن واحد . ولكن بورياس (Boreas) اله الريح الشمالية غضب لبطلميوس فصب أعاصيره في خريف السنة ٣٠٦ على ساحل مصر وفلسطين فحطّم قسماً من بوارج أنتيغونوس عند رفح . وتعذر على ديمتريوس انزال جنوده في ساحل مصر فاضطر انتيغونوس ان يحارب منفرداً . وتعسّر عليه عبور النيل وطال امر القتال وقلت المؤن وانفق بطلميوس بسخاء في معسكر انتيغونوس فمالت النفوس اليه وتمثلت امام انتيغونوس مأساة برديكاس فخارت عزائمه وعاد القهقرى .

وتبادل أخصام انتيغونوس الرأي في التاج والعرش والملكية . فأعلن بطلميوس نفسه ملكاً على مصر في السنة ٣٠٥ وحذا حذوه كل من كساندر وليسيماخوس وسلوقوس فتجزأت امبراطورية الاسكندر وضاعت الوحدة وقامت على انقاضها دول خمس تعترف كل منها باخواتها . وسك كل من الملوك الخمسة العملة باسمه وبرسمه بدلاً من اسم الاسكندر ورسمه[3] .

حصار رودوس : وكبر انتيغونوس وناهز الثمانين ففترت همته وقل نشاطه . وبدلاً من ان يعيد تنظيم جيوشه ويهاجم احد اخصامه اكتفى بانفاذ ابنه ديمتريوس الى رودوس ليستولي عليها ويمنع وصول اخشابها (اخشاب الاناضول) الى مصر فيصد

(1) Diod., XX, 47-48; Glotz, G., *op. cit.*, 331-333; Carry, M., *Gr. Wd.*, 34-35, 385-386.

(2) Dussaud, R., *Top. Hist. Syrie*, 426.

(3) Diod., XX, 73-76; Plut., *Dem.*, 19.

بطلميوس عن انشاء اسطول جديد . فقام ديمتريوس اليها في صيف السنة ٣٠٥ باربعين الف مقاتل ومئتي بارجة ومئة وسبعين سفينة اخرى وطلب الى اهلها السماح له باحتلال المرفأ وتقديم الرهائن . فابى السكان وهرعوا الى الاسوار للدفاع عن استقلالهم وحرياتهم. فهجم ديمتريوس ببوارجه من وراء حاجز خشبي مصفح بالحديد واحتل رصيف المرفأ ثم حمل على السور القريب مرتين فرده الرودوسيون على اعقابه واستولوا على الرصيف فمهّد الأرض بين الشاطئ والاسوار وجاء ببرجه العظيم « فاتح المدن » Helepolis . وكان هذا البرج مؤلفاً من تسع طبقات مسلحاً بالمحذفات والمجانيق . وأيّد هذا البرج بكبشين عظيمين بلغ طول الواحد منهما ستين يرداً وبسلاحف ثمان تحمي اعمال المقوضين . وانشأ الرودوسيون خطين للدفاع داخل الاسوار وتمكنوا من احراق « فاتح المدن » فاخفق ديمتريوس في هجومه وعوّل على الحصار . ولكن بوارجه لم تكن كافية للحصار فتمكن الرودوسيون من خرق خطوط مواصلاته والعبث بما كان يأتيه من عدد . وسئم انتيغونوس الحصار وملّ . فاصغى الى وساطة أثينة وكنيدوس ووافق في ربيع السنة ٣٠٤ على الاعتراف باستقلال رودوس شرط ان تصبح حليفته ضد جميع اعدائه «ما عدا بطلميوس » . وتميز هذا الحصار بشهامة المتحاربين . فان الطرفين تبادلا الاسرى في اثناء القتال بمبالغ معينة محددة وحافظا على سلامة الآثار الفنية . وعند انتهاء الحصار باع الرودوسيون العتاد الحربي الذي كان قد استعمل في حصار الجزيرة فأنشأوا للاله الشمس صنمهم الجبار. وخصوا بطلميوس بشرف « الاله المخلّص »[1] .

موقعة ابسوس : وارسل انتيغونوس ابنه ديمتريوس في خريف السنة ٣٠٤ الى بلاد اليونان لصد كساندر عنها . فأنجد أثينة واكره كساندر على رفع الحصار عنها . واستولى بعد ذلك على كورنثوس (٣٠٣) ومعظم المورة . ثم انشأ حلفاً هلينياً جديداً ضم في عضويته جميع مدن اليونان في المورة والبلاد الوسطى ما عدا اسبارطة ومسينة[2] . وخشي كساندر سوء العاقبة ففاوض انتيغونوس في الصلح فلم يرض الا بالتسليم بدون قيد او شرط . فاضطر كساندر ان يستنجد حلفاءه الثلاثة . فعبر ليسماخوس المضايق في السنة ٣٠٢ واكتسح معظم القسم الغربي من آسية الصغرى . وكان انتيغونوس آنئذ منهمكاً في تدشين عاصمته الجديدة انتيغونية على العاصي فلما علم بما تم لخصمه في آسية

(1) Diod., XX, 81-88, 91-100; Plut., *Dem.* 21-22; Bilabel, *Kleineren Historiker, Frag. auf Papyrus*, *Kleine Texte*, Litzmann, 1923, 20-23; Glotz, G., *Alex.*, *op. cit.*, 335-337.

(2) Wilcken, U., *Berichte Berliner Akademie*, 1927, 277 ff.; Carry, M., *Class. Quart.*, 1923, 137 ff.

الصغرى انهى أعماله في انتيغونية وارسل يطلب ابنه ديمتريوس في آسية الصغرى وقام هو لملاقاته بما كان لديه من قوى . ورأى ليسياخوس ان يتجنب موقعة مهيأة نظراً لتعاظم عدد خصمه وعدده فاقام المتاريس والحواجز في اسكى شهير (Darylaeum) في فريجية العليا وبات ينتظر قدوم انتيغونوس اليه . فلما اقبل عليه وكاد يطوقه افلت ليصمد في مكان آخر . ثم تهاطلت امطار الخريف وتعسرت المواصلات فبات ليسياخوس في مأمن حتى الربيع التـــالي . وكان سلوقوس لا يزال منهمكاً فيما يظهر في تدبير شؤون الولايات الشرقية وترتيبها . وليس لدينا من المراجع الاولية ما يعاوننا على توضيح اخباره بين السنة ٣٩٨ والسنة ٣٠٢ . ولعله نجح في مسالمة امراء الهند المجاورين تخومه . فانه ما كاد يسمع نداء حلفائه الثلاثة حتى جمع جموعه واتجه غرباً مستعيناً بخمس مئة فيل هندي او مئة وخمسين[١] . ورغب انتيغونوس في ابعاده عن ساحة القتال في آسيـــة الصغرى فانفذ قوة الى بابل يلهيه بها . ولكن سلوقوس ادرك ما كان يضمره خصمه اللدود فلم يعبأ بهذه المناورة وتابع السير حتى اتصل بليسياخوس في السنة ٣٠١ وجرّ انتيغونوس وابنه ديمتريوس الى ميدان ابسوس (Ipsos) في فريجية الكبرى في قلب الاناضول . وليس لدينا من التفاصيل في المراجع الاولى ما يوضح لنا سير القتال في مراحله المتعددة . فان ما تبقى من تاريخ ديودوروس ينتهي عند عشية هذه الموقعة الحاسمة . ويرى رجال الاختصاص ان ديمتريوس ارتكب خطأً في بداية القتال ادى به في النهاية الى اندحار تام . فانه قام بالخيالة بهجوم خاطف على خصمه وتمادى وابتعد عن مشاقه . فانتهز سلوقوس هذه الفرصة السانحة وأطلق الفيلة على هؤلاء المشاة المعرّضين فولوا مدبرين او استسلموا . وظل انتيغونوس في ساحة القتال يجاهد ويقاتل منتظراً عودة ابنه بالخيالة. ولكن انتظاره طال فقتل بوابل من السهام[٢] .

واقتسم الحلفاء الغنائم فاستولى ليسياخوس على معظم اسية الصغرى . وتولى بلايستارخوس (Pleistarchos) اخو كساندر على شاطئ الاناضول الجنوبي على كارية وقيليقية وغيرهما . وضم سلوقوس ارمينية وقبدوقية وسورية الى ولاياته الشرقية . اما بطلميوس فانه كان قد صدق خبر انهزام الحلفاء وتراجع بجيوشه من سورية الى مصر . ولذا فانه لم ينل شيئاً من الغنائم ولم ينفذ في حقه اتفاق السنة ٣٠٤ الذي نص بوجوب استيلائه على سورية[٣] .

---

(1) Tarn, W. W., *Journ. Hell. Stud.*, 1940, 84 ff.

(2) Hunerwadel, *Forschungen zur Gesch des Konigs Lysimachos*, 42-50.

(3) Diod., XXI, 1, 5; Pol., V, 67, 8; Plut., *Dem.*, 31.

الفصل السادس

لا وحدة بعد ابسوس

٣٠١ - ٢٧٥ ق. م.

ديمتريوس وسلوقوس وبطلميوس : وبقي لدى ديمتريوس بعد ابسوس خمسة الاف ماشٍ واربعة الاف فارس. وكان لا يزال سيد البحار ذا اسطول عظيم وقواعد منيعة. واهم هذه افسس وصور وصيدا وقبرص وجزر الكوكلاذس. وكان لا يزال يعتبر نفسه رئيس الاتحاد الهليني. فلما انهزم في ابسوس التجأ الى افسس. ثم قام من افسس الى قيليقية ليضمن سلامة والدته ويستولي على مبالغ معينة من الفضة. واتجه بعد ذلك الى قبرص فجزر الكوكلاذس. وكان الاثينيون قد سئموا خلاعة ديمتريوس وفسقه وضجروا من حروبه وعواقبها فأرسلوا زوجته وماله وسفنه الى هذه الجزر وأكدوا له انهم لن يقبلوه بعد ذلك داخل اسوارهم. فقام ديمتريوس الى كورنثوس وانزل رجاله فيها فعلم ان جميع اعضاء الاتحاد الهليني كانوا قد حذوا حذو اثينة وانه لم يبقَ لديه في اليونان من حلفاء سوى كورنثوس وبعض المدن الصغرى في شبه جزيرة المورة.

وكان ديمتريوس جميل المنظر شريف المظهر كريم العنصر ذكياً شجاعاً ولكنه كان شديد الكبرياء شامخاً منتفخاً. وكان فاجراً عاهراً ضارع زفس نفسه في عدد الخليلات وجعل من معبد الالهة العذراء في اثينة بيت فسق وفساد[1]. وكان حاد الذهن سريع الفهم والادراك ولكنه كان في الوقت نفسه قليل الرويّة متسرعاً. ومن هنا خطأه الفاضح في غزة وابسوس[2].

وطمع بطلميوس في سورية الجنوبية واحتلها احتلالاً وجعل حده الشمالي في ساحلها عند النهر الكبير Eleutherus. فاحتج سلوقوس على ذلك فأشار بطلميوس الى تفاهم السنة ٣٠٤ فأجاب سلوقوس بانه سوف لا يلح في طلبه ولكنه سيحتفظ بحقه وسيعود الى

---

(1) Plut., *Dem.*, 26.

(2) Beloch, J., *Griech. Gesch.*, III, 245-246.

معالجة هذه القضية فيما بعد . فأدرك بطلميوس ما يُضمره له سلوقوس فتقرب من ليسياخوس وتودد اليه وأزوجه من ابنته ارسينوة (Arsinoe) وكانت آنذاك (٢٩٩) لا تزال في السادسة عشرة[1]. وقابل سلوقوس هذا العمل بمثله فطلب الزواج من ستراتونيكية (Stratonice) ابنة ديمتريوس من زوجته فيلة (Phila) . فقبل ديمتريوس وقام من بلاد اليونان الى قيليقية وانزل جنوده فيها . ففر صاحبها بديستارخوس اخو كساندر ولجأ الى سلوقوس راجياً معونته . وضبط ديمتريوس اموال بديستارخوس وقام الى ارسوز في ساحل سورية الشمالية فقدم ابنته ستراتونيكية الى سلوقوس (٢٩٩)[2] . وسكت سلوقوس عن احتلال قيليقية ارضاءً لعمه الجديد . وحاول ليسياخوس صد ديمتريوس عن قيليقية فلم يفلح . ولم يحرك كساندر ساكناً . ولعل السبب في ذلك ان فيلة اخته اكدت له ان ديمتريوس زوجها لن يزعجه بعد ذلك في اليونان[3] .

وجاء في تاريخ يوسيبيوس ان ديمتريوس حارب بطلميوس في هذه الآونة (٢٩٦) وانه استولى على السامرة وجميع سورية الجنوبية[4] . ويرى بعض رجال الاختصاص ان سلوقوس لم يجرؤ على محاربة بطلميوس جهاراً فأوعز الى عمه ديمتريوس ان يقوم بهذه الحرب وانه عندما تمّ النصر لديمتريوس تدخل سلوقوس مصلحاً كي لا يتمكن ديمتريوس من ابقاء ما استحوذ عليه في قبضته . ومهما يكن من امر هذه الحرب فان تفاهم سلوقوس مع ديمتريوس لم يدم طويلاً . فالمراجع الاولية تذكر محاولة سلوقوس ان يبتاع قيليقية من عمه وان ديمتريوس أبى فحاول الصهر شراء المدن الفينيقية فأكّد العم انه لو خسر عشرة الاف ابسوسة اخرى فلن يشتري سلوقوس صهراً بالمال[5] !

وتوفي كساندر بداء السل في ايار السنة ٢٩٧ وخلفه ابنه فيليبوس الرابع فتوفي بالسل ايضاً بعد اربعة اشهر . فاحتدمت نار الشقاق بين اخويه انتيغونوس واسكندر اذ رغب كل منهما في ارتقاء سرير الملك . فقام ديمتريوس في السنة ٢٩٦ بقوة برية بحرية الى مياه اثينة فحاصرها واخذها عنوة في السنة ٢٩٥ وادخلها في طاعته وانشأ قلعة على تلة من تلالها وشحنها بجنوده . ثم قام الى المورة يحارب اسبارطة وغيرها . وجنحت تسالونيكية

(1) Memnon, *Frag. Hist. Graec.*, 530; Wilcken, U., « *Amastris* », *Real-Encyc.*

(2) Dittenberger, W., *Orientis Graeci Inscriptiones Selectae*, I, 10; Kaerst, J., « *Demetrios* », *Real-Enc.*

(3) Jouguet, P., *Mac. Imp.*, 161.

(4) Euseb., *Chron.*, II, 118.

(5) Jouguet, P., *op. cit.*, 162.

زوجة كساندر لابنها الاصغر الاسكندر الخامس فقتلها انتيغونوس ابنها الاكبر . فاستجار الاسكندر الخامس بديمتريوس فأتاه مسرعاً . والتقى الاثنان في تسالية في مأدبة رائعة فأوعز ديمتريوس الى رجاله فانقضوا على الاسكندر وقتلوه . وانضم جيش الاسكندر الى جيش ديمتريوس ونادوا بهذا ملكاً على مقدونية (٢٩٤) ففرّ انتيغونوس اخو الاسكندر والتجأ الى ليسماخوس ملك تراقية[1] .

وما كاد ديمتريوس يبرح آسية للاستيلاء على اثينة واليونان (٢٩٦) حتى تفاهم سلوقوس وبطلميوس وليسماخوس فاقتسموا ممتلكات ديمتريوس في آسية فاحتل ليسماخوس شاطئ آسية الصغرى الغربي واستولى سلوقوس على قيليقية وانزل بطلميوس جنوده في قبرص. ولم يبقَ لديمتريوس في آسية سوى قاعدتي صور وصيدا ومرفأ كونس (Caunos) في كارية[2] .

وقويت شوكة ديمتريوس في اوروبة وعظم شأنه وأصبح لديه من الجند والمال ما كان لفيليبوس المقدوني وابنه الاسكندر قبل حروب فارس . وفاقهما باسطول قوي ساد به على بحر ايجه وشرقي المتوسط . فاستعد اخصامه لمنازلته وضموا الى صفوفهم برّوس (Pyrrhus) ملك ابيروس . وبدأت الحرب في السنة ٢٨٩ في اوروبة وطال امرها فأحب ديمتريوس ان ينهيها بغزو آسية . فقام الى آسية الصغرى بعشرة الاف مقاتل واحتل ساروس مفتاح الشرق في ذلك العصر (٢٨٧) . ثم توغل في آسية قاصداً ارمينية لتجييش ابنائها او مادي ليهود سلوقوس من الوراء . فسئم جنده الزحف والقتال فاضطر ان يعود الى البحر عن طريق طوروس وقيليقية . وقاتله سلوقوس فيها وفاوضه فمال جنده الى سلوقوس واضطر ديمتريوس ان يسلّم نفسه الى صهره وذلك في ربيع السنة ٢٨٥ [3] . فنفاه سلوقوس الى ابامية بين حماه والمعرة[4] . واراد ابنه انتيغونوس غنوطاس ان يفديه بنفسه ويحتمل عذاب الاسر وذله عنه ولكن سلوقوس لم يرضَ بذلك . فلجأ ديمتريوس الى المسكر وما فتئ يشرب حتى مات من السكر .

ليسماخوس : وانحاز فيلوكليس (Philocles) قائد اسطول ديمتريوس الى بطلميوس وسلمه القسم الاكبر من الاسطول فأصبح بطلميوس سيد البحار دون منازع . وكان فيلوكليس ملكاً على صيدا وخلفاً لأشمون آزر الثاني فانحازت صيدا وصور الى جانب

(1) Plut., *Dem.* 36; Glotz, G., *Alex.*, *op. cit.*, 350-353.
(2) Beloch, J., *Griech. Gesch.*, IV, I, 216-219, IV, 2, 319, 355.
(3) Polyaen., IV, 9, 2; 3; 5.
(4) Plut., *Dem.*, 50; Strab., 16; Diod., 21, 20; Tarn, W. W., *Antig. Dan.*, 110.

بطلميوس وفتحتا ابوابهما له . واعترفت جزر الكوكلاذس بسلطة مصر وانشأ بطلميوس قاعدة بحرية في ايتانوس (Itanos) في القسم الشرقي من جزيرة كريت فقدر لها ان تبقى في قبضة البطالسة زمناً طويلاً[1] .

واقتسم ليسياخوس وبيروس مقدونية واضاف كل منهما نصيبه منها الى مملكته غير ان الاهلين ولاسيما الجنود ابوا الانقياد لامير غريب واحبوا الخضوع لليسياخوس الذي خاض مع الاسكندر نفسه عجاج الحروب . فعصوا اوامر بيروس وطردوه من ديارهم وخضعوا لليسياخوس . وهكذا فان ليسياخوس أصبح في السنة ٢٨٥ سيد كل مقدونية وتسالية وتراقية . وخضعت له مدن آسية الصغرى الوسطى والغربية ودانت له مدنها الشمالية كهرقلية وسينوب وغيرهما فتهيأت له الرجال والمال لخوض حرب جديدة يعيد بها شيئاً كبيراً من مجد الاسكندر[2] .

وكان ليسياخوس قد استعان بالزواج على السياسة فاقترن اولا بنيقية (Nicaea) ابنة انتيباتروس ثم تزوج بعد وفاتها من اميستريسة (Amestris) الفارسية ارملة سيد هرقلية ليستولي على هذه المستعمرة . وقضت الظروف بعد ابسوس ان يتقرب الى بطلميوس فطلّق زوجته الفارسية وأخذ ارسينوة ابنة بطلميوس صاحب مصر . وكانت ارسينوة هذه تجمع بين ارادة الرجال ومكر النساء ودهائهن فلعبت دوراً هاماً في تاريخ هذه الفترة . وكانت قد ولدت ثلاثة بنين من ليسياخوس زوجها فصممت على ان يكون احدهم وريثاً لزوجها في الملك . وراحت تنقر رأس زوجها الهرم فأصغى اليها وأجاب سؤلها فأمر باعدام ابنه الاكبر اغاثوكليس من زوجته الاولى بتهمة الخيانة (٢٨٣) . وكان اغاثوكليس محبوباً من الجند والشعب فأدى اعدامه الى موجة من الاستياء قوية . وقابل ليسياخوس هذا الاستياء بالارهاب فنفر الشعب منه وتمنوا زوال حكمه . وفرّ عدد من هؤلاء بينهم الوجيه والضابط والتاجر والتجأوا الى سلوقوس . فرحّب هذا بهم وطيّب قلوبهم . وكان سلوقوس قد أضمر السوء لليسياخوس منذ اقتسام الغنائم بعد ابسوس . فان ليسياخوس استولى على كل الجزء الغربي من آسية الصغرى مانعاً بذلك حليفه سلوقوس من الوصول الى بحر ايجه . فلما اشتد الاستياء من حكم ليسياخوس قام سلوقوس في السنة ٢٨٢ بقوة كبيرة في آسية الصغرى واستولى على ممتلكات ليسياخوس فيها بدون قتال . وهرع ليسياخوس للدفاع فالتقى بسلوقوس عند كوروبيذيون (Corupediun) في السنة ٢٨١ فلاقى حتفه

(1) Polyaen., III, 16; Roussel, P., *Journ. Savants*, 1924, 109.
(2) Carry, M., *Greek World*, 54.

فيها . فاتسع افق سلوقوس وطمع في عرش ليسياخوس وعبر الدردنيل في السنة ٢٨٠ ليخرّ صريعاً بيد كيرونوس (Ceraunos) حالما وطأت قدمه ارض اوروبة[1] .

وكان بطلميوس قد توفي في السنة ٢٨٣ فلما قتل ليسياخوس وسلوقوس انتهى عهد الذياذوخي (Didachi) اي الخلفاء وبدأ عهد الابيغوني (Epigoni) اي اولئك الذين « ولدوا فيما بعد »[2] .

هجمات الغَلَط : وفي اوائل السنة ٢٧٩ قبل الميلاد انقضّ الغَلَط البرابرة (Galatae) على مقدونية فنهبوا وأحرقوا ودمّروا . وقاموا منها الى اليونان فأكثروا القتل والنهب فيها . وأدرك الايتوليون سرّ انتصار هؤلاء فحاربوهم بسلاحهم وطرقهم وردوهم على اعقابهم متقهقرين واقاموا في دلفي تذكاراً لهذا النصر بشكل امرأة ايتولية مسلحة جالسة على كومة من تروس الغَلَط .

وعبر الغلط المضايق في السنة ٢٧٨ وانتشروا في آسية الصغرى فعاثوا فيها فساداً « واحرقوا الهياكل وحاربوا السماء » وانتهكوا الاعراض . ولم يتمكن انطيوخوس بن سلوقوس من صد هؤلاء الغلط والانتصار عليهم قبل السنة ٢٧٥ فان بطلميوس كان في الوقت نفسه يغير على سورية الجنوبية ويهدد العرش السلوقي . ففي هذه السنة جمع انطيوخوس جموعه وقام الى آسية الصغرى . فلما ادرك الغلط ترك الفيلة على مركباتهم فأجفلت خيولها فانكسر الغلط وانتصر انطيوخوس نصراً كاملاً . ولكنه لم يُسرّ بما نال بل قال لثيوذوكيوس القائد اني لا انسى هذا العار الذي لحق بنا لخلاصنا بستة عشر فيلاً . ولقبه ذووه بلقب سوتر (Soter) ومعناه المخلص . وجاء على بعض مسكوكاته « انطيوخوس ابولندس سوتير » ومعناها انطيوخوس المخلص مثل ابولون . واستقر الغلط بعد هذا في فريجية الصغرى الشمالية فعرفت فيما بعد باسمهم ودعيت غلاطية . واضطر السلوقيون ان يجبوا ضريبة خاصة لاسترضاء الغلط دعيت ضريبة الغلط[3] .

---

(1) Frag., *Hist. Graec.*, 533-534; Trog. Prol., XVII; Just., XVII, 2, 4-5; Paus., I, 16, 2.

(2) Jouguet, P., *Mac. Imp.*, 168.

(3) Tarn, W. W., *New Hell. Kingdoms*, *Cam. Anc. Hist.*, VII, 101-106; Jullian, C., *Hist. de la Gaule*, I, 281-305; Jouguet, P., *Mac. Imp.*, 182-184.

الفصل السابع

النزاع بين مصر وسورية ومقدونية

٢٧٥ - ٢١٧ ق.م.

المراجع الاولية : ومن المؤسف الا يكون لدينا من المراجع لتاريخ هذه الفترة بقدر ما نجده لغيرها من الفترات . فحوليات بابل[١] لا تحفظ لنا سوى بعض اخبار عن انطيوخوس الاول . وبردية قرُب[٢] لا تحوي سوى نتف من اخبار بطلميوس الثالث . ورواية يوستينوس عن حرب الاخوين ضعيفة لا يركن اليها . ولم يوفق بوليبيوس فيما يظهر الا الى اخبار اواخر هذه الفترة . وقد تسدّ النقوش التاريخية والمسكوكات القديمة بعض هذا الفراغ ولكنها على كثرتها لا تزال غير كافية .

اللفظة سورية : ولم تطلق اللفظة « سورية » على ما يقع بين طوروس وسيناء قبل خلفاء الاسكندر . ولكنها استعملت منذ عهد البابليين للتدليل على مقاطعة في حوض الفرات الاعلى تلك التي لا نزال ندعوها سورية حتى يومنا هذا بين صفين والرقة . ويرى العالم الالماني انو ليتمان ان سورية هذه هي شورا الآرامية ويؤكد انها ليست اشور[٣] .

ويختلف العلماء في مدلول هذه اللفظة في عهد خلفاء الاسكندر . فيرى بعضهم انها شملت كل ما وقع بين طوروس وبين سيناء وان الاصطلاح Koele-Syria دلّ على سورية المجوّفة اي على حوض العاصي وشمالي فلسطين[٤] . ويرى آخرون ان الاصطلاح Koele-Syria لم يعنِ سورية المجوفة[٥] وانما اطلق على كل ما وقع الى جنوبي دمشق والنهر الكبير (Eleutheros) اي على ما دخل من هذه البلاد في حوزة البطالسة وان

---

(1) Smith, S., *Babylonian Chronicle*, *Babylonian Hist. Texts.*

(2) *Gurob Papyrus*, *P. Petr.*, II, 45, III, 144.

(3) Littmann, E., *Amer. Exp.*, IV, 181.

(4) Dussaud, R., *Top. Hist.*, I, 194, 396.

(5) Tarn, W. W., *Eg.*, *Syr.*, *and Mac.*, *Cam. Anc. Hist.*, VII, 700-701.

اللفظ سورية دلّ على القسم الشمالي من هذه البلاد نفسها اي على ذاك الذي وقع في قبضة السلوقيين[١] .

السلوقيون ودولتهم : وسلوقوس نيكاتوروس (Seleucos Nicatoros) المؤسس كان احد كبار القادة في جيش الاسكندر . وكان شجاعاً صائب الرأي فأحبه الاسكندر واعتمده في المهمات وقربه اليه . ولما توفي الاسكندر بايع سلوقوس اربدايوس اخا الاسكندر وعينه برديكاس الوصي والياً على بابل . واستمر سلوقوس في ولايته حتى أغار انتيغونوس عليه وطلب اليه ان يقدم دفاتر الجباية . فأبى سلوقوس وفرّ الى مصر . وكانت موقعة غزة في السنة ٣١٢ كما سبق وأشرنا فعاد سلوقوس الى بابل واستولى عليها . ونادى الناس به ملكاً فتشيدت دولة جديدة وبدأ التأريخ السلوقي . فجعل اليونان بدايته اول شهر ذيوس اي تشرين الاول سنة ٣١٢ واتخذ الوطنيون البداية منذ اول نيسان من السنة نفسها[٢] . وحاول انتيغونوس استرجاع ما فقد في الشرق فأنفذ جيشين لهذه الغاية ولكنه لم يفلح . فعدل عن حكم الولايات الشرقية وانشأ عاصمة له على ضفة العاصي (٣٠٧) ودعاها انتيغونية .

وانشأ سلوقوس في السنة ٣٠٥ عاصمة لملكه على اطلال اوبيس (Opis)القديمة ودعاها سلوقية (Seleuceia) . ولم يبعد بها كثيراً عن بابل لتبقى عند ملتقى اهم الطرقات في آسية الغربية . وقُدّر لسلوقية ان تنمو وتكبر لتصبح اعظم مدينة يونانية في آسية[٣] . وضم سلوقوس الى بابل مادي وفارس وارمينية وبرثية وارخوسية وغيرها حتى الهند . وكان ما كان من امر انتيغونوس فاستولى سلوقوس على سورية بعد ابسوس وأطل منها على البحر وانشأ فيها عاصمة جديدة لملكه (٢٢ ايار سنة ٣٠٠) وسماها انطاكية تخليداً لذكر والده انطيوخوس ونقل اليها سكان انتيغونية . ثم جعل من القلعة بلّة (Pella) التي كان قد انشأها انتيغونوس فسماها باسم بلّة المقدونية قاعدة عسكرية جديدة اطلق عليها اسم زوجته بامي فدعيت ابامية (Apamea) (قلعة المضيق) . وهنالك افامية لا تزال تحمل هذا الاسم بين قلعة المضيق وبين حويز[٤] . وأدى النشاط التجاري الذي نشأ عن وجود مركز الحكم في انطاكية الى قيام مرفأ قريب من العاصمة . فظهرت سلوقية اخرى عند مصب العاصي (Seleuceia Preria)[٥] واتسعت مزبدان فأطلق سلوقوس عليها اسم والدته ودعاها اللاذقية (Laodicia)[٦] .

(1) Corradi, G., *Studi Ellenistici*, 48 ff.
(2) Bouché-Leclercq, A., *Hist. Séleuc.*, I, 515-520.
(3) Streck, M., *Seleukeia und Ktesiphon, Der Alte Orient*, XVI, 3, 4.
(4) Benzinger, *Apamea, Real-Encyc.*
(5) Chapot, V., *Séleucie de Pierie, Mém. Soc. Ant. de France*, vol. 66, 1907.
(6) Dussaud, R., *Top. Hist.*, 413 ff.; Rostovzeff, M., *Soc. Econ. Hist.*, I., 156-158.

ووصل سلوقوس انطاكية بعاصمته الاولى سلوقية بطريق سلطانية فكثر الاخذ والعطاء بين الشرق والغرب وتوطد الملك وعظم شأن الدولة الجديدة . وظلت الدولة عظيمة حتى استولى البرثيون على العراق فضعفت سورية ودخلت في دور انحطاط[1] .

المسألة السورية : وقضت شروط التحالف الذي نشأ في السنة ٣٠٣ ضد انتيغونوس ان يستولي بطلميوس الاول على سورية من سيناء حتى طوروس . ولكن بطلميوس لم يساهم في الحرب ضد انتيغونوس ولم يفز بالنصر في ابسوس . فلما تقاسم المنتصرون مملكة خصمهم اصبحت سورية جزءاً من ممتلكات سلوقوس . اما بطلميوس فانه تجاهل تقاعسه وعدم اشتراكه في الحرب وأنفذ حملة في السنة ٣٠١ واحتل جميع الاراضي السورية حتى مداخل دمشق ومصب النهر الكبير . وآثرت صور وصيدا الوقوف الى جانب ديمتريوس ابن انتيغونوس لانه كان لا يزال سيد البحار فلم يقوَ بطلميوس عليهما . وجاءت السنة ٢٨٢ ووقعت الحرب بين سلوقوس وليسياخوس فاتخذ بطلميوس موقفاً حيادياً وادعى بان سلوقوس اعترف بحقه في سورية الجنوبية مقابل هذا الحياد وانه وافق على ضم وادي مرسياس (Marsyas) اي وادي البقاع الى مصر . اما سلوقوس فانه استمسك بقرارات ابسوس وطالب بجميع الاراضي السورية حتى حدود مصر . فنشأت مشادة عنيفة عرفت بالمسألة السورية .

ويرى بعض العلماء ان الخصام الذي نشأ في القرن الثالث قبل الميلاد بين مصر وبين سورية ومقدونية كان نزاعاً سياسياً قبل ان يكون سباقاً تجارياً . فمصر بموجب هذا الرأي كانت تنزع الى السيطرة على سورية لتجيد الدفاع عن نفسها ضد كل معتدٍ قادم من الشمال او لتكمل استعدادها للهجوم . وبطلميوس صاحبها كان يطمع في السيطرة على البحار . ولبنان بأخشابه واحواضه وبحارته وقواعده البحرية كان يسدّ فراغاً كبيراً في استعدادات مصر للدفاع او للهجوم[2] . ويرى آخرون ان الاسكندر زاد الاسواق التجارية مالاً بما سكّه من نقود جديدة لحروبه المتتالية وبما استولى عليه من اموالٍ مكدسة مجمدة في خزائن الفرس وان فتوحاته رفعت الحواجز التي كانت تعترض سبل التجار بين اليونان وبين آسية الغربية وافريقية الشمالية الشرقية والهند كما وسعت آفاقهم فزادتهم نشاطاً وطموحاً . ويذهب من يقول هذا القول الى ان خلفاء الاسكندر ادركوا

(1) Jouguet, P., *Mac. Imp.*, 355.
(2) Tarn, W. W., *op. cit.*, *Cam. An. Hist.*, VII, 669-700.

درجة هذا النشاط التجاري الجديد ولمسوا أرباحه الطائلة فراحوا يتسابقون ويتطاحنون للاستيلاء على مرافئ آسية الغربية وعلى الطرق التجارية والبحرية التي كانت تربط هذه المرافئ ببلدان الشرق الاقصى وبجزر ايجه وسواحله . ويشبّه بعض رجال الاختصاص هذا التكالب على هذه الاماكن بداء الاستعمار الذي أصاب كبار رجال السياسة في اوروبة الغربية في القرن السادس عشر بعد الاكتشافات الجغرافية الحديثة[1] . وأهم هذه الطرق التجارية في آسية الغربية آنئذٍ طريق عبرت ساحل الجزيرة العربية من الجنوب الى الشمال وطريق وصلت شاطئ الخليج الفارسي ببابل فسورية وآسية الصغرى . وأهم المرافئ لهذه الشبكة في شاطئ البحر المتوسط وشاطئ ايجه الاسكندرية وصور وصيدا وطرابلس واللاذقية وافسس وازمير .

الحرب السورية الاولى : (٢٨٠ – ٢٧٢) وعلى الرغم من المشادة التي نشأت بين سلوقوس الاول وبطلميوس الاول حول حق سلوقوس في ضم سورية الجنوبية الى ملكه فان واحداً منهما لم يلجأ الى العنف . ولعل السبب في هذا ان سلوقوس كان يطمع في عرش مقدونية وان الالفة التي كانت قد توطدت بينه وبين بطلميوس منعته عن محاربة صديق قديم واخ في السلاح .

وتوفي بطلميوس الاول في السنة ٢٨٣ . وتولى العرش بعده ابنه من خليلته برنيقية بطلميوس الثاني فيلادلفوس (Philadelphos)[2] . وكان بطلميوس هذا تاجراً بطبيعته يحب المال ويسعى الى كسبه . ولم يكن محارباً ولكنه كان مغامراً في كسب المال يسخر السياسة للحصول عليه . فتابع الاهتمام بالاسطول الذي كان قد انشأه والده ودفع به عبر البحار يمهد السبل لمشاريعه التجارية الواسعة . وقضى سلوقوس الاول نحبه في آسية الصغرى في السنة ٢٨٠ كما سبق وأشرنا فتولى ابنه انطيوخوس الاول ازمة الحكم وقيادة الجيش وتابع القتال طامعاً في عرش مقدونية وتراقية . فرأى بطلميوس الثاني ان ينتهز هذه الفرصة السانحة لاشباع مطامعه في سورية . فدس عماله في سورية الشمالية وحرض الناس فيها على الثورة . فأعلنوا العصيان وامتنعوا في ابامية القاعدة الحربية واستأثروا بمعظم الفيلة . ونهض بطلميوس

---

(1) WILCKEN, U., *Schmollers Jahrbucher*, 1921, 68 ff; JOUGUET, P., *Mac. Imp.*, 171-175.

(2) وكان بطلميوس الاول قد تزوج ارتكامة سليلة آخر الفراعنة ثم افريديكية بنت انتيباتر (٣٢١) فولد له من هذه بطلميوس كيرونوس (Keraunos) فأعلنه ولياً للعهد . وفي آخر سنيه خضع لمشيئة خليلته برنيقية فطلق افريديكية وطرد ابنها كيرونوس واشرك فيلادلفوس معه في الحكم ارضاءً لبرنيقية . وقيل انه تنازل لفيلادلفوس ولكنه قول ضعيف . ومعنى اللقب فيلادلفوس « الهائم باخته » .

للقتال وسار بجيوشه حتى ابواب دمشق فسلمها اليهود اليه . وتقدم في الساحل حتى ارواد . فصالح انطيوخوس خصمه انتيفونوس غنوطاس وعاد بجيشه الى سورية فأخمد الثورة فيها واوقف تقدم بطلميوس . فصالحه صاحب مصر على شروط اهمها الاحتفاظ بدمشق وارواد وذلك في السنة ٢٧٩ قبل الميلاد .

وما كاد بطلميوس فيلادلفوس يعود بجيشه الى مصر حتى دخل في مغامرة اخرى في سبيل توسيع التجارة . فانه اتصل في السنتين ٢٧٨ – ٢٧٧ بقبائل لحين في جنوبي البتراء وتودد اليهم وتمكن بمعونتهم من تحويل بعض البضائع القادمة من جنوب الجزيرة العربية الى رأس خليج العقبة . ثم انشأ عند رأس هذا الخليج مستعمرة يونانية دعاها امبلونة (Ampelone) وشحنها بالمجرمين والاشقياء الملطيين ليقوموا على حراستها وحراسة البضائع الواردة اليها من ساحل الحجاز ضد غارات الانباط . وقابل بطلميوس غارات الانباط في البحر الاحمر بغارات مماثلة على قوافلهم وتجارتهم عبر شرق الاردن . فانه عبر الاردن وأقام في عمان (ربة عمون) فرقة من الجند لصد التجار الانباط عن اسواق الشمال . واطلق على عمان اسمه فدعيت فيلادلفية . وباستيلائه بهذا الشكل على حوض البحر الميت أمّن وصول الحمّر الى اسواق مصر لتحنيط امواتها[1] .

وكان بطلميوس الثاني قد تزوج من ارسنوة بنت ليسياخوس . وكان ليسياخوس قد تزوج من ارسنوة (Arsinoe) اخت بطلميوس الثاني من ابيه وامه . وكانت ارسنوة هذه قد تزوجت من بطلميوس كيرونوس بعد وفاة ليسياخوس . وكاد زوجها الثاني يقتلها ولكنها نجت من بين يديه ولجأت الى مصر مسقط رأسها في السنة ٢٧٧ . وما ان وطأت قدماها ارض مصر حتى عولت على الزواج مرة ثالثة . ولم يعقها عن ذلك زواج اخيها الملك ولاأُخوّتُه لها . فأحاطت به واستمالته بحذقها ودهائها . وفرضت ارادتها عليه فرضاً فأبعدت ارسنوة زوجته الشرعية الى الصعيد بداعي التآمر والخيانة وتزوجت من اخيها لابيها وامهـــا في السنة ٢٧٦ . واستطاعت بحسن تصريفها للامور وبقوة شخصيتها ان تنسي الاوساط اليونانية العالية خروجها على العرف والآداب فشاطرت زوجها الحكم وظهر رسمها على المسكوكات متوجاً . وقام زوجها يفاخر بما فعل فقابل بين زواجه من اخته على الارض وبين زواج زفس الإله من اخته هيرة (Hera) في السماء . ولم يستهجن المصريون انفسهم هذا الزواج لان الفراعنة كانوا قد اقدموا عليه من قبل .

(1) Tarn, W. W., *Arabian Enterprise*, *Jour. Eg. Arch.*, 1929, 9 ff.

وخشي مغاس (Magas) اخو انطيوخوس الثاني لامه شر هذه الداهية الطاغية — وكان قد تولى الحكم على قورنية منذ ايام بطلميوس الاول — فخرج على اخيه بطلميوس الثاني وعليها واعلن استقلاله واتخذ لنفسه لقب ملك . وقام في السنة ٢٧٤ على رأس قوة الى مصر منتهزاً تمرد الغلَط المرتزقة على بطلميوس وكاد يصل الى الاسكندرية[1] . ولكن ارسنوة اثارت القبائل الليبية عليه . وكان مغاس قد تزوج من بنت انطيوخوس اباما (Apama) فخشيت ارسنوة هجوماً من سورية فأنفذت كليكراتس (Callicrates) بالاسطول الى ساحل قيليقية ليهدد مواصلات انطيوخوس بين انطاكية وساردس واستأجرت عدداً من القرصان لنهب الشاطئ السوري الاناضولي وتخريبه . ويرى بعض المؤرخين ان ارسنوة ارسلت في السنة ٢٧٣ جيشاً الى سورية الشمالية وان هذا الجيش توغل في ممتلكات انطيوخوس حتى الفرات[2] . ويشك آخرون في صحة هذا الخبر ويرون ان انطيوخوس صمد في وجه بطلميوس في القسم الشرقي من قيليقية وانه نجح في اثارة بعض القبائل العربية للهجوم على مصر[3] وان بطلميوس ارتاح للتفاوض في الصلح . وجاء هذا السلم في السنة ٢٧٢ في صالح مصر فاستولى البطالسة على نصف قيليقية الغربي وعلى معظم الباقي من ساحل آسية الصغرى حتى ملاطية . ومع ان دمشق ظلت في حوزة السلوقيين فان حد البطالسة في الساحل اللبناني شمل عمريت وارواد[4] .

مطامع ارسنوة في مقدونية : وأصبحت مصر سيدة البحار بلا منازع . وكان غوناطوس صاحب مقدونية لا يزال مضطرب البال منهمكاً في توطيد سلطته في مقدونية واليونان . فرأت ارسنوة ان تتدخل في شؤونه لعلها تتمكن من إعادة السيادة على مقدونية الى ابناء ليسيماخوس زوجها القديم فتنصِّب على عرش هذه الدولة صديقاً لمصر حليفاً لها .

وسئم الشبان الاثينيون طلاب العلم والفلسفة سوء الادارة في بلدتهم واستثقلوا وطأة الحكم المقدوني فالتفوا حول خريمونيذس الشاب (Chremonides) وازعجوا غوناطوس باقوالهم ومشاغباتهم . وعلمت ارسنوة بذلك فأرسلت وفداً الى اثينة يوطد الصداقة والألفة بين البلدين . واحتفى الشبان الاثينيون بالوفد المصري واقاموا له الحفلات والمآدب . ودعوا الى احدى هذه المآدب الفلاسفة . وكان الجوّ بطبيعة الحال مشبعاً بروح الانتقاد لمقدونية

(1) Polyaen., 2, 28, 2; Paus., 1, 7, 2; Callim, 4, 171 ff.
(2) Bouché-Leclercq, A., *Hist. des Lagides*, I, 172.
(3) Tarn, W. W., *op. cit.*, *Cam. Anc. Hist.*, VII, 704.
(4) Tarn, W. W., *First Syrian War*, *Journ. Hell. Stud.*, 1926, 155 ff.

وصاحبها . ووجه احد اعضاء الوفد سؤالاً الى زينون الفيلسوف اللبناني الاستاذ في اثينة ومعلم غوناطوس وصديقه عما يقوله عن غوناطوس . وكان زينون قد جلس صامتاً لا يتكلم . فما ان وجه اليه هذا السؤال حتى اجاب : « قل لبطلميوس انه يوجد في اثينة رجل واحد يعرف كيف يحفظ لسانه »[1] .

وكانت ارسنوة قد اجتذبت اسبارطة وحليفاتها في المورة الى جانبها ثم وفقت بين اسبارطة وبين اثينة . فنجحت هاتان الدويلتان في استمالة شرق اركادية ونشأت كتلة في بلاد اليونان معادية لغوناطوس تدعمها مصر . وماتت ارسنوة في السنة ٢٧٠ قبل الميلاد . وظل اخوها « الهائم بحبها » مستمسكاً بخطتها مؤيداً رأيها ولكنه لم يشأ ان يعيد كارثة السنة ٣٠٨ فاكتفى بتحريض الاسكندر ملك ابيروس على غوناطوس وبارسال قوة بحرية تساند اثينة وحلفاءها في « حرب خريمونيذس » (٢٦٦ — ٢٦٢) بين غوناطوس وبين المدن اليونانية . وتمكن غوناطوس من رد الاسكندر على اعقابه ومن حصر ملك اسبارطة في المورة ومنعه عن الخروج منها للتعاون مع اثينة . فقاتل غوناطوس اثينة على انفراد ثم ضرب الحصار حولها . ولم يقوَ بتروكلوس (Patroclos) قائد القوات المصرية البحرية من اسداء المعونة لان بحارته كانوا على حد قوله « كلهم مصريين » ! واضطرت اثينة ان تستسلم في السنة ٢٦٢ ودخلت مع غيرها من المدن اليونانية في حكم مقدوني مباشر[2] .

الحرب السورية الثانية : (٢٦٠ — ٢٥٥) ولم يتدخل انطيوخوس الاول في هذه الحرب التي نشبت بين مناظره بطلميوس الثاني وبين صديقه ونسيبه غوناطوس . ولعل السبب في ذلك يعود الى انشغال انطيوخوس في امور داخلية وفي شؤون آسية الصغرى . فابنه الاكبر وولي عهده سلوقوس تآمر عليه فيما يظهر ورغب في الاستقلال ببابل فأعدم في السنة ٢٦٦[3] . وحاكم برغامون (Pergamon) وفيليتيروس (Philetaeros) على الرغم من صلته الرحمية بالبيت المالك في سورية كان يحاول التقرب الى مصر والتفاهم معها[4] . فاضطر انطيوخوس ان يحارب برغامون . فبدأ القتال في السنة ٢٦٣ بعد وفاة فيليتيروس وارتقاء افمينس (Eumenes) . واندحر انطيوخوس عند ساردس سنة ٢٦٢ وتوفي في اثناء القتال فتولى العرش بعده ابنه انطيوخوس الثاني[5] .

---

(1) Tarn, W. W., *Eg. Syr. Mac.*, *Cam. Anc. Hist.*, VII, 706.

(2) Just., 26, 49; Tarn, W. W., *Antigonos Gonatas*, 275-310.

(3) Bouché-Leclercq, A., *Hist. Séleuc.*, I, 72.

(4) Durbach, F., *Inscriptions de Delos*, 31.

(5) Reinach, A. J., *Rev. Arch.*, 1908, 182 ff.; Tarn, W. W., *Eg. Syr. Mac.*, *Cam. Anc. Hist.*, VII, 709-710.

وكانت مصر قد خسرت الحرب في اليونان فنشط غوناطوس يشاطرها الزعامة في البحر وانشأ اسطولاً جديداً لهذه الغاية . وهب انطيوخوس الثاني يطالب بسواحل آسية الصغرى وبسورية الجنوبية والساحل اللبناني . وشقّ والي افسس عصا الطاعة وثار على ولي امره بطليموس الثاني . فرحب انطيوخوس بهذه البادرة وأمدّ والي افسس بالمعونة فأرسل اليه فرقة من جنوده التراقيين . ولكن هؤلاء تمردوا على الوالي المصري الثائر واغتالوه في السنة ٢٥٩ وحرروا المدينة . وطغا صاحب ملاطية فأدركه انطيوخوس الثاني وانقذ الملطيين من جوره وتجبره . فرأى الملطيون في شخص انطيوخوس مخلصاً سماوياً ولقّبوه بالإله (Antiochos Theos) . وتغلب الاسطول الرودوسي على الاسطول المصري في مياه افسس ثم دحرت البوارج المقدونية المراكب الحربية المصرية عند جزيرة كوس في السنة ٢٥٥ فسارع «الهائم بأخته» الى المصالحة فتنازل لخصمه غوناطوس عن جميع الجزر ما عدا ثيرة (Thera) واعترف بسيادة انطيوخوس الثاني على ساحل آسية الصغرى فاعاد اليه ما كان قد خسره والده في الحرب السورية الاولى . اما في سورية فان الحد الفاصل بين السلوقيين والبطالسة أصبح — بعد زواج انطيوخوس الثاني من بنت بطلميوس الثاني برنيقية — بالقرب من صيدا والى شماليها[1] .

وابتهج غوناطوس بالنصر فأنشأ في جزيرة ذلوس رواقاً تذكارياً عرف باسمه فيما بعد واقام في الجزيرة اثراً آخر نحت عليه تماثيل جدوده الخمسة عشر وحفظ بارجته المظفرة في معركة كوس في البناء نفسه الذي كان قد بناه بطلميوس الاول في ذلّوس بعد موقعة سلاميس ولايواء بارجة ديمتريوس . وأحب غوناطوس ان يخلد انتصاره على « الهائمة باخيها » ارسينوة فأمر بنحت تمثال النصر الشهير وبنصبه في جزيرة سموثراقية (Samothrace) جزيرة ارسينوة نفسها . وتمثال النصر هذا الذي يعد من انفس ما خلف العالم القديم في حقل النحت الفني يمثل آلهة النصر واقفة على مقدم بارجة غوناطوس تحمل بيدها اكليلاً من الغار بينما الارياح البحرية تدفع بردائها الى الوراء[2] .

الحرب السورية الثالثة : (٢٤٦ — ٢٤١) وما كادت الحرب السورية الثانية تضع اوزارها حتى استأنف بطلميوس الهائم باخته السعي لعزل غوناطوس عن اصدقائه وحلفائه . وكان قد أزوج انطيوخوس الثاني من بنته برنيقية في السنة ٢٥٣ فحض في السنة التالية

(1) *Saint Jérôme sur Daniel*, XI; Edgar, *Zeno Pap.*, 42, *Ann.* XIX, 1920, 91 f; Bevan, E., *Hist. Lagides*, 88-89; Jouguet, P., *Mac. Imp.*, 189-191.
(2) *Cam. Anc. Hist.*, Plates, vol. II, 10, K.

الاسكندر صاحب كورنثوس على الثورة ففقد غوناطوس بذلك قواعده البحرية في اليونان كما خسر بوارج الاسكندر وسفن حلفائه .

ثم حلّ اصدق المواعيد فقضى الاسكندر نحبه في السنة ٢٤٧ وانقضت ايام انطيوخوس بعد ذلك بقليل . وفي مطلع السنة ٢٤٦ مات بطلميوس نفسه فاستوى ابنه بطلميوس الثالث على عرش مصر . وكان قد تزوج بطلميوس هذا من برنيقية بنت صاحب قورينة فزال الخلاف بين البلدين واطلق الشعبان على بطلميوس لقب (Euergetes) ومعناه المُحسن[1] .

وكان انطيوخوس الثاني قد أبعد زوجته الاولى لاوذيقية الى افسس وأحلّ برنيقية المصرية محلها في العاصمة . فولدت برنيقية ابناً في السنة ٢٥٠ ودعي انطيوخوس . وكانت لاوذيقية قد ولدت سلوقوس وانطيوخوس . فلما جاءت برنيقية واضطرت لاوذيقية ان تقوم الى افسس اخذت ولديها واختيها معها . وفي السنة ٢٤٧ نجحت في اجتذاب انطيوخوس الثاني فقام الى افسس واقام عندها ثم توفي بين يديها . فارسلت الى انطاكية من غدر بضرتها وبابنها الطفل انطيوخوس . ثم اعلنت لاوذيقية ابنها البكر سلوقوس الثاني ملكاً وكان لا يزال في التاسعة عشرة من عمره[2] .

وغضب بطلميوس الثالث لكرامته ولمصلحته فأنفذ اولاً والي قبرص بقوة بحرية برية الى قيليقية ليحتل ممراتهـــا فيحسن الدفاع ضد لاوذيقية واتباعها . فتم له ذلك بسهولة وقبض على حاكم قيليقية واستولى الوالي المصري على الف وخمس مئة وزنة من الفضة كان حاكم قيليقية قد بعث بها الى لاوذيقية . وتمكن والي قبرص من احتلال سلوقية التي على مصب العاصي ومن الوصول الى انطاكية والاتصال ببرنيقية في دفنة قبل اغتيالها . ثم وقع الاغتيال ولكن وصيفات برنيقية أخفين خبره .

وجيّش بطلميوس الثالث جيوشه . وأعد الفيلة الافريقية التي كان والده قد درّبها للحرب واعلنها حرباً على ضرة شقيقته فسمّاها « حرب لاوذيقية الجانية »[3]. وقبيل انطلاقه نذرت زوجته الملكة برنيقية القيرونية خصلة من شعرها لأفروديتة في هيكلها في الاسكندرية راجية عودة بطلميوس سالماً . فأعلن المنجمون بعد ذلك بقليل ان هذه الخصلة تحوّلت حالاً الى برج جديد في الفلك لم يعرفوه من قبل فدعوه برج برنيقية . وهبّ الشاعر القوريني كليماخوس يخلد هذه الظاهرة السماوية فنظم في هذا الموضوع قصيدة رائعة حفظ لنا بها

(1) Bevan, E., *Hist. Lagides*, 91-92.
(2) Bouché-Leclercq, A., *Hist. Séleuc.*, I, 247.
(3) *Corp. Inscript. Graec.*, 2905, l. 135.

تفاصيل تاريخية لذيذة مفيدة . واشتد اعجاب المعاصرين بهذه القصيدة وتناقلتها الألسن فنقلها كتلّوس (Catullus) الى اللاتينية وسمّاها (Coma Berenices) ولا تزال[1].

ونهض بطلميوس الثالث بجيشه في ربيع السنة ٢٤٦ متجهاً شطر انطاكية . وتحيّر الناس في سورية ولم يعرفوا اي الاخوين احق من الآخر في الملك فلم يعارضوا بطلميوس فدخل مدنهم بلدة بعد اخرى وسار متوغلاً حتى بلغ الفرات ودجلة ولعله بلغ فارس ايضاً[2] .

ثم شاع خبر قتل انطيوخوس الطفل وامه برنيقية فتغير الجوّ السياسي في سورية وأدرك الناس ان الحرب امست حرب تطاحن بين البطالسة والسلوقيين وانها لم تكن نزاعاً بين سلوقوس واخيه . فاضطر بطليموس ان يعود الى مصر . فادعى ان ظروفاً سياسية داخلية قضت بذلك[3] . وعين قبل رجوعه الى مصر حاكماً على سورية وآخر على قيليقية وسائر آسية الصغرى[4] . ويرى بعض العلماء الباحثين ان السبب في عودة بطلميوس الى مصر انما كان تدخل مقدونية في هذه الحرب وانتصار اسطولها على بوارج مصر في مياه اندروس (Andraos)[5] .

وظلّ سلوقوس الثاني مسيطرًا على الموقف في آسية الصغرى . فان ولاء أزمير وبريانة وملاطية لم يتزعزع . ولجأ هو الى السياسة فأزوج اخته لاذقية من مثراداتس (Mithradates) صاحب البونط واخته ستراتونيكية من اريارتس (Ariarthes) صاحب قبذوقية . فشدا ازره وعاوناه بالمال والرجال . فعبر سلوقوس جبال طوروس في السنة ٢٤٤ ودحر قادة مصر عند الفرات ثم دخل سورية فاستسلمت اليه بالسرعة نفسها التي كانت قد انقادت بها الى اوامر بطلميوس . فاستحق سلوقوس لقب المنتصر (Callinicos) واغار بطلميوس على سورية مرة ثانية وحاصر دمشق ولكن سلوقوس فك هذا الحصار (٢٤٢) ورد المصريين من عرطوس (Orthosia) عند مصب النهر البارد ولكنه لم يتمكن من الاستيلاء على سورية الجنوبية موضوع النزاع بين الاسرتين . وفي السنة ٢٤٠ وقع الطرفان صلحاً عادت به الحدود بين الدولتين الى ما كانت عليه سابقاً . وبقيت سلوقية التي على مصب العاصي في يد المصريين حتى ايام انطيوخوس الثالث (٢٠٩)[6] .

---

(1) Bevan, E., *Hist. Lagides*, 221-222.

(2) اطلب ترجمة النصوص الأولية لتاريخ هذه الحرب في : Bevan, E., *Hist. Lagides*, 222-226; Jouguet, P., *Mac. Imp.*, 193-194.; Mahaffy, J. P., *Hist. of Eg. under Ptol. Dyn.*

(3) Just., 27, 1, 9.

(4) Jerome, *In Dan.*, XI; Bouché-Leclercq, A., *Hist. Lag.* I, 259.

(5) Jouguet, P., *Mac. Imp.*, 195.

(6) Tarn, W. W., *Eg. Syr. Mac.*, *Cam. Anc. Hist.*, VII, 717-719.

الهند وفارس : وكان قد قام في الهند من اعجب بالاسكندر وحذا حذوه . ففي السنة ٣١٦ قبل الميلاد سارع قائد كنجي يدعى شندراغوبتة (Chandragupta) الى تجييش عدد من المرتزقة اليونانيين وهجم بهم وبغيرهم على وادي نهر السند فقضى على الحاميات المقدونية وأسس بذلك امبراطورية هندية واسعة الاطراف . وعلى الرغم من تعلق سلوقوس الاول بهذه المقاطعات النائية فانه رضي في السنة ٣٠٤ ان يعترف بسلطة شندراغوبتة مقابل كتائب معينة من الفيلة استعان بها على خصمه انتيغونوس في موقعة ابسوس الحاسمة (٣٠١) . وحافظ خلف شندراغوبتة على هذه الصداقة وتبعه في ذلك ابنه أسوكة (Asoka) فارسل في السنة ٢٦٠ دعاة بوذيين الى خلفاء الاسكندر في الغرب الى انطيوخوس الاول او الثاني والى بطلميوس الثاني وانتيغونوس غوناطوس والاسكندر الثاني ملك ابيروس ومغاس صاحب قيرونة يدعوهم الى اعتناق البوذية . وانهارت هذه الدولة الهندية وانشغل السلوقيون بمشاغل ومشاغل وقامت حكومات قوية في ايران فانقطعت بذلك صلتهم بالهند بعد السنة ٢٥٠ قبل الميلاد .

وبعد السنة ٢٥٠ بقليل بدأ ديودوتوس (Diodotos) قائد القوات السلوقية في ولاية بقطريانة وسغديانة يعتقد ان الاستقلال في الرأي في ولايته افضل من الاعتماد على الاوامر الصادرة اليه من انطاكية . ويستدل من المسكوكات الباقية انه على الرغم من هذا الشعور الداخلي لم يعلن ديودوتوس استقلاله ولم يلبس التاج وان ابنه ديودوتوس الثاني هو الذي أعلن نفسه ملكاً لاول مرة وان هذا الاعلان حدث قبيل السنة ٢٢٧ [1] .

وحوالى السنة ٢٤٧ غزا ارشك (Arsaces) امير قبيلة البرني (Parni) شمالي فارس وشماليها الشرقي وطرد حاكم هذه المقاطعات السلوقي اندراغوراس (Andragoras) واستقر في استراباد (Astavene) . وفي السنة ٢٣٥ جاء تيريداتس (Tiridates) اخو ارشك بجموعه فغشي مقاطعتي برثية وهيركانية . فهبّ سلوقوس الثاني للدفاع عن ملكه في هذا القطاع وفاوض ديودوتوس في ذلك وكادت الحرب تصبح نزاعاً بين اليونانيين وبين البرابرة . ولكن ديودوتوس هذا توفي وخلفه ابنه ديودوتوس الثاني . فحالف هذا تيريداتس واضطر سلوقوس ان يعود الى الغرب فتمكن تيريداتس من تأسيس مملكة برثية . وتدعى في بعض المراجع العربية مملكة الفرت[2] .

وكانت ازربيجان (Media Atropatane) تتمتع منذ عهد الاسكندر بحكم ذاتي

---

(1) Tarn, W. W., *Eg. Syr. Mac.*, *Cam. Anc. Hist.*, VII, 719.
(1) Carry, M., *Hist. Greek World*, 68-69.

في ظل اسرة ازربيجانية . فلما ضعفت شوكة السلوقيين انفصلت هذه المقاطعة عن الدولة السلوقية . وحوالى السنة ٢٣٠ حذت ارمينية حذو ازربيجان فاستقلت تحت امرة اسرة فارسية كانت قد حكمتها قبل الفتح الاسكندري . ومؤسس الاستقلال في هذه الدويلة ارسامس (Arsames) وعاصمته الاولى ارساموساتة (Arsamosata).

حرب الأخوين : وكان بطلميوس الثالث قد بعث بانطيوخوس «الصقر» (Hierax) اخي سلوقوس الثاني حاكماً على قيليقية وسائر آسية الصغرى . فلما عاد سلوقوس الثاني الى سورية منتصراً اجتمع بأخيه انطيوخوس ووعده « بالملك » في آسية الصغرى ان هو ساعده في حربه ضد بطلميوس . فرضي انطيوخوس واتفق الاخوان . وخشي بطلميوس هذا الاتحاد فعمل على التفرقة وأيد انطيوخوس . ولما اطمأن سلوقوس الى الوضع السياسي العسكري في سورية حاول ان يستعيد سلطته على آسية الصغرى . فاحتشد كل من الاخوين عسكراً وتقاتلا في قيليقية وسائر الساحل حتى ازمير . فولى انطيوخوس مدبراً فاستعان بمتراداتس الثاني ملك البونط وحالف الغلط البرابرة . وفي السنة التالية (٢٣٦) نهض سلوقوس بجيوشه الى قلب آسية الصغرى . فاشتبك القتال في انقيرة (Ancyra) فاستظهر انطيوخوس على سلوقوس وانهزم هذا بعد ان قتل من جنوده عشرون الفاً . فتصالح الاخوان واعترف سلوقوس بسيادة انطيوخوس في آسية الصغرى . ويستدل من نص بابلي معاصر ان لاوذيقية والدة سلوقوس وانطيوخوس كانت لا تزال في قيد الحياة[1]. ولكننا نجهل موقفها من حرب الاخوين .

وكان الغلط البرابرة لا يزالون يفرضون الاتاوة على السكان الآمنين في آسية الصغرى. فلما نشبت حرب الاخوين عظم شأن هؤلاء البرابرة فزادوا الاتاوة وجمعوها من كل مقاطعة او امارة او دويلة . وكان افمينس صاحب برغامون قد توفي في السنة ٢٤١ بلا وارث . فلما تولى ابن اخيه اتلوس (Attalus) ازمة الحكم بعده أبدى همة فائقة في تنظيم شؤون برغامون وتحصينها وبث فيها روحاً جديداً من الثقة والانفة . فامتنع عن دفع الاتاوة للبرابرة وتزعم حركة هلينية وطنية شملت عدداً كبيراً من اليونانيين في آسية الصغرى . وغضب الغلط وقرروا غزو اتلوس وايدهم في ذلك انطيوخوس الصقر . وهجموا على اراضي برغامون وتوغلوا فيها حتى بلغوا العاصمة برغامون نفسها . فوثب اتلوس في نخبة من جنده . ولم تلبث ان دارت الدائرة على الغلط وعلى انطيوخوس فهزموا هزيمة ساحقة وارتدوا عن برغامون .

(1) Lehmann-Haupt, C. F., *Zeit. f. Assyr.*, VII, 330.

فاتخذ اتلوس لنفسه لقب ملك . ثم وقع الشقاق بين الغلط وبين انطيوخوس فانقض اتلوس على انطيوخوس وكسره في مواقع ثلاث في السنة ٢٢٩ وضم الى ملكه جميع الساحل الايجي حتى كارية . وفي السنة ٢٢٨ اتجه أتلوس شرقاً فأكره انطيوخوس على الخروج من جميع ممتلكات السلوقيين في آسية الصغرى .

وكان لما اتاه اتلوس من خضد شوكة الغلط تأثير عظيم على الفن الذي كان يدأب في ابتداعه النحاتون من اهل اثينة وضواحيها . فظهرت على حائط الاكروبوليس الشمالي في اثينة مجموعات اربع من التماثيل اثنتان اسطوريتان واثنتان تاريخيتان . فخلدت مجموعة من هذه المجموعات معركة وهمية اسطورية بين الاثينيين وبين الامازونيين . وجاءت الى جانبها مجموعة تمثل انتصار الاثينيين على الفرس . ثم نحتت مجموعة ثالثة من التماثيل تسجل انتصار الآلهة على التيتان (Titan) . وقام الى جانبها مشهد رائع في مجموعة رابعة يخلد انتصار اتلوس على الغلط . وأقام اتلوس في عاصمته برغامون في صحن هيكل اثينة عدداً من الرسوم البرونزية الناتئة لهذه الغاية نفسها . وما تمثال الغلطي الذي يسلم الروح وتمثال الغلطي الآخر الذي يحاول الانتحار بعد ان قتل زوجته سوى نسختين معاصرتين من الرخام عن بعض هذه الرسوم البرونزية الضائعة[1] .

وفرّ انطيوخوس الصقر والتجأ الى ارمينية واتفق مع ملكها أرسامس . فتعقبته جنود اتلوس فأدركته مراراً وحاربته . واختفى في احدى المعارك بين القتلى حتى جن الليل ففر ولم شعث جنوده . ثم انزل بجنود خصمه هزيمة شنعاء . ولكن مهماته وذخائره كانت قد اصبحت قليلة . ففر هارباً وعاد الى آسية الصغرى . فقتل في الطريق حيثما كان ذاهباً الى تراقية . وقيل انه فرّ الى عند بطلميوس فقربه اليه لانه تأكد براءته من قتل برنيقية . ثم أمر به فسجن غير انه فرّ من سجنه فالتقاه بعض اللصوص وقتلوه[2] .

وكان لسلوقس الثاني « المنتصر » عمة اسمها ستراتونيكية زوجة ديمتريوس الثاني . فلما رأت ان ابن اخيها سلوقوس منشغل في الحرب التي شنها على البرثيين سارت الى اهل انطاكية وبدأت تحرضهم عليه . فلما بلغه ذلك عاد راجعاً . ولما دنا من انطاكية لم تجسر ستراتونيكية على البقاء فيها فهربت الى جهة سلوقية . فتعقبتها العساكر وقبضت عليها فقتلتها . وهنالك من ينسب هذه الفتنة لمداخلة انطيوخوس الصقر انفاذاً لطمعه في سورية[3] .

---

(1) JOUGUET, P., *Mac. Imp.*, Pl. III; ROSTOVTZEFF, M., *Soc. Econ. Hist.*, Plts. 63, 66.
(2) JOUGUET, P., *Mac. Imp.*, 201.
(3) TARN, W. W., *Eg. Syr. Mac.*, *Cam. Anc. Hist.*, VII, 722.

سلوقوس الثالث : (٢٢٦ – ٢٢٣) وتوفي سلوقوس الثاني (٢٢٦) قبل ان يتسنى له تأديب اتلوس ملك برغامون . فخلفه في الملك ابنه الاسكندر واتخذ لنفسه اسم سلوقوس الثالث ولقب « الصاعقة المخلصة » (Ceraunos Soter) . وولّى اخاه انطيوخوس على بابل وما وراء الفرات وأنفذ خاله انذروماخوس الى آسية الصغرى ليخلصها من يد اتلوس . ولكن اتلوس هذا انتصر عليه واسره ثم ارسله الى بطلميوس . فأقام سلوقوس الثالث وزيره هرمياس (Hermeias) وكيلاً في سورية وحشد جيشاً عظيماً وعبر جبال خوروس قاصداً برغامون وصاحبها اتلوس . ولكن لم يكن عنده ما ينفق به على الجند . فضجروا منه ودسّ نيكانور له السم فمات في السنة ٢٢٣. ثم عرض نيكانور التاج على اخيوس (Achaeus) ابن انذروماخوس فأبى وقتله وعاد الى سورية واجلس انطيوخوس اخا سلوقوس الثالث على سرير الملك . ثم نهض الى آسية الصغرى يتابع القتال . ودافع اتلوس عما كسبت يداه ولكن ذلك لم يغنه شيئاً فسقطت ممتلكاته الجديدة في يد اخيوس ولم يبقَ لأتلوس سوى مقاطعة برغامون القديمة (٢٢٠) .

انطيوخوس الثالث : (٢٢٣ – ١٨٧) وكان انطيوخوس الثالث لا يزال فتى في الثامنة عشرة . فلما تبوأ الاريكة ارسل القائد مولون (Molon) واخاه الاسكندر الى سلوقية ليدبرا امور الشرق وولى اخيوس حكومة آسية الصغرى . وجعل من ابيغينس (Epigenes) القائد اميراً على العساكر الخاصة . واستوزر هرمياس وفوّض اليه تدبير الامور . وكان هرمياس هذا خبيثاً مكاراً وعنيداً قاسياً فأثار جزع مولون واخيه الاسكندر . واستخف الاخوان القائدان بانطيوخوس الفتى فاظهرا العصيان وأعلنا استقلالهما (٢٢٢) ولبس احدهما مولون الذياذمة . وبلغ انطيوخوس ذلك فجمع مجلساً للمذاكرة في الامر . فأوجب ابيغينس القائد اخضاع مولون حالاً . اما هرمياس فانه اشار الى قرب اجل بطلميوس الثالث والى انغماس خلفه بطلميوس الرابع بالملذات وخضوعه لخليلته اغاثوكلية (Agathocleia) ولاخيها واعراضه عن شؤون الدولة[1] . فأوجب استغلال هذه الفرصة السانحة بتسيير جيش قوي على سورية الجنوبية . ورأى هرمياس ان عصيان مولون امر ثانوي يمكن تدبيره بانفاذ قوة اخرى في الوقت نفسه . ولفت هرمياس نظر اعضاء المجلس الى ما كان يقال عن التفاهم بين اخيوس حاكم آسية الصغرى وبين بلاط الاسكندرية فوافق المجلس على خطته[2].

---

(1) Plut., *Cleom.*, 36, 3; Perdrizet, *Rev. Etudes Anc.*, 1910, 218 ff.

(2) Polybius, V, 42, 4; Jouguet, P., *Mac. Imp.*, 207-208; Tarn, W. W., *op. cit.*, *Cam. Anc. Hist.*, 723-724.

فأرسل انطيوخوس كتيبة من الجند بقيادة قسينون (Xenon) وثيودوتوس (Theodotos) الطويل – وكان هذا اطول القادة فلقب « بالواحد والنصف » (Hemiolios) – وسار هو بمعظم الجيش لقتال بطلميوس في البقاع (وادي مرسياس) . وفي اثناء مسيره تزوج من بنت مثراداتس صاحب البونط . وبينما كان يقيم افراح الزواج وردت عليه الأخبار بانتصار مولون واخيه على جيوشه وبفرار قسينون وثيودوتوس « الواحد والنصف » . وكاد انطيوخوس يكف عن قتال صاحب مصر ويسير الى اخضاع العصاة غير ان هرمياس كان لم يزل مصرًا على عناده قائلاً ان ملكاً جليل الشأن كانطيوخوس لا يسير لقتال العصاة بل يقابل ملوكاً مثله . وقاد المجلس العالي الى رأيه مرة اخرى . فرجع انطيوخوس عن عزمه وسيّر جيشاً جديدًا بقيادة قسنتاس (Xenoetas) احد اصدقاء هرمياس . فسار قسنتاس الى دجلة والفرات وانجده بعض الولاة . ولكن مولون تفوق عليه بمفاجأة مدبرة فانكسر قسنتاس وفرّ بنفسه هارباً .

وكان انطيوخوس الثالث قد سار بجيشه في صيف السنة ٢٢١ من ابامية (قلعة المضيق) الى حمص . وكان الحد الفاصل بينه وبين بطلميوس يقع في اول القسم القاحل من البقاع بعد قطينة والزراعة . فعبر انطيوخوس الحدود وتقدم نحو بعلبك فاحتلها بدون مقاومة . ثم تابع سيره حتى طريق بيروت دمشق الحالية فوجد نفسه امام خط دفاع منظم كان قد اقامه في وجهه حاكم وادي مرسياس القائد الايتولي ثيودوتوس (Theodotos) . وكان هذا الخط يتألف من مستنقعات عميّق وقب الياس وما جاورهما ومن خنادق محفورة وحسائك منثورة . وكان يطل على هذه العقبة العسكرية حصنان منيعان احدهما في مجدل عنجر (Gerra) عند اول تلال لبنان الشرقي والآخر في (Brochoi) عند سفح التلال اللبنانية الغربية . ويختلف العلماء في تعيين المحل الذي قامت فيه بروخوي. وقد تكون عين باروكة الحالية (بركة) لا الباروك كما يعتقد العلامة رينه دوسو . فنص بوليبيوس يفرض وجودها اقرب الى السهل بكثير من الباروك وبالقرب من الممر الذي يؤدي الى الساحل . وحاول انطيوخوس قطع خط الدفاع هذا ولكنه لم يفلح . وبينما هو كذلك ادركته اخبار قسنتاس فعاد بجيوشه الى انطاكية[1] .

وعاد المجلس العالي للتداول والتشاور . فألح ابيغينس القائد على ضرب العصاة في الشرق والقضاء عليهم قبل الشروع في قتال بطلميوس . فما كان من هرمياس الا ان

---

(1) Polybius, V, 54 f; Abel, F. M., *Hist. de la Palestine*, I, 73-74.

عاد الى تأييد رأيه وأظهر لانطيوخوس ان اضرابه عن متابعة الاعمال الحربية في البقاع وسائر سورية الجنوبية ضرب من الخفة وعدم الثبات . اما رجال المجلس فحكموا بصوابية رأي ابيغينس . وكان انطيوخوس قد اظهر ميله لعضد هذا الرأي فقر القرار على ذلك . فلما رأى هرمياس اصرار المجلس وقرارهم وافقهم على ما ذهبوا اليه وراح يستعد للقتال في الشرق .

فلما تكامل عدد الجند في ابامية ظهر الفساد بينهم لانهم كانوا يطلبون رواتبهم ولم يكن في الخزينة مال يوزع عليهم . فتدارك هرمياس الحال واتى بالمال المطلوب وقتل عدداً كبيراً من الجنود المحرضين . ثم اظهر لانطيوخوس ان ذهاب ابيغينس بهذه الحملة مضر بالصالح لانه لا يمكن اتفاقهما . وطلب بعد ذلك الى الملك توقيف ابيغينس في ابامية . وما فتئ ان اتهمه بالتآمر مع العصاة فأمر الملك بقتله بلا محاكمة .

وسار انطيوخوس بنفسه الى الفرات فوصل الى انطاكية نصيبين في اواخر السنة ٢٢١ . وفي مطلع السنة ٢٢٠ عبر دجلة وسار محازياً ضفته الشرقية فهدد مواصلات مولون بفارس . ثم ضيّق عليه في ابولونية (Appollonia) واكرهه على القتال . وما ان أبصر اليونانيون والمقدونيون المقاتلون في صفوف مولون الملك الشرعي حتى انحازوا اليه . فخسر مولون المعركة فقتل نفسه . وكان له اخ صغير يقال له ثيولاكس ففرّ مسرعاً الى بلاد فارس وقص ما كان على اخيه الاسكندر . فشق على الاسكندر ذلك فقتل اخاه وامه وامرأته واولاده واقرباءه ثم نفسه ايضاً . واستأنف انطيوخوس السير فعبر جبال زغروس واخضع ارتابزانس (Artabazane) صاحب ازربيجان لانه كان قد مال نحو مولون وعصابته . وأشار ابولوفانس (Apollophanes) الطبيب على انطيوخوس بقتل هرمياس لانه كان قد بدأ يطمع في السلطة . فقتل وسر الجند بذلك وعمت الافراح اهل ابامية فثاروا على نسائه واولاده وقتلوهم[1] .

ورجع انطيوخوس من ازربيجان في اواخر السنة ٢٢٠ . وبينما هو في طريقه ثار ابن عمه اخيوس الذي كان قد اقامه والياً في الاناضول . ولعل السبب في ذلك تدخل مصر وتحريضها . وزحف اخيوس على سورية ولكن جنوده ابوا ان يقاتلوا انطيوخوس الملك الشرعي وتمردوا . فسار اخيوس مسرعاً الى لاذقية فريجية ووضع الذياذمة على رأسه واعلن نفسه ملكاً وقاتل في آسية الصغرى مفتتحاً بعض المقاطعات ولكنه لم يقوَ على محاربة انطيوخوس لامتناع جنوده عن ذلك[2] .

---

(1) JOUGUET, P., *Mac. Imp.*, 211-212.
(2) CARRY, M., *Hist. Greek World*, 112-114; POLYBIUS, VIII, 15-21.

الحرب السورية الرابعة : (٢٢٠ – ٢١٧) ولم يكن بطلميوس الثالث « المحسن » اعظم البطالسة كما صوره البعض . ولولا مبالغته الفائقة الحد في كلامه عن حروبه في آسية لما كان لدينا شيء من اخباره السياسية . وجل ما يذكر له هو عطفه على ايراتوستينس العالم وإلغاء بعض الضرائب عند حلول مجاعة من المجاعات واكتفاؤه بسياسة خارجية سلبية افقدت مصر نفوذها في اليونان وفي آسية الصغرى . والسلم الذي رتعت فيه مصر زهاء عشرين عاماً (٢٤١ – ٢٢٠) لم ينشأ عن سياسة ايجابية معينة اتخذها « المحسن » لنفسه ولبلاده وانما جاء نتيجة انشغال السلوقيين والانتيغونيين عنها بمتاعب داخلية وخارجية[1] .

وتوفي بطلميوس الثالث بين تموز وتشرين الاول سنة ٢٢١ وخلفه في الملك ابنه الاكبر بطلميوس الرابع (Philopator) « صديق ابيه » . ولم يكن بطلميوس هذا الرجل المهمل الذي لم يرَ في الحياة سوى النساء والخمر كما صوره بوليبيوس المؤرخ . وليس في ملامح وجهه كما تحفظه لنا مسكوكاته وسائر آثاره ما ينم عن ضعف في الادارة او نقص في الاخلاق . ولكنه رأى فيما يظهر ان مناظريه انطيوخوس الثالث وفيليبوس الخامس كانا لا يزالان يافعين لا يخشى منهما ضرراً فأهمل السياسة الخارجية وعني بعض العناية بالعلم والفلسفة وشغف بالدين . ولعله رأى في الدين وسيلة لتوحيد الصفوف فجعل ذيونيسوس (Dionysos) اليونان صبأوت العبرانيين متتبعاً في ذلك خطى جده بطلميوس الاول الذي كان قد رأى في سرابيس (Sarapis) اليونان إله المصريين اوسيريس ابيس (Osiris-Apis) . بيد ان شغفه بدين ذيونيسوس وانصرافه انصرافاً كلياً الى ممارسة طقوسه أديا به الى الانغماس في الخلاعة والفسق . فتعرف الى اغاثوكليه (Agathoclea) وهام بها فخضع لها وعظم شأن أخيها اغاثوكليس . ولو لم يكن قد فوّض شؤون الحكم الى سوسيبيوس (Sosibios) — ذاك الرجل الامين — وخوله السلطة كلها لما تمكن من الصمود في وجه انطيوخوس في الخارج ومن احباط ما أحيك ضده من مؤآمرات في الداخل .

وفي اواخر السنة ٢٢٠ عاد انطيوخوس الثالث بجيوشه المظفرة من الشرق . وما كاد يستقر في انطاكية عاصمة ملكه حتى جمع اعضاء المجلس العالي للتشاور في استخلاص سورية الجنوبية من ايدي البطالسة المغتصبين . فوافق المجلس بالاجماع واشار الطبيب ابولوفانس بوجوب تحرير سلوقية التي على مصب العاصي اولا لانها مرفأ العاصمة ولانها كانت لا تزال منذ السنة ٢٤٦ في يد المصريين . فوافق ارباب المجلس . فأمر انطيوخوس امير البحر ذيوغنيتس (Diogenetes) بحصرها من البحر وقام هو بنفسه على رأس جيشه

(1) TARN, W. W., *op. cit.*, *Cam. Anc. Hist.*, VII, 726-727.

اليها من البر . وما ان وصل اليها حتى شرع يستميل قلوب الاهالي بالاموال والوعود وبالرتب والمناصب . ثم شدد الحصار براً وبحراً بهجوم عام فضغط بعض ضباط الحامية على رئيسهم ليونتيوس (Leontios) فسلمت القلعة[1] .

وكان ثيودوتوس حاكم البقاع العسكري وسائر سورية الجنوبية قد بدأ يحس بتنكر بلاط الاسكندرية له واعراض المسؤولين عنه فكتب الى انطيوخوس في سلوقية يلتمس الدخول في الطاعة ويؤكد استعداده لتسليم القاعدتين البحريتين صور وعكة (Ptolemais) فأسرع انطيوخوس الى احتلال البقاع ولم يعبأ بامتناع حامية الباروكة عن التسليم فترك قوة من المشاة لحصرها ونهض بوحداته الخفيفة من البقـــاع الى الساحل اللبناني . وكان سوسيبيوس قد ارتاب بثيودوتوس فعزله عن منصبه وعين نيقولاوس قائداً وحاكماً في سورية وجهزه بالجند وانفذه الى عكة يقتص من ثيودوتوس ويحل محله . فامتنع ثيودوتوس وجاراه في ذلك محافظ صور بانايتولوس (Panaitolos) فضرب نيقولاوس الحصار على قاعدتي عكة وصور . وسير لاغوراس (Lagoras) الكريتي وذوريمينس (Dorymenes) الايتولي بقوة لاحتلال ممر نهر الكلب والصمود في وجه انطيوخوس الزاحف جنوباً . فهبط انطيوخوس على هؤلاء فجأة فذعروا وولوا هاربين . ثم انتظر انطيوخوس ما كان قد تبقى من قواته في سهل البقاع ولما اكتمل الجمع نهض الى بيروت فالدامور فصيدا . وكان نيقولاوس قد علم بما جرى ففك الحصار عن صور وعكة وامتنع في دورة (Dora) الى جنوبي الكرمل . فخرج ثيودوتوس برجاله من عكة واتجه شطر انطيوخوس وانضم اليه بانايتولوس ورجاله . وما برحوا حتى التقوا بانطيوخوس فساروا امامه لقتال نيقولاوس . ودخلت صور وعكة في حوزة انطيوخوس فاستولى فيهما على كميات من الذخائر والعتاد وعلى ستين بارجة حربية . وامتنع نيقولاوس في دورة وتمكن من الصمود في وجه انطيوخوس . فانتهز سوسيبيوس هذه الفرصة وفاوض انطيوخوس في الصلح كي يتسنى له الوقت الكافي للاستعداد . وكان الشتاء قد اقبل وكان اخيوس لا يزال على غيّه في آسية الصغرى فقبل انطيوخوس بهدنة وبوقف القتال شهوراً اربعة[2] .

وأصبحت انطاكية في شتاء السنة ٢١٩ ــ ٢١٨ قبلة انظار رجال السياسة فأمتها الوفود المصرية المفاوضة وتكرر ايابها وذهابها . واستمسك انطيوخوس الثالث بحق اسرته في الحكم على جميع سورية فشدد سوسيبيوس على مفعول مرور الزمن وذكّر بان البطالسة

---

(1) Polybius, V, 58, 61.
(2) Polybius, V, 61-66.

لم ينقطعوا عن حكم سورية الجنوبية منذ اثنتين وثمانين سنة . ولكنه على شدة تمسكه بحق أسياده في سورية لم يقسُ لحظة واحدة كي لا تنقطع المفاوضات قبل اكمال استعداده للحرب . ولما تمّ تأهبه بدأ يفاوض في مصير اخيوس حليف سيده ومناظر انطيوخوس وخصمه وقال انه لا بد من ان يشمل البحث في شروط الصلح حلاً معقولاً للمشكلة القائمة في آسية الصغرى . فغضب انطيوخوس لكرامته وقطع المفاوضات .

وبعد ذلك بقليل اي في ربيع السنة ٢١٨ استأنف انطيوخوس الثالث القتال . فانطلق من سلوقية التي على العاصي الى عمريت (Marathos) حيث وفق بين مصالح ارواد ومصالح ابناء الشاطئ المحازي وأسس حلفاً بينه وبين ابناء الجزيرة . ثم قام الى القلمون (Calamos) وقلمون الهري (Trieres) فأحرقهما . وعبر رأس الشقعة (Theouprosopon) فاحتل البترون (Botrys) وانفذ نيقارخوس وثيودوتوس للاستيلاء على ممر نهر الكلب . ثم سار من البترون الى بيروت واستقر في الدامور حيث انشأ معسكرًا استعدادًا للقتال . ووصل الى الدامور امير البحر ديوغينيس بالاسطول . وكان نيقولاوس الايتولي قائد البطالسة قد صمد بين علمات والرميلة (Palatanos) وبين الجية (Porphyreon) وذلك لضيق الشاطئ ولكثرة الصخور الناتئة في البحر . وكان يساند نيقولاوس امير البحر المصري النفارخوس (navarchos) بيريغينس (Perigenes) على رأس قوة بحرية مؤلفة من ثلاثين بارجة واربع مئة سفينة نقل[1] .

وبعد القيام بالاستكشافات اللازمة زحف انطيوخوس بميمنته على الساحل الضيق وأمر ثيودوتوس بالقيام بمعظم قوى الجيش بحركة التفاف واسعة في ما وراء التلال القائمة عند البحر . وقام هو بقلب جيشه يتسلق التلال القريبة عند ميمنة خصمه . وبعد مناوشات قليلة اضطر نيقولاوس ان يتراجع مسرعاً نحو الجنوب خوفاً من ان يطبق عليه ثيودوتوس من الوراء فيخسر كل شيء . ولم يتمكن من القيام بتراجع منظم فتحول تراجعه الى انكسار خسر فيه الفي قتيل والفي اسير . وتراجع النفارخوس تراجعاً مماثلاً واحتمى الاثنان في مرفأ صيدا وضمن اسوارها .

ولم يحاول انطيوخوس فتح صيدا لمناعة اسوارها وكثرة المدافعين عنها . فأنفذ بالاسطول الى صور وسار حواليها . ثم قام الى فلسطين عن طريق صفد فاستولى على فيلوتيرية (Philoteria) عند ضفة طبرية الغربية ثم على بيسان (Scythopolis) . وأبقى في كل من هاتين المدينتين حامية للمحافظة على مواردهما الزراعية الكبيرة اللازمة لتموين الجيش .

(1) Polybius, V, 67, 68.

في سيره المظفر الى اتبيريون (Atabyrion) على جبل طابور . فهجم عليها ثم تظاهر بالفشل وارتد عنها فخرج رجالها في اثره. وما برح يتراجع امامهم حتى ابعدهم عن مدينتهم. فصمد عندئذ في وجههم وانقض عليهم من مؤخرتهم كمين قوي من رجال انطيوخوس. فهلك معظم رجال اتبيريون وتمكن انطيوخوس من الاستيلاء عليها . ولم يمضِ سوى قليل حتى دخل في طاعته هيبرخوس طبرية (حاكمها) وغيره من حكام المنطقة . فعبر انطيوخوس الاردن واستولى على فحل بكسر الحاء (Pella) وقمّ (Kamoyus) والطيبة (Gephrous) وبعضها في كورة عجلون[1] . ثم زحف بسرعة على جرش — وكانت تعد من امنع المدن في شرق الاردن — وضرب الحصار حولها فاستسلمت . وكان لسقوطها وسقوط غيرها من المدن وقع عظيم في حدود البادية فتهافتت القبائل العربية على انطيوخوس عارضة خدماتها . وشق على السلطات المصرية في عمان (Philadelphia) خروج هذه القبائل فأرسلت للحال كتائب لغزوها فتوغل انطيوخوس في وديان شرقي الاردن وبطاحه حتى اقترب من فيلادلفية واشرف من رؤوس التلال المحيطة بها على اسوارها وابراجها . وامر باقتحامها فقصفت حصونها بالمجانيق فتثلمت وبانت فيها الثغر فحاول السوريون الدخول من هذه الثغرات فلم يفلحوا لاستبسال المصريين في الدفاع عنها . ثم اكتشف انطيوخوس الباب السري الذي يصل المدينة بمورد للماء خارج الاسوار فعمد الى سده سدًّا محكماً وابقى قوة تتابع الحصار ثم انفذ القائد هيبولوخوس (Hippolochos) بخمسة الاف ماشٍ الى السامرة لتأمين خضوعها وعاد هو بالباقي من جيشه الى عكة لقضاء فصل الشتاء . ويرى العلامة الاب آبل ان جميع فلسطين الجنوبية بما فيها غزة دانت لانطيوخوس من جراء هذه الانتصارات المتتالية[2] .

وكان سوسيبيوس في اثناء هذا كله منهمكاً في التجييش . فاستقدم من سواحل ايجه أمهر القادة واكبر عدد ممكن من المرتزقة وانشأ فرقاً من المصريين ابناء البلاد ودربهم في اساليب القتال . فتجمع لديه سبعون الف ماشٍ وسبعة الاف فارس وثلاثة وسبعون فيلاً . وكان انطيوخوس لا يزال مسيطرًا على الموقف في آسية الصغرى لا يخشى شر اخيوس ابن عمه فرأى ان يستأنف القتـــال في ربيع السنة ٢١٧ ليكره بطلميوس الرابع ووزيره سوسيبيوس على الاعتراف بسيادته في سورية الجنوبية فجمع اثنين وستين الفاً من المشاة وستة الاف فارس ومئة واثنين من الفيلة وعشرة الاف اعرابي بقيادة زبدي بعل (Zabdibelos).

(1) Polybius, V, 69, 70.
(2) Abel, F. M., *Hist. Palest.*, I, 78-79.

وسارت جيوش بطلميوس الى لقاء جيوش انطيوخوس فالتقى الفريقان بين رفح وشيخ زويد في منتصف حزيران من السنة ٢١٧ ولكنهما لم يشتبكا قبل الثاني والعشرين . وبدأت المعركة بهجوم شنته فرقة الفيلة المصرية على صفوف انطيوخوس . فقابلتها فيلة سورية بهجوم معاكس . فولدت الفيلة المصرية مدبرة وداست الجنود المصريين فردتهم عن مراكزهم . فلما رأى انطيوخوس ذلك حمل بالخيالة من جناحه الايمن وانطبق على ميسرة خصمه فكسره كسرة هائلة . ولكنه ابطأ في مطاردة قلب خصمه وميسرته فاستغل القائدان المصريان اهيكراتس (Ehecrates) وفوكسيذاس (Phoxidas) هذا الابطاء وهجما على العرب والفرس في ميسرة انطيوخوس فاخترقا صفوفهم وشتتا شملهم وطارداهم بعيداً . ولم يتمكن انطيوخوس من لم الشعث فتراجع الى رفح ومنها الى غزة . وقتل من السوريين يومئذٍ عشرة الاف ماشٍ وثلاث مئة فارس وأسر اربعة الاف . وخسر بطلميوس الفاً وسبع مئة ماشٍ وسبع مئة فارس وجميع الفيلة[١] .

وفاوض انطيوخوس خصمه في الصلح فكانت مهادنة لسنة واحدة . ثم جاء سوسيبيوس الى انطاكية فتخلى انطيوخوس عن حقوقه في سورية الجنوبية وتمّ الصلح بين الطرفين .

بطلميوس الرابع يزور فلسطين : ورأى بطلميوس الرابع ان يزور فلسطين وسائر سورية الجنوبية ليتفقد شؤون الرعية بعد هذه الحرب الطاحنة فقام اليها واخته ارسنوة وقضيا صيف السنة ٢١٧ بكامله فيها . ولا تزال آثار رحلتهما الى مقاطعة أدوم ظاهرة للعيان بما بقي من نصب تذكاري انشئ لهذه الغاية[٢] . وتهافت السكان لاستقبال الزائرين الملكيين وقدموا الذبائح والاكاليل فلفتوا باعمالهم هذه نظر المؤرخ بوليبيوس . فقد جاء في تاريخه في التعليق على هذا التهافت قوله : وطبيعي ان يحاول الناس في مثل هذه الانقلابات التوفيق بين مصالحهم وبين الظروف الجديدة . ولكن ليس هنالك اي شعب اشد استعداداً لاغتنام الفرص من سكان هذا البلد »[٣] .

---

(1) Polybius, V, 79-86; Gautier et Sottas, *Un Décret trilingue en l'honneur de Ptolomée*, IV, Cairo, 1925; Sottas, *Notes complémentaires*, *Rev. Eg. Anc.*, I, 230 ff.; Abel, F. M., *Topog. Bataille de Rafah*, *Rev. Bib.*, 1939, 226-230.

(2) Clermont-Ganneau, *Rev. Arch. Orient.*, IV, 152 ff.; Strack, *Inschriften aus Ptolemaischer Zeit.*, *Archiv Papyrusf.*, II, 544.

(3) Polybius, V, 86; Sottas, *Rev. Eg. Anc.*, I, 23-25.

ولا يستبعد ان يكون بطلميوس وارسينوة قد زارا اورشليم وان يكونا قد اظهرا اهتماماً لدين اليهود وطريقتهم في العبادة وذلك كما جاء في سفر المكابيين الثالث . ولكن العلماء الباحثين يشكون في صحة الشطر الثاني من هذه الرواية اي في ان يكون بطلميوس قد حاول الدخول الى قدس اقداس الهيكل فمنعه اليهود فغضب فانزل بهم العقاب[1] . والغريب في ابحـــاث هؤلاء العلماء اعراضهم عن ابسط قواعد المصطلح في بابي قبول الرواية والاجتهاد .

---

(1) Bevan, E., *Hist. Lagides*, 260-261; Abel, F. M., *Hist. Palest.*, I, 81-83.

« واراد ان يدخل الى قدس الاقداس ولكنه عندما قرب منه اخذته الرعدة وسقط مغشياً عليه فحملوه الى الخارج وهو بين حي وميت . ولما عاد الى الاسكندرية افرغ غضبه على اليهود القاطنين هناك فحط رتبتهم ومنع من لا يسجد للأوثان منهم حقوق الترافع والتشاكي وجمع عدداً عديداً منهم واطلق عليهم الافيال لتقتلهم وتدوسهم غير ان هذه الحيوانات لم تؤذهم البتة بل انقضت على المصريين وفتكت بهم فتكاً ذريعاً . »

الفصل الثامن

رومة وتوازن القوى[1]

٢١٧ - ١٤٥ ق.م.

انطيوخوس يصبح عظيماً : أخفق انطيوخوس الثالث في رفح ولكنه لم ينثنِ عن عزمه فانه سار بجنوده في السنة ٢١٥ او ٢١٤ الى آسية الصغرى ليضرب اخيوس ابن عمه الذي كان لا يزال معانداً مستعصياً . فسوّى علاقاته مع اتلوس ثم طارد اخيوس فأكرهه على الالتجاء الى ساردس . وما لبث ان استولى عليها فقبض على اخيوس وأمر بقتله (٢١٣) .

وكانت قد زيّنت له نفسه منذ ان ارتقى عرش انطاكية ان يعيد للدولة سابق عزها فزحف بجيشه في السنة ٢١٢ على ارمينية . وما ان اطل على عاصمة هذه الدويلة وبدأ يعد العدة لحصارها حتى استسلم له ملكها كسركسيس (Xerxes) ابن أرسامس . فكرُم انطيوخوس واكتفى بجباية الاموال المتأخرة وبأخذ ألفي حصان وبغل . ثم وطد اواصر الصداقة والتعاون بينه وبين كسركسيس بان ازوج هذا من اخته انطيوخيس (Antiochis) ثم عاد الى انطاكية يستعد لحملة اعظم واكبر تعيد الولايات الشرقية الى الطاعة .

وخرج انطيوخوس الثالث في السنة ٢١١ — ٢١٠ على رأس قوة كبيرة الى مادي . وكان في عاصمتها اقبطنة (همذان) هيكل كل جدرانه واركانه من الذهب والفضة والمعادن الثمينة . فأخذه انطيوخوس وضرب المعادن نقوداً فبلغت اربعة الاف تالنتون ذهباً . ثم أشرك ابنه انطيوخوس الرابع في الحكم وهو لا يزال في الحادية عشرة وسار في طلب خصمه ملك برثية في عاصمته سهرود (Hecatompylos) وذلك في ما وراء الصحراء المالحة في فارس الوسطى . ونهض خصمه بريباتيوس (Priapatios) ملك برثية من عاصمته سهرود واعتصم في هيركانية عند زاوية بحر قزوين الجنوبية الشرقية . فذلّل انطيوخوس الصعاب ووصل الى هيركانية واكره خصمه على الصلح (٢٠٩ — ٢٠٨) . ثم قام الى بقترية وقاتل ملكها افثيذيموس (Euthydemos) خليفة ديودوتوس الثاني وحاصره في عاصمته بلخ (Bactra) . ثم رأى الطرفان ان مصلحة اليونان العامة تقضي بالتفاهم فتصالحا (٢٠٨) . واعترف

انطيوخوس بملك افثيذيموس وازوج ديمتريوس ابن افثيذيموس من احدى بناته (٢٠٨–٢٠٦) . واعترف افثيذيموس بسيادة انطيوخوس . ثم استأنف انطيوخوس سيره المظفر حتى حوض نهر السند . فأقر سوفاغزينوس (Sophagasenos) في الحكم بصلاحيات واسعة . ولكنه اشترط الاعتراف بسيادته وتقديم مبلغ من المال وعدد معين من الفيلة . ثم عاد الى سلوقية التي على الدجلة فوصل اليها في السنة (٢٠٦ – ٢٠٥) واتخذ لنفسه فيها لقب « العظيم »[1] . وفي اثناء اقامته في سلوقية هذه أبحر الى جرّة (Gerra) – ولعلها الجرعاء – في ساحل العربية الشرقية للاستيلاء عليها وعلى تجارتها الواسعة . ففيها كانت تلتقي القوافل الواردة من العربية الجنوبية والشام والعراق كما انها كانت تستقبل تجارة الهند والشرق الاقصى . فارسل أهلها من يرجو الفاتح العظيم الا يحرمهم نعمتين عظيمتين انعمت بهما الآلهة عليهم نعمة السلام ونعمة الحرية . فرضي انطيوخوس بجزية كبيرة من الفضة والبخور والمر . ثم أبحر الى جزيرة Tylos البحرين ففرض فدية من اللؤلؤ . وقام منها الى سلوقية[2] .

اضطراب في مصر : وتوفي بطلميوس الرابع « محب والده » عن طفل ذكر لم يتجاوز الخامسة من العمر . فطمع سوسيبيوس واغاثوكليس في الوصاية . فكتما خبر الوفاة وقتلا والدة هذا الطفل ارسنوة اخت بطلميوس الرابع وزوجته وزورا وصية توجب تسلمهما الوصاية والحكم . وفي اواخر السنة ٢٠٣ اقام الوصيان دكة في بهو القصر ووضعا الذياذمة على رأس الطفل بطلميوس الخامس الذي لقب فيما بعد « المجيد » (Epiphanes) واستدعيا الوجهاء والاعيان ورؤساء الجند والحرس وقرأا الوصية وأعلنا بطلميوس الطفل خلفاً لوالده[3] .

ولم يبقَ احد من الناس لم يرَ في هذا المشهد تآمرًا وجرماً وتزويرًا . وشعر سوسيبيوس واغاثوكليس بامتعاض الشعب وغضبه . فمنحا الجند مرتب شهرين واوفدا الوفود الى فيليبوس المقدوني وانطيوخوس ومجلس الشيوخ في رومة . وأنفذا اسكوباس (Scopas) بمال الى بلاد اليونان ليجند جنودًا مرتزقة . ثم توفي سوسيبيوس او خرج من مصر فاستقل اغاثوكليس بالوصاية . واطمأن فعاد الى سابق تخلعه في الشراب وانغماسه في الملذات معرضاً عن كل ما هو لائق موزعاً القاب الدولة ورتبها على رفاقه في السكر والخلاعة . وطمع طليبوليموس (Tlepolemos) احد القادة في الوصاية فشرع يجمع الجنود حوله ويقيم لهم الولائم ويؤلبهم

(1) Holleaux, M., *Anabasis of Antiochus*, *Cam. Anc. Hist.*, VIII, 138-143.

(2) Polybius, X, 27 ff., XI, 34, XIII, 9; Bouché-Leclercq, A., *Hist. Séleuc.*,157-166. الدكتور جواد علي : العرب قبل الاسلام ، ج ٢ ، ص ٤١٧–٤٢١

(3) Polybius, XV, 25-37; Walbank, F. W., *J. Eg. Arch.*, 1931, 20 ff.

على اغاثوكليس واخته ويصرّح بعيوبهما مشيراً في غالب الاحيان الى « الضاربة بالعود والى اخيها الغلام حامل الكأس » . فاتهم اغاثوكليس هذا القائد بالخيانة وأكد اتصاله بانطيوخوس . وأبعد من ظن بهم السوء وأمر بقتلهم . ثم حاول استعطاف رجال الحرس فلم يفلح . فاندلعت ثورة في السنة ٢٠٢ عمت البلاد باسرها وادت الى قتل اغاثوكليس واخته وامه وصحبه[1] .

فيليبوس الخامس : (٢٢١ – ١٧٩) وخلف انتيغونوس غنوطاس ابنه ديمتريوس الثاني (٢٣٩ – ٢٢٩) . ومات ديمتريوس هذا مخلفاً طفلاً اسمه فيليبوس . وأقام وصياً له اخاه انتيغونوس دوسون . فتولى هذا الامير الاحكام بادئ بدء بالنيابة عن ابن اخيه . ولما استتب له الامر أعلن نفسه ملكاً . ثم توفي في السنة ٢٢١ فخلفه فيليبوس الخامس . وكان دوسون قد قهر اليونانيين في سلازية فخضعوا له وأيده الاغنياء والبوثيون في الشمال والآخيون في المورة . فلما تسلم فيليبوس ازمة الحكم اضطر ان يلجأ الى العنف ليخضع الديموقراطيين الذين شقوا عصا الطاعة بزعامة ليكورغوس (Lycurgos) ملك اسبارطة والايثوليين . وكان فيليبوس على جانب كبير من الذكاء والمقدرة الحربية فتمكن في السنوات ٢١٩–٢١٧ من اذلال اخصامه هؤلاء ومن املاء معاهدة نوباكتوس (Naupactos) عليهم املاءً .

ولم يكتفِ فيليبوس بالسيطرة على بلاد اليونان بل تطلع الى فرضها على جميع السواحل في الشرق وفي الغرب ايضاً . وكانت رومة قد اصبحت سيدة ايطالية فاضطرت ان تؤمن الملاحة في بحر الادرياتيك فحملت على قرصان إليرية واكرهتهم على الرضوخ لمشيئتها ثم منعتهم عن الابحار الى جنوب ليسوس (Lissos) وفرضت حمايتها على المدن اليونانية في في دلماتية . وفي السنة ٢١٩ قهرت ديمتريوس صاحب جزيرة فاروس وضمت جزيرته الى ممتلكاتها . ففرّ هو الى مقدونية طالباً حماية فيليبوس . ولولا خطر قرطاجة واندلاع الحرب الفينيقية الثانية (٢١٩) لما تأخرت رومة عن الاقتصاص من ديمتريوس ومن فيليبوس ايضاً . وفي السنة ٢١٦ أصبح فيليبوس حليف هنيبعل عدو رومة اللدود فزاد اهتمام رومة بمطامع فيليبوس فتعاقدت معه في السنة ٢٠٥ بمعاهدة فونيكي (Phoenice) . واكتفى فيليبوس بهذا القدر من الربح في الغرب واتجهت انظاره شطر الشرق[2] .

التحالف السلوقي الانتيغوني : (٢٠٢) وبينما كان فيليبوس مشغولاً بمشاكله في بلاد اليونان وفي شواطئها الغربية وفي ساحل الادرياتيك الشرقي كان انطيوخوس يفتتح

(1) Polybius, XV, 26-33; Jouguet, P., *Mac. Imp.*, 220-226.
(2) Holleaux, M., *Rome, la Grèce, et les Monarchies Hellénistiques*, 173 ff.

ولايات الشرق واحدة بعد اخرى وينظم علاقاته معها . وفي السنة التي وقّع فيها فيليبوس معاهدة فونيكي مع رومة(٢٠٥) رجع انطيوخوس من الشرق الى عاصمته انطاكية مظفراً «عظيماً» .

وكان ما كان من أمر وفاة بطلميوس الرابع (٢٠٤) وأمر المشاكل التي نشأت في مصر عن هذه الوفاة . فلما استتب الامر لاغاثوكليس أوفد الى انطاكية من يرجو صاحبها ان يحترم المعاهدة القائمة بين البلدين وارسل بطلميوس ميغالوبوليس (Megalopolis) الى رومة ليعلن استواء الملك الطفل على عرش مصر ويرجو توسط السناتوس الروماني بين مصر وسورية . وبعث اغاثوكليس في الوقت نفسه رسولاً ثالثاً الى عاصمة فيليبوس يفاوض في ازواج بطلميوس الخامس من احدى بنات فيليبوس وفي عقد تحالف بين مصر ومقدونية ضد انطيوخوس مقابل معونة مادية كبيرة وتنازل عن حق مصر في بعض الممتلكات[1] .

واحب انطيوخوس الثالث العظيم ان يستغل الاضطراب الداخلي في مصر لصالحه في سورية ولكنه خشي تدخل فيليبوس . فارسل من يفاتح فيليبوس كلاماً في اقتسام ممتلكات البطالسة بينهما . ولا نعلم بالضبط ما دار بين الطرفين من بحث حول هذا الموضوع . فالمفاوضة جرت في جوّ من التكتم شديد . ولكننا نرى في سير الحوادث بعد هذه المفاوضة ما يمكننا القول بان اقتسام مصر نفسها لم يدخل في البحث وان الاثنين اتفقا على ان تطلق يد فيليبوس في جزر الارخبيل وفي سواحل بحر ايجه الخاضعة لمصر وان يستولي هـذا الانتيغوني على ممتلكات البطالسة في تراقية وفي قورينة في شمال افريقية . وفي مقابل هذا يستولي انطيوخوس على سورية الجنوبية وعلى المدن الخاضعة لمصر في قيليقية وليقية وعلى جزيرة قبرص . وخشي فيليبوس قوة انطيوخوس وامكانياته في الحرب وخاف في الوقت نفسه طغيانه واستيلاءه فيما بعد على ارض مصر بالذات . فداري انطيوخوس ووافق على اقتراحه وداور اغاثوكليس واكرم رسوله وأبقاه في عاصمته سنة كاملة .

ورأى فيليبوس الخامس ان يتأنّى فبدأ بفرض سلطته على بعض المدن اليونانية الحرة واستولى على ليسيماخية (Lysimacheia) وسستوس (Sestos) وبرينثس (Perinthos) وخلقيدونية (Chalcedon) . وكانت جميعها تأمر بأوامر زعماء ايتوليين . وكان الايتوليون حلفاء فيليبوس . واحتل بروسياس (Prusias) في السنة ٢٠٢ نسيب فيليبوس كيوس وتاسوس وساموس وضرب الحصار على خيوس . وكان احد رؤساء الجند في جيش فيليبوس قد انقضّ على ممتلكات رودوس في كارية فتقرب الرودوسيون من اتلوس ملك برغامون ووحدوا الجهود للصمود في وجه فيليبوس . فكانت موقعة بحرية بالقرب من خيوس انكسر فيها اسطول فيليبوس انكساراً

---

(1) Polybius, XV, 25.

كبيراً . وفي السنة ٢٠١ عاد فيليبوس الى القتال في البحر فهزم اسطول رودوس بالقرب من جزيرة لادي (Lade) وقفز الى البر فاستولى على ملاطية وميوس (Myus) ثم زحف على برغامون وبيرية (Peraea) رودوس وكارية .

الحرب السورية الخامسة : وهبَّ انطيوخوس الثالث ينفذ شروط التحالف السلوقي الانتيغوني . فجرَّد في السنة ٢٠١ حملة على سورية الجنوبية واحتل معظم مدنها وثغورها . ولم يقف في وجهه من هذه المدن كلها سوى غزة . فأخذها عنوة بعد حصار طويل وأعمل السيف برقاب زعمائها[1]. وكان انقلاب في الاسكندرية اسفر عن مقتل اغاثوكليس واهله وصحبه وعن تسلم طليبوليموس ازمة الحكم بالوصاية . وتسلم سكوباس قيادة الجيش . وأمَّ الاسكندرية في هذا الظرف الحرج وفد روماني غايته اعلان انتصار روما على هنيبعل وحث حكومة مصر على التقيد بشروط التحالف المصري الروماني . فأدرك انطيوخوس مغزى هذه الزيارة الرسمية واتجه شطر آسية الصغرى (١٩٩) يعاون حليفه فيليبوس في حربه ضد برغامون .

وما ان علم سكوباس بانشغال انطيوخوس في آسية الصغرى حتى نهض بجيشه الى فلسطين (١٩٩ — ١٩٨) فاحتلها دون شديد مقاومة . وأظهرت رومة عطفها على اتلوس ملك برغامون وطلبت الى انطيوخوس ان يرفع عنه الاذى فعبر انطيوخوس جبال طوروس وعاد بجيشه الى اباميه . وبعد ان اعد العدة اللازمة قام الى البقاع فبانياس (Panion) حيث صمد خصمه سكوباس للقتال . ففتحت الفيلة السورية ثغرة واسعة في صفوف المصريين وقام ابن انطيوخوس بهجوم موفق على ميسرة سكوباس فاضطر هذا ان يتخلى عن القتال وان يفرَّ بسرعة الى صيدا[2] . فأنفذ انطيوخوس عشرة الاف جندي الى صيدا وضرب عليها الحصار . وحاولت قوة مصرية جديدة بقيادة اريوبوس (Aeropos) ومينوكلس (Menocles) وذموكسينوس (Damoxenos) فك هذا الحصار فلم تفلح . فاضطر سكوباس ان يسلم دون قيد او شرط[3] . ثم انحدر انطيوخوس بجيشه الى فلسطين في السنة ١٩٨ فاستولى على البثنية والسامرة ثم نهض الى اورشليم فاستقبله اليهود بحفاوة وقدموا المؤونة اللازمة لجيشه وللفيلة واعانوه في حصار القلعة والاستيلاء عليها[4] . فاستولى انطيوخوس على فلسطين بأسرها وخرج البطالسة منها ولم يعودوا اليها .

---

(1) Polybius, XVI, 22.
(2) Polybius, XVI, 18-19.
(3) S. Jerome, *in Dan.*, 11, 15-16.
(4) Polybius, XVI, 39; Jos., *Ant.*, XII, 132-137.

موقعة كونوس كيفالاي : (١٩٧) وأجمع الرودوسيون على الاستغاثة برومة ووافقهم في ذلك اتلّوس ملك برغامون . وبعثوا في صيف السنة ٢٠١ برسلهم وكتبهم يستنصرون بشيوخ رومة على محاربة فيليبوس المقدوني ويصفون لهم ما اصابهم على يده من المحن وما تمّ بين فيليبوس وانطيوخوس من تحالف للسيطرة على شرقي المتوسط . فأصغى شيوخ رومة الى حجج هؤلاء الرسل وبراهينهم ولكنهم لم يبتوا في الامر بحضور الرسل محافظة على الهيبة والوقار[1] .

ولم يرسل فيليبوس قوة تساند هنيبعل في زامة (٢٠٢) كما جاء في كثير من المصنفات الحديثة نقلاً عن ليبيوس ولم يتعد على حريات بعض المدن اليونانية كما يقول معظم المؤرخين. فما جـــاء في ليبيوس بهذا المعنى مرده الى بوليبيوس . وليبيوس اخطأ فيما يظهر في فهم بوليبيوس[2] . وجل ما جاء في بوليبيوس ان فيليبوس تدخل في شؤون بعض الاماكن في اليرية التي كانت قد دخلت في طاعته بموجب معاهدة فونيكي . وبالتالي فليس في المراجع الاولية ما يوجب القول بان فيليبوس تدخل في الحرب الفينيقية الاخيرة الى جانب هنيبعل وانه خرق شروط معاهدة فونيكي في موقفه من بعض المدن اليونانية فاستحق قصاص رومة بعد فوزها على قرطاجة . ولم تكن رومة تلك الدولة المثالية التي تشد ازر الضعفاء كرودوس وبرغامون فتقف في وجه المعتدي لاحقاق الحق وصيانة الحرية . ولكنها خشيت فيما يظهر مطامع انطيوخوس الثالث وهالها نجاحه في الشرق وسيطرته على موارده وتحالفه مع فيليبوس فأرادت ان تعرقل سبيله باضعاف حليفه المقدوني[3] .

وفي خريف السنة ٢٠٠ استجابت رومة الى دعوة اصدقائها في بحر ايجه فأنزلت قوة برية في ابلونية (Apallonia) في اليرية وانفذت قوة بحرية الى مياه اثينة . ثم ادعت انها تدافع عن حرية الدويلات اليونانية فهبّ الايتوليون ثم الآخيون الى مساعدتها (١٩٩) . وكانت الحروب المتتالية قد استنفدت قوى مقدونية علم يتمكن فيليبوس من تجييش عدد كاف للصمود في وجه رومة وحلفائها فاضطر ان يفاجئ احياناً فيضرب خصمه ضربة مؤلمة ثم يراوغ ليتملص من الوقوع في قبضته . فأنزلت رومة جيشاً جديداً في ساحل الادرياتيك بقيادة فلامينيوس (Flaminius) وحصرت فيليبوس بين شدقي كماشة كبيرة . وحلّت الساعة الرهيبة في تسالية عند تلال كونوس كيفالاي (Kunos Kephalai) — او

---

(1) Holleaux, M., *Attalus and Rhodians*, *Cam. Anc. Hist.*, VIII, 156.
(2) Livy, XXX, 26, 2-4; 42, 1-11; Polybius, XVIII, 1, 14.
(3) Holleaux, M., *op. cit.*, *Cam. Anc. Hist.*, 157.

Cynoscephalae كما ترد في الكتب الغربية – وذلك في السنة ١٩٧ فانكسر جيش فيليبوس شر انكسار وخضعت مملكة الاسكندر لرومة .

وعقد الطرفان صلحاً هذه شروطه : (١) حرية واستقلال لجميع اليونانيين في اوروبة وآسية . (٢) يخلي فيليبوس قبل موعد الالعاب الكورنثية جميع المدائن اليونانية التي له فيها جنود . (٣) يسلم الى الرومانيين جميع سفنه الكبيرة ما عدا خمساً فقط . (٤) لا يكون له اكثر من خمسة الاف جندي . ولا يسمح له باقتناء الفيلة . ولا يجوز له الدخول في حرب خارج مقدونية الا باذن الشعب الروماني . (٥) ينقد الرومانيين الف وزنة في مدة لا تتجاوز العشر سنوات . (٦) يرسل ابنه الاصغر ديمتريوس الى رومة ليقيم فيها ويكون بمثابة رهينة[1] .

انطيوخوس والحرب المقدونية : ورأى انطيوخوس الثالث في هذه الحرب بين فيليبوس ورومة فرصة سانحة لاسترجاع ما فقدته اسرته من السلطة في آسية الصغرى وتراقية . فأوفد في شتاء السنة ١٩٨ – ١٩٧ وفداً يطمئن رومة ويؤكد لها اخلاصه وولاءه وأعد العدة في الوقت نفسه للعمل الحربي في الشمال . وفي ربيع السنة ١٩٧ أنفذ ابنيه انطيوخس وسلوقوس على رأس قوة برية الى قيليقية وقام هو بمئة بارجة ومئتي سفينة اخرى الى مياه هذه المنطقة نفسها . واحتل مَلّوس (Mallos) وغيرها من المدن الخاضعة للبطالسة . ووصلت طلائع جيشه الى كوراكيزيون (Coracesion) وبدأت بضرب الحصار عليها (١٩٧) . فاضطربت رومة ورأت في زحفه هذا محاولة لتعضيد خصمها فيليبوس فأوعزت الى رودوس ان توفد الى انطيوخوس من يذكره بوجوب احترام حرية المدن اليونانية واستقلالها ويهدده باللجوء الى العنف ان هو حاول اجتياز المياه الخليدونية . فنفذ الرودوسيون رغبة رومة واتصلوا بانطيوخوس وفاوضوه في الامر . وفي اثناء هذه المفاوضات علم الرودوسيون بانكسار فيليبوس – وكانت لهم مصالح تجارية هامة في ممتلكات انطيوخوس – فتساهلوا مع السلوقي الفاتح واذنوا له بالمرور . فأسرع انطيوخوس الى فرض سلطته على معظم مدن الساحل الايجي ووصل في فتوحاته هذه الى المضايق وعبر الدردنيل واحتل مديتوس (Madytos) وليسياخية (Lysimacheia) . وما كاد انطيوخوس يستقر في ليسياخية حتى وفد عليه وفده الذي كان قد ارسله الى رومة في السنة ٢٠٠ . فأكد الوفد ان رومة ماضية في تحرير المدن اليونانية وان سياستها هذه تشمل المدن اليونانية في آسية . ثم زاره في ليسياخية اعضاء لجنة

---

(1) Polybius, XVIII, 44, 2-7; Holleaux, M., *op. cit.*, *Cam. Anc. Hist.*, VIII, 166-179.

العشرة التي كان قد اوفدها مجلس شيوخ رومة للتعاون مع فلامينيوس في حل مشاكل اليونان . فأكد اعضاء هذه اللجنة ما كان قد نقله الوفد السلوقي واضافوا انه يتوجب على انطيوخوس ان يتخلى عن جميع ما افتتحه من مدائن فيليبوس وبطلميوس . فاشتد الجدل وتوترت الاعصاب وعلت الاصوات . ثم ورد نبأ مفاده ان بطلميوس مات فظن انطيوخوس انه بامكانه ان يستعيض عما يخسره في آسية الصغرى وتراقية بما يربحه في مصر وتوابعها . فجدّ مسرعاً نحو مصر . ولكنه علم في بتارة (Patara) ليقية ان لا اساس من الصحة لخبر الوفاة فتيقن ان لا مفر من الحرب للفصل في الخلاف بينه وبين رومة .

الحرب بين انطيوخوس ورومة : (١٩٢ — ١٨٨) وبدأ انطيوخوس يتهيأ للحرب فأزوج ابنه ولي عهده انطيوخوس من بنته لاوذيقية تأميناً للخلافة . ودعا في السنة ١٩٦ بطلميوس الخامس للتزوج من ابنته الثانية كليوبترة[1] . وفاوض اريارثس (Ariarthes) الرابع ملك قبدوقية في تقارب مماثل فأزوجه من بنته الثالثة انطيوخيسة . وحاول ربط برغامون بالطريقة نفسها ولكن افمينس الثاني خلف اتلوس لم يرضَ .

ورأى انطيوخوس ان يفاوض رومة مرة ثانية . فارسل وفداً في السنة ١٩٥ الى فلامينيوس يقترح اعادة النظر في جميع النقاط موضع الاختلاف. فأبى القائد الروماني ولم يصغِ . ثم اضطر هنيبعل ان يفرّ من قرطاجة فأمّ صور البلد الأم وقام منها الى انطاكية فوصل اليها في صيف السنة ١٩٥ . وكان انطيوخوس قد ذهب الى افسس وتراقية فنهض هنيبعل الى افسس وانتظر انطيوخوس فيها . وتلاقى العظيمان في افسس وتحادثا . فخشيت رومة سوء العاقبة . وكانت قد أبقت جنوداً في اليونان فرأت ان تجلو عن بلاد اليونان جلاءً تاماً لتحتفظ بصداقة اليونانيين وتأييدهم لها في حال تعاون العظيمين عليها . فكان لهذا الجلاء اثر طيب في نفس انطيوخوس اذ بدا له ان رومة لن تنفذ مطالبها بالقوة . فعاد في السنة ١٩٤ الى المفاوضة مؤكداً انه لن يسمح لعدو رومة ان يجره الى قتالها . وكان السناتوس الروماني قد وكّل امر المفاوضة الى فلامينيوس فوجده الوفد السلوقي اقل عناداً بكثير مما كان عليه قبلاً مستعداً لاطلاق يد انطيوخوس في جميع آسية شرط الا يتدخل في شؤون اوروبة[2] . ولكن الوفد أصر على الاحتفاظ بحقوق انطيوخوس الموروثة في تراقية فلم يتوصل المفاوضون الى حل مرضٍ . وظلت رومة تخشى نبوغ هنيبعل وشعرت ان امكانياته في حرب يخوضها الى جانب انطيوخوس ستكون اعظم بكثير من امكانياته السابقة

(1) Bevan, E., *Hist. Lagides*, 302-303.
(2) Livy, XXXIV, 59, 4-5; Diodorus, XXVIII, 15, 4.

وذلك لتوفر الرجال والمال في آسية . فأرسلت هي وفداً يفاوض انطيوخوس في الوصول الى تفاهم كامل بين الطرفين . ويرى رجال الاختصاص ان سكيبيو افريكانوس (Scipio Africanus) قاهر هنيبعل في زامة لم يرأس هذا الوفد ولم يتسنَّ له ان يقابل هنيبعل في افسس وان رئيس الوفد الروماني الى العاصمة السورية كان سولبيكيوس (Sulpicius) لا سكيبيو[1] . وزار الوفد الروماني برغامون اولاً ليكون على بينة من امرها . ثم قام الى ابامية فوجد انطيوخوس غائباً عنها يقود حملة على البيسيديين فانتقل منها الى افسس . وفي صيف السنة ١٩٣ دار البحث مجدداً في هذه المدينة للوصول الى تفاهم نهائي. وكان من سوء حظ انطيوخوس ان وكّل امر التفاوض الى وزير قليل اللباقة قصير الحجة وان رومة كانت قد ادخلت الى حلقة المفاوضة ممثلين عن ازمير ولمبساكوس وغيرهما من مدن آسية الصغرى وان افمينس الثاني كان قد درّب هؤلاء في فنَّي العرقلة والاعاقة . فضاق صدر انطيوخوس من « وقاحة » ممثلي هذه المدن الذين لم يعلوا في نظره عن مرتبة الرعايا . فأخفق مؤتمر افسس وسافر الوفد الروماني عائداً الى بلاده ولكنه لم يوجه اي انذار الى انطيوخوس .

ولم يبغِ انطيوخوس الحرب ولم يرغب في السعي اليها . وكان قد ناهز الخمسين واعاد مجد الاجداد فأراد ان يتاح له الوقت والظرف لتوطيد دعائم الملك . ولكنه ما كاد يعود الى عاصمته في السنة ١٩٣ حتى تسلم دعوة من الايتوليين يرجونه فيها ان يتزعم حركة التحرر من ظل رومة وصلف ابنائها[2] . ورأى حاشيته الرأي نفسه وحضوا سيدهم على الحرب . وكان هنيبعل لا يزال قريباً من انطيوخوس فأكد انه اذا زُوِّد بعشرة الاف ماشٍ والف فارس ومئة بارجة وقُدر له ان يسير بهم الى قرطاجة فانه يتمكن من اشعال الثورة في افريقية ومن غزو ايطالية نفسها بعد حين . ولكن انطيوخوس استصعب هذه الخطة ورآها بعيدة المرام عزيزة المنال . وعلى الرغم من قيام اريستون (Ariston) الصوري رسول هنيبعل الى قرطاجة في السنة ١٩٣ فان انطيوخوس لم يرضَ ان يغامر بجميع اسطوله ولو كان القائد هنيبعل نفسه . ولم يكن انطيوخوس يكره رومة كره هنيبعل لها . وجل ما توخاه فيما يظهر كان ان يتمكن من ازعاجها في اوروبة كما ازعجته هي في آسية . فلم يرَ لزوماً لغزوها في عقر دارها واكتفى بقبول دعوة الايتوليين .

ولم تشغل مصر بال انطيوخوس كثيراً . فبطلميوس الخامس كان لا يزال حدثاً في السادسة عشرة . والبلاد كانت لا تزال تردد صدى نداءات ثورة التحرر التي اشعلها

(1) Holleaux, M., *op. cit.*, *Cam. Anc. Hist.*, VIII, 200-201.
(2) Holleaux, M., *Aetolian Mvt.*, *Cam. Anc. Hist.*, VIII, 203-208.

انماخيس (Anmachis) وهيرماخيس (Hermachis)[1]. وكان بطلميوس الخامس وحيداً لا اخ له ولا اخت يقترن بها لتأمين النسل الملكي . وكان انطيوخوس قد استغل هذا الظرف منذ السنة ١٩٦ فخطّب بنته كليوبترة « التي والدها مجيد » الى بطلميوس صاحب مصر . فلما تلبد الافق بغيوم الحرب ضد رومة قام انطيوخوس الى رفح وزفّ كليوبترة الى زوجها في شتاء السنة ١٩٣ — ١٩٢ . واهدى صهره لهذه المناسبة اما سورية الجنوبية بأسرها واما الضرائب التي كانت تجبى منها واما ضرائب قسم منها . ومما يجب ذكره ان تدخل رومة في شؤون اليونان في اوروبة وفي آسية كان قد اثار في بلاط الاسكندرية رد فعل قومي يوناني . فان اربستومينس (Aristomenes) وزير بطلميوس الخامس ومدير اموره حاول طوال عهده في الوزارة ان يقف الى جانب العاهل السلوقي السوري في نزاعه مع رومة ، ولكن هذا الاحساس القومي لم يشمل جميع رجال البلاط كما سنرى[2] .

وفي مطلع السنة ١٩٢ عقد انطيوخوس نيته على التدخل في شؤون اليونان في اوروبة وأعلن عزمه هذا الى ثواس (Thoas) الايتولي المفاوض وطلب اليه ان يعود الى بلاده وان يطلع الحلف الايتولي على ذلك ولم يكتف بهذا القدر من التشجيع فانه أمر مينيبوس (Menippos) سفيره في رومة ان يرافق ثواس وان يشجع الايتوليين على الحرب . ووقف مينيبوس خطيباً في اجتماع الحلف الايتولي في آخر اذار السنة ١٩٢ فأكد استعداد سيده للتعاون مع الحلف في سبيل الحرية والاستقلال . فتهلل المجتمعون واغتبطوا واتخذوا قراراً دعوا به انطيوخوس العظيم الى انقاذ اليونان من الشقاق والتخاذل والى تسوية الخلاف بينهم وبين رومة .

وبعد هذا بقليل اي في ربيع السنة ١٩٢ فاجأ الايتوليون ديمتريس (Demetrias) وخلقيس (Chalcis) واسبارطة بهجوم خاطف . وتمكنوا من احتلال ديمتريس فضمنوا بذلك رقبة جسر لانطيوخوس في حال وصوله الى اليونان ثم وجهوا الى السلوقي الكبير دعوة رسمية يرجونه فيها ان يهب لتحرير اليونان . فشد انطيوخوس عشرة الاف ماشٍ وخمس مئة فارس وستة افيال ومئة بارجة ومئتي نقالة واقلع بهذه كلها من مياه الدردنيل يرافقه هنيبعل . فنزل بجيشه في ديمتريس . ثم سار منها الى لامية (Lamia) المركز الايتولي فوصلها في اواخر تشرين الاول من السنة ١٩٢ . فاستصغر الايتوليون هذه القوى وفترت عزائمهم ولكنهم لم ينفصلوا عن انطيوخوس . وتمكن انطيوخوس من السيطرة على بلاد اليونان الوسطى قبل

---

(1) Bevan, E., *Hist. Lagides*, 294-302.
(2) Bevan, E., *ibid.*, 304-306.

ان تطل جيوش رومة . بيد انه لم يلاقِ ترحيباً لا في المورة ولا في بلاد اليونان الشمالية . ولما علمت رومة بعبور انطيوخوس الى بلاد اليونان ارسلت في تشرين الثاني قوة صغيرة الى اليرية لتراقب بها حركات فيليبوس . وبعد ذلك باربعة اشهر جاء اكيليوس غلابريو (Acilius Glabrio) بعشرين الف ماش والفي فارس وخمسة عشر فيلاً . وكان فيليبوس قد مال الى رومة فاتخذ انطيوخوس خط اويتة ثيرموبولي (Oeta-Thermopylae) نقطة ارتكاز يدافع بها عن بلاد اليونان الوسطى ويحمي في الوقت نفسه قاعدته البحرية عند خلقيس . واحتاط لحركة التفاف يقوم بها الرومان عند ميسرته فوكل الدفاع عن ممر آسوبوس (Asopus) وغيره من الطرق الجبلية في غربي ثيرموبولي الى حلفائه الايتوليين . ووصل اكيليوس بجيشه في اواخر نيسان (١٩٠) وحاول اختراق الخطوط السورية الامامية عند تيرموبولي فأمطر وابلاً من السهام من التلال المجاورة وارتد على اعقابه فاشلاً . فرأى ان لا بد من الالتفاف حول ميسرة انطيوخوس ليتحاشى بذلك خسارة كبيرة في الرجال . فأنفذ كاتو (Cato) بالفي مقاتل الى التلال في غربي ثيرموبولي وأمره بالسير ليلاً . ففعل فغفل عنه الايتوليون فنفــذ سالماً وتخلل السوريين . فذعر هؤلاء ودبت الفوضى الى صفوفهم فولوا مدبرين . ونجا انطيوخوس بخمس مئة مقاتل وركب البحر وعاد الى افسس.

وتلاهى اكيليوس بعد موقعة ثيرموبولي باخضاع مدن الايتوليين واحدة بعد اخرى ولجأ في ذلك الى الحصار فتسنى لانطيوخوس ان يحشد جيشاً جديداً في آسية الصغرى يصمد به عند المضايق . وكانت رومة قد ارسلت في صيف السنة ١٩١ قوة بحرية الى مياه ايجه لتساند اسطولي برغامون ورودوس . وكان القائد البحري السوري بوليكسينيذاس (Polyxenidas) قد هبَّ الى قتال الاسطول الروماني قبل انضمام الوحدات الرودوسية اليه فواقعه عند رأس كوريكوس (Corycos) بين افسس وخيوس وخسر ثلث بوارجه . فلما تلهّى اكيليوس عن ملاحقة انطيوخوس بعد ثيرموبولي كما سبق وأشرنا تمكن بوليكسينيذاس من تعويض ما خسر في كوريكوس ومن اضافة بوارج جديدة بحيث أصبح عدد البوارج السورية تسعين بارجة . وتمكن هنيبعل في هذه الفترة نفسها من انشاء خمسين بارجة في فينيقية بلده الأم . وحمل بوليكسينيذاس على وحدة بحرية رودوسية عند ساموس فحطمها تحطيماً . وعلم القائد الرودوسي افذاموس (Eudamos) ان هنيبعل قادم باسطول جديد الى مياه ايجه فانقض عليه في مياه سيدي (Side) في بمفيلية فعطل قسماً كبيراً من بوارجه . ثم أقلع افذاموس الى الشمال ليشترك في الموقعة البحرية الحاسمة بالقرب من تيوس (Teos) . وكان قائد الاسطول الروماني قد قبل منازلة خصمه بدون معونة برغامون فقام القائد السوري

بحركة التفاف واسعة كادت تقضي على الاسطول الروماني . فجاء افذاموس يلاهي القائد السوري عند ميسرته ليمكّن الاسطول الروماني من الانقضاض على قلب الاسطول السوري . فتغلب الرومان على السوريين في هذه المعركة التي تدعى احياناً موقعة ميونيسوس (Myonnesus) وسادوا بها على البحر سيادة تامة وذلك في شهر ايلول من السنة ١٩٠.

وفي اثناء هذا كله كانت رومة قد سيَّرت ثلاثين الفاً عبر مقدونية وتراقية بقيادة لوكيوس كورنيليوس سكيبيو (Lucius Cornelius Scipio) وباشراف سكيبيو افريكانوس قاهر هنيبعل . وكان انطيوخوس قد انسحب من تراقية بعد موقعة ميونيسوس البحرية . وكان قد حشد خمسة وسبعين الفاً . ولكنه على الرغم من تفوقه في العدد كان لا يزال قليل الثقة في جنوده لانه لم يكن قد تمكن من اكمال تدريبهم . ووصل الرومان الى الدردنيل وعبروه في تشرين الثاني او كانون الاول من السنة ١٩٠ وتوقفوا عن المسير شهرًا كاملاً . فراسل انطيوخوس سكيبيو افريكانوس وأظهر استعداده للتخلي عن تراقية وعن جميع المدن اليونانية في آسية التي كانت قد دخلت في حماية رومة . وأضاف انه مستعد لمشاطرة رومة ما كانت قد انفقته للحرب . وفضَّل سكيبيو الحرب فكانت موقعة مغنيسية الشهيرة (Magnesia-ad-Sipylum) في كانون الثاني من السنة ١٨٩ .

وكان انطيوخوس قد عوَّل على شجاعة فرسانه الفرس ومقدرتهم في القتال . فجعلهم في الميمنة وقادهم بنفسه . فما ان بدأ القتال حتى هجم انطيوخوس بهؤلاء على ميسرة الرومان فانزل بها هزيمة شنعاء وطاردها وغالى في ذلك وابتعد عن قلب جيشه وعن ميسرته . فقام افمينس الثاني ملك برغامون بهجوم معاكس على ميسرة انطيوخوس فنجح في ذلك نجاحاً باهرًا. ولما عاد انطيوخوس من المطاردة التي قام بها لم يتمكن من لم الشعث الذي حلَّ بقلب جيشه وميسرته . فألقى سلاحه وقبل بشروط رومة ووقع صلح ابامية التي في فريجية . وتوجب عليه بموجب هذا الصلح ان يخلي جميع المدن في اوروبة وفي آسية الصغرى حتى جبال طوروس وان ينقد رومة خمسة عشر الف وزنة يدفع خمسها عاجلاً والاربعة اخماس بمدى اثنتي عشرة سنة . وتوجب عليه ان يعطي الرومانيين افياله وسفنه الحربية ما خلا عشرًا وان يسلم اليهم هنيبعل وان يرسل الى رومة رهائن عشرين من جملتهم ابنه انطيوخوس [1] .

وأجلت رومة جنودها عن آسية الصغرى واقتسمت رودوس وبرغامون ممتلكات انتيوخوس في آسية الصغرى فجعلتا نهر الميندر (Maeander) حدًا فاصلاً بينهما . ولجأ

(1) Holleaux, M., *op. cit.*, *Cam. Anc. Hist.*, VIII, 216-225.

هنيبعل الى بروسياس الاول (Prusias) ملك بيثينية فجعله قائداً على جيشه وحارب بمواهبه برغامون (١٨٦) . وألحت رومة في السنة ١٨٣ على بروسياس بوجوب تسليم هنيبعل فآثر البطل القرطاجي السُمّ على اذلاله في شوارع رومة وانديتها .

سلوقوس الرابع : (١٨٧ — ١٧٥) وسعى انطيوخوس الثالث سعياً حثيثاً لجمع المال اللازم لادارة المملكة ولدفع الغرامة لرومة . وكان من عادات القدماء ان الحكومة والاغنياء يدخرون ما يملكون من فضة وذهب في الهياكل الكبيرة . فذهب انطيوخوس سرًا مع بعض اعوانه الى هيكل عظيم باقليم اليمايس في بلاد فارس لينهب النقود المخزونة فيه . فابتدر اليه الحراس بالعصي والسلاح وقتلوه سنة ١٨٧.

وتبوأ عرش سورية بعد انطيوخوس الثالث ابنه سلوقوس الرابع فاتخذ لنفسه لقب « محب والده » (Philopator) وقبض على زمام الامور بحزم وحكمة . وكانت دولته قد صغرت في حجمها فشملت سورية وقيليقية والعراق والولايات الدانية من فارس فضبط سلوقوس امورها وامتنع عن المجازفة والمخاطرة ودأب في جمع المال ليرضي به رومة فوصمه دانيال في سفره بالقسوة والاختلاس[1] .

ولم يغفل سلوقوس الرابع امر علاقاته بالدول المجاورة فانه صادق الحلف الآخي وازوج بنته من برسفس ملك مقدونية وكاد يقود جيشاً عبر جبال طوروس للتدخل في شؤون آسية الصغرى . وكان من الطبيعي جداً ان تعود مصر الى المشادة القديمة حول سورية الجنوبية ولكن بطلميوس الخامس توفي مسموماً في السنة ١٨١ فتولت كليوبترة السلوقية الوصاية على ابنها الطفل بطلميوس السادس « محب والدته » (Philometor) فساد السلم والوئام العلاقات بين انطاكية والاسكندرية .

ومما يجدر ذكره ان سلوقوس الرابع خرج على تقاليد اسرته عندما اطلق على ابنه البكر الاسم ديمتريوس بدلاً من انطيوخوس . والاسم ديمتريوس كان اذ ذاك اسماً ملكياً مقدونياً تطلقه الأسرة الانتيغونية على افرادها تيمناً وتبركاً . ولعل سلوقوس قصد بهذه التسمية ان يذكر رجال السياسة بصلة الدم التي كانت تربط الاسرتين وبامكانية ارتقاء ديمتريوس السلوقي عرش الانتيغونيين في حال وفاة فيليبوس الخامس ووفاة ولي عهده ديمتريوس لان برسفس الابن الثاني لفيليبوس الخامس كان لأم غير ملكية[2].

---

(1) سفر دانيال ١١ : ٢٠

(2) Bevan, E., *Syria and the Jews*, *Cam. Anc. Hist.*, VIII, 496.

انطيوخوس الرابع : (١٧٥ — ١٦٣) وكان سلوقوس الرابع قد استوزر هيليوذوروس (Heliodoros) احد افراد الأسر المقدونية الكبيرة في سورية . وكان هيليوذوروس ذكي الفؤاد مدبراً حكيماً فعني بتشجيع التجارة والاقتصاد واستحق ثناء جماعة من تجار اللاذقية الذين اعترفوا بفضله بلوحة تذكارية اقاموها له في جزيرة ذلوس[1] . وذاع صيته وكثر التودد له فطمع في الملك واغتال سلوقوس الرابع في السنة ١٧٥ وأعلن ابنه الثاني انطيوخوس الطفل ملكاً على سورية .

وكان ولي عهد سلوقوس الرابع ديمتريوس قد أرسل رهينة الى رومة منذ السنة ١٧٥ . وكان انطيوخوس اخو سلوقوس رهينة في رومة قبل وفاة والده انطيوخوس الثالث . فلما ارسل ساوقوس ابنه ديمتريوس رهينة اطلقت رومة سراح انطيوخوس . فاقام في اثينة وانضم الى جيشها فأصبح احد قواده . فلما علم انطيوخوس هـذا بوفاة اخيه وبوصول الطفل انطيوخوس الى العرش قام من اثينة الى آسية الصغرى مطالباً بدم اخيه وبالعرش ايضاً . فتبنى افمينس الثاني ملك برغامون هذه المطالبة وأمد انطيوخوس القائد بالمال والرجال ليجلس على عرش انطاكية صديقاً غمره فضل برغامون . ولعل رومة اشارت بذلك على افمينس لكثرة اصدقاء انطيوخوس في اوساطها السياسية العالية ولانها رأت فيه اداة فعالة لتنفيذ رغائبها في الشرق .

وعبر انطيوخوس جبال طوروس على رأس قوة برغامية فولّى هيليوذوروس مدبراً . ولا نعلم بالضبط ماذا جرى لهذا الوزير الطامع ولعله قضى بقية حياته لاجئاً في احدى المدن اليونانية منكباً على المطالعة والتأليف مدوناً ذكرياته خدمة للتاريخ والمؤرخين[2] . ثم تربع انطيوخوس القائد في كرسي الحكم متخذاً لقب « المجيد » (Epiphanes) . ولعله لم يستأثر بالسلطة وحده في اول عهده بل حكم شريكاً في الملك لانطيوخوس الطفل . فالنقود الباقية من اوائل عهده ترينا طفلاً في الرابعة او الخامسة من عمره يشبه سلوقوس الرابع كثيراً[3] . ولعل ما جاء في الإصحاح الحادي والعشرين من سفر دانيال عن انطيوخوس القائد ينبئ بدعاية قوية في فلسطين وسائر سورية الجنوبية لاعادة البطالسة الى الحكم وللتخلص من السلوقيين . « ويقوم مكانه حقير لا يعطى مزية الملك لكنه يدخل بدسيسة ويحوز الملك بالتملق »[4] .

---

(1) *Orientis Graeci Inscriptiones Selectae*, 247.
(2) Otto, W., *Heliodoros*, *Real-Encyc.*
(3) *Cam. Anc. Hist.*, Plates, III, 12 f.; Bevan, E., *Syria* etc., *Cam. Anc. Hist.*, VIII, 713-714.
(4) S. Jerome, *In Dan.*, XI, 21; Bouché-Leclercq, *Hist. Séleuc.*, I, 241.

ولا يشك احد من رجال الاختصاص في ذكاء انطيوخوس ومقدرته ونشاطه . ولكنهم يرون في شخصه مكرًا وخداعاً جعلاه في غالب الاحيان عدوًا في ثياب صديق . وهو في نظرهم بالاضافة الى ما تقدم متصلف متكبر على الرغم من مؤانسته لجميع طبقات الشعب وامتزاجه معهم . وقد دفعه ادعاؤه بالشرف وكرم المحتد ان اتخذ لنفسه في بعض المناسبات لقب « الإله المتجلي » (Theos-Epiphanes) وهو اللقب نفسه الذي كان قد تلقب به صهره المصري بطلميوس الخامس . ويستدل مما تبقى من آثار المعاصرين ايضاً ان انطيوخوس الرابع رغب رغبة أكيدة في مجالسة الفلاسفة وفي التحدث اليهم ولكنه بعد ان تقبل الرواقية وأيدها في بدء عهده مـال الى الابيقورية واعتنقها عن يد فيلونيدس (Philonides) فيلسوف اللاذقية . ولكنه على الرغم من هذه النواقص كلها يبقى انطيوخوس الرابع حاكماً متنورًا يقول بأفضلية الثقافة اليونانية وبرسالتها الخالدة ويسعى لنشرها وتعميمها . والواقع الذي لا جدال فيه هو ان سياسته العامة دبت نشاطاً ملموساً في قلوب الجاليات اليونانية في طول المملكة وعرضها . فالنقود الباقية التي سكت في عهده في عدد كبير من المدن تحمل رسمه وتعطي للمدن التي سكتها اسماء يونانية سلوقية لاول مرة في تاريخها . فان ادنة في قيليقية تصبح انطاكية واونياندوس (Oeniandos) ابيفانية وموبسوهستية (Mopsa-Hestia) سلوقية وحماه ابيفانية وجرش انطاكية احياناً وسلوقية احياناً اخرى وعكة التي كانت قد اصبحت بطولمايس غدت في عهد انطيوخوس انطاكية اخرى[1] .

مشكلة اليهود : واشتد تزاحم زعماء اليهود على النفوذ في فلسطين . واختصم في عهد سلوقوس الرابع هركانوس ابن طوبيا « احد عظماء الاشراف » واخوته وتنازعوا . ووقعت مشادة في هذه الاونة نفسها بين سمعان وكيل الهيكل وبين اونيا الكاهن الاعظم حول امور مالية عمومية نجهل تفاصيلها . « فانطلق سمعان الى ابلونيوس القائد في بقاع سورية وفينيقية وأخبره ان الخزانة التي في اورشليم مشحونة من الاموال بما لا يستطاع وصفه »[2] . وكان سلوقوس الرابع مجدًا في طلب المال ليدفع اقساط الغرامة لرومة . فلما علم بما في اورشليم من مال ارسل وزيره هيليوذوروس في السنة ١٧٥ لجلب هذه الاموال . فقام هيليوذوروس الى اوروشليم وحدّث اونيا الكاهن الاعظم بما كوشف به . فقال الكاهن ان المال ودائع للارامل واليتامى وان قسماً منه لهركانوس ابن طوبيا . فحاول هيليذوروس ان يأخذ المال بالقوة فهاج اليهود فخشي هيليوذوروس ثورة فسكت وعاد الى انطاكية[3] .

---

(1) Bevan, E., *Syria* etc., *Cam. Anc. Hist.*, VIII, 498-499.

(2) سفر المكابيين الثاني ٣ : ٦

(3) Abel, M., *Hist. Palest.*, I, 105-108.

وبعد وفاة سلوقوس الرابع واستيلاء انطيوخوس الرابع طمع ياسون « يسوع » اخو اونيا في الكهنوت الاعظم . فوفد على انطيوخوس ووعده بثلاث مئة وستين قنطار فضة وبثمانين قنطاراً من دخل آخر وضمن له مئة وخمسين قنطاراً غيرها ووعد بانشاء مدرسة للترويض (gumnasion) وكلية للعلوم اليونانية (ephebia)[١] كما ضمن « ان يكتتب اهل اوروشليم في رعوية انطاكية » فأجابه انطيوخوس الى طلبه وقلّده رئاسة الكهنوت . فعاد ياسون الى اوروشليم كاهناً اعظم وصرف شعبه الى عادات اليونان واقام مدرسة للتروض تحت القلعة وساق نخبة الغلمان فجعلهم تحت القبعة حتى ان الكهنة لم يعودوا يحرصون على خدمة المذبح لينالوا حظاً في جوائز الملعب المحرمة بعد المباراة في رمي المطّات . ولما جرت في صور المصارعة التي تجري كل سنة خامسة والملك حاضر أنفذ ياسون الكاهن الاعظم رسلاً من اوروشليم ومعهم ثلاث مئة درهم فضة لذبيحة هرقيل (ملكارت)[٢] .

وأيد ياسون في هذا التهلّن والتهلين جماعات من اليهود الاحرار بعضهم عن عقيدة واخلاص وبعضهم بدافع المصلحة والربح . وقاومه آخرون وفي طليعة هؤلاء مناظرو ياسون في الرئاسة . فقبحوا « صرف الشعب الى عادات الامم » واتهموا ياسون « بشدة الفجور » وبالخروج على الناموس وبالكفر . وهيّجوا الاوساط اليهودية المحافظة فأشاروا الى اشتراك الكهنة في التمارين الرياضية في الغيمنازيون « عراة » والى التزي بزي اليونان ولبس القبعة[٣] .

وتوفيت كليوبترة اخت انطيوخوس الرابع وام بطلميوس السادس قبيل السنة ١٧٢ . وبلغ بطلميوس السادس الرابعة عشرة او الخامسة عشرة من العمر فاحتفل بلاط الاسكندرية ببلوغ بطلميوس سن الرشد وباستوائه على عرش اجداده . فأوفد انطيوخوس الرابع ابولونيوس ابن منستاوس الى مصر ليمثله في حفلة التتويج . فلما رجع هذا الى انطاكية اطلع سيده انطيوخوس على الحالة الراهنة في مصر وأكد ان افلايوس (Eulaeos) الخصي وليناوس (Lenaeos) السوري وزيري بطلميوس السادس يستعدان للهجوم على سورية الجنوبية للاستيلاء عليها واعادتها الى حكم البطالسة . وكان انطيوخوس يثق بابولونيوس ويحترم رأيه فقام الى فلسطين والحدود الجنوبية يتفحص الوضع الراهن من الناحيتين العسكرية والسياسية . وكان هركانوس ابن طوبيا زعيم اليهود الموالين لمصر قد انتحر فأمر انطيوخوس

---

(1) Aymard, A. et Auboyer, J., *L'Orient et la Grèce*, 505-506; Abel, M., *op. cit.*, I, 112 ff.

(2) سفر المكابيين الثاني ٤ : ٧–٢١

(3) Bevan, E., *Syria* etc., *Cam. Anc. Hist.*, VIII, 502-503.

بمصادرة امواله ثم قام الى اوروشليم فاستقبله ياسون استقبالاً جليلاً ودخل بين المشاعل والهتاف وانصرف من هناك بالجيش الى فينيقية[1] .

وبعد هذا بقليل وجّه ياسون الكاهن الاعظم منلاوس (Menelaos) ليحمل اموالاً للملك ويفاوضه في امور مهمة . فتزلف منلاوس الى انطيوخوس وأطرأ عظمة سلطانه وأحال الكهنوت الاعظم الى نفسه بأن زاد ثلاث مئة قنطار فضة على ما اعطى ياسون . ثم رجع الى اوروشليم (١٧٠ – ١٦٩) ومعه اوامر الملك . ففرّ ياسون الى ارض بني عمون .

وحدث في هذه الفترة نفسها ان اهل طرسوس وملّوس (Mallos) تمردوا لانهم جعلوا هبة لانطيوخيسة سُرية الملك . فبادر انطيوخوس لاطفاء الفتنة واستخلف مكانه في الحكم في انطاكية اندرونيكوس احد ذوي المناصب . فقتل اندرونيكوس الطفل انطيوخوس بن سلوقوس الرابع . فاضطربت الاوساط اليونانية في سورية وسخطوا . فلما رجع الملك من قيليقية نزع الارجوان عن اندرونيكوس ومزّق حُلله واطافه في انطاكية ثم أباده[2] .

ومما جرى في هذه الفترة ايضاً في اثناء غياب انطيوخوس عن انطاكية ان منلاوس لم يَفِ شيئاً من الاموال التي كان قد وعد بها وان سوسترانوس رئيس القلعة في اوروشليم كان يطالبه بالمال لانه كان مولّى امر الجباية .فاستدعى اندرونيكوس الاثنين الى انطاكية . فسرق منلاوس من الهيكل آنية من الذهب اهدى بعضها الى اندرونيكوس وباع بعضها في صور والمدن التي بجوارها . وكان اونيا الكاهن الاسبق قد انصرف منذ ايام ياسون الى حمى بدفنة بالقرب من انطاكية . فأغرى منلاوس اندرونيكوس ان يقبض على اونيا . فسار اندرونيكوس الى انويا وخدعه وحمله على الخروج من الحمى ثم اغتاله . فوقع ذلك موقع المقت عند اليهود . وكان ليسياخوس اخو منلاوس قد سلب كثيرًا من مال الاقداس فاجتمع جمهور اليهود في اوروشليم عليه وقتلوه . فلما قدم انطيوخوس الى صور ارسلت مشيخة اوروشليم ثلاثة رجال فرفعوا الدعوى على منلاوس . واذ رأى منلاوس انه مغلوب وعد بطلميوس ابن دوريمينس (Dorymenes) بمال جزيل ليستميل الملك . فدخل بطلميوس على انطيوخوس وهو في بعض الاروقة يتنسم الهواء وصرفه عن رأية . فحكم انطيوخوس لمنلاوس بالبراءة . فشق هذا التعدي حتى على الصوريين وازداد منلاوس خبثاً[3] .

---

(1) Liv., XLII, 29; Macab., II, 4, 21; Abel, M., *Hist. Palest.*, I, 115-116.

(2) Diod., XXX, 7, 2; Johanne's, *Antioch*, *Frag.* 58.

(3) سفر المكابيين الثاني ٤ : ٢٢–٣٦ و٣٩–٤٩ Abel, M., *Hist. Palest.*, I, 116-118.

انطيوخوس ومصر : وكان انطيوخوس لا يزال يرقب تطور الامور في مصر بعين الحذر والتيقظ . وترامى اليه ان افلايوس الخصي وليناوس السوري اكملا حشد الجنود للاغارة على سورية الجنوبية . فارسل انطيوخوس وزيره هيراقليذس (Heracleides) الى رومة ليبين تعدي مصر على سورية[1] وانحدر هو بسرعة خاطفة في صيف السنة ١٦٩ نحو الجنوب فقطع صحراء سيناء وضرب جيش الوزيرين ضربة قوية . ثم احتل بيلوسيوم (Pelusium) وممفيس (Memphis) وزحف على الاسكندرية وحاصرها . فهرع ممثلو اثينة ورودوس والحلف الآخي الى معسكره يبينون الخطر الروماني الذي يحدق بجميع الدول الهلينية ويرجونه حسم النزاع القائم بينه وبين مصر . فأكد انطيوخوس نواياه السلمية . وكان بطلميوس السادس قد حاول الفرار الى خارج مصر ووقع في يد انطيوخوس اسيراً . وكان الاسكندريون قد اقاموا اخاه بطلميوس السابع « الاصغر » ملكاً في الاسكندرية . فأصرّ انطيوخوس على عودة بطلميوس السادس الى الحكم وحده . ثم تركه وشأنه راجياً ان يجد هو واخوه في المطالبة بالملك ما يشغلهما عن سورية الجنوبية . وفي اواخر السنة ١٦٩ انسحب انطيوخوس من مصر تاركاً حامية سورية في حصون بيليسيوم على حدود مصر الشرقية[2] .

وكان قد ارجف قوم من اليهود ان انطيوخوس قد مات . فاتخذ ياسون الف رجل وهجم على اوروشليم بغتة فدفع الذين على الاسوار وهرب منلاوس الى القلعة . فطفق ياسون يذبح ابناء وطنه . ولكنه لم يحز رئاسة الكهنوت وهرب ثانية الى ارض بني عمون . فلما علم انطيوخوس بما جرى اتهم اليهود بالانتقاض عليه فزحف على اوروشليم ودخلها عنوة وثبت منلاوس كاهناً اعظم . وقبل خروجه من المدينة « اجترأ ودخل الهيكل واخذ الآنية المقدسة مع ما اهدته الملوك لزينة الموضع وبهائه وكرامته »[3] .

وما كاد انطيوخوس يعود الى عاصمته حتى علم ان كليوبترة الثانية اخت بطلميوس السادس وزوجته نجحت في التوفيق بين الاخوين وانهما تراضيا على ان يقتسما الملك بينهما وان يحكما مصر معاً من الاسكندرية . فاحتل انطيوخوس قبرص في ربيع السنة ١٦٨ وقام على رأس جيشه الى مصر نفسها ليدبر امورها . ولما علم البطلميوسان بذلك اوفدا الرسل ليشكرا خالهما اهتمامه في شؤونهما ويرجواه ان يعود بجيشه الى سورية . ولكن انطيوخوس

---

(1) KOLBE, W., *Beitrage zur Syr. und Jud. Gesch.*, 34.
(2) BEVAN, E., *Hist. Lagides*, 319-321.
(3) سفر المكابيين الثاني ٥ : ٥–١٧ ABEL, M., *Hist. Palest.*, I, 118-120.

أبى ان يرجع قبل تنازل البطلميوسين له عن حقوقهما في بيليسيوم وقبرص . وتابع انطيوخوس سيره ودخل ممفيس واستأنف السير منها الى الاسكندرية . وكانت رومة قد انتصرت على برسفس في مقدونية انتصارًا حاسماً (حزيران ١٦٨) فتمكنت من الالتفات الى شؤون مصر وسورية . فاوفدت بوبيليوس لاينـــاس (Popilius Laenas) الى الاسكندرية ليتدخل في النزاع بين مصر وسورية ويفرض المحافظة على الحالة الراهنة . فالتقى بوبيليوس بانطيوخوس في اليفسيس (Eleusis) خارج اسوار الاسكندرية وابلغه قرار مجلس شيوخ رومة في المشكلة السورية المصرية وطلب اليه ان يخلي مصر حالاً . ولدى تردد انطيوخوس رسم بوبيليوس بعصاه دائرة على الرمل حوالى انطيوخوس وطلب اليه ان يجيب جواباً قبل خروجه من هذه الدائرة ! فقبل انطيوخوس حكم رومة مكرهاً وعاد بجيشه عبر الحدود الى سورية . واقلع الوفد الروماني الى قبرص واكرهوا الاسطول السوري على مبارحة مياه هذه الجزيرة[1] .

ثورة المكابيين : ولم تتحقق لانطيوخوس اماله ولم تبقَ بيليسيوم مفتاح مصر بيده وأعيدت قبرص الى البطالسة وظلّت قاعدة بحرية حربية تهدد الشاطئ السوري . فرأى انطيوخوس ان يستعيض عما فقده من وسائل للدفاع ستراتيجية بجهاز داخلي معنوي . وكان لا يزال للبطالسة اعوان من اليهود في فلسطين وسائر سورية الجنوبية . وكان هؤلاء لا يزالون يقاومون سياسته التهلينية فمضى انطيوخوس في تهلين اليهود لتوحيد الفكر والمطالب وللقضاء على كل معاند مخاتل مشاغب . فأرسل في السنة ١٦٧ ابولونيوس بقوة من المرتزقة الى اوروشليم كما أوفد شيخاً اثينياً « ليرد اليهود عن شريعة آبائهم » وليجعل هيكل اوروشليم على اسم زفس الاولمبي (Zeus Olympios) ويجعل هيكل جرزيم على اسم زفس مؤوي الغرباء (Zeus Xenios) لان اهل الموضوع كانوا غرباء . ونُصب تمثال لزفس في الهيكل . ولعله شابه انطيوخوس[2] وقيل لليهود انه تمثال لبعل شمين رب السموات . وحرم الملك تطبيق الناموس وختن الاولاد واقتناء الاسفار المقدسة وأوجب اكل لحم الخنزير .

وفي اواخر السنة ١٦٦ قدم الى مودين رسل انطيوخوس ليجبروا اليهود على تنفيذ اوامر الملك . فاقبل عليهم كثيرون واجتمع متتيا وبنوه . فقال رسل الملك لمتتيا انت رئيس في هذه المدينة شريف معزز بالبنين والاخوة . فالآن ابدأ انت وتقدم لامضاء امر الملك فتكون من اصدقائه وتكرم . فقال وان طاعت للملك كل الامم فانا وبني واخوتي نسلك

(1) Bevan, E., *op. cit.*, 321-322.
(2) *Cam. Anc. Hist.*, Plates, III, 12, 1.

في عهد آبائنا . واقبل رجل يهودي ليذبح على المذبح على مقتضى امر الملك . فوثب متتيا عليه وقتله على المذبح وقتل رجل الملك وصاح في المدينة قائلاً كل من غار للشريعة وحافظ على العهد فليخرج ورائي وهرب هو وبنوه الى الجبال[1] . وتكاثر اليهود حول متتيا وابنائه فعمت الثورة . وتوفي متتيا بعد ذلك بقليل فتسلم قيادة حركة التحرر هذه ابنه الثالث يهوذا الذي لقّب بالمكّابي (Maccabaeus) . وقد اختلف في اصل هذا اللقب فمنهم من رأى في « المقبّة» المطرقة ومنهم من يرى في ذلك اشارة الى « الاسم الجديد الذي يعينه فم الرب » كما جاء في الاصحاح الثاني والستين من سفر اشعيا وفي الآية الثانية[2] .

وحشد ابولونيوس جيشاً وجاء من السامرة ليخضع اليهود الثائرين فخرج يهوذا للقائه فأوقع به وقتله . واخذ يهوذا سيف ابولونيوس وكان يقاتل به كل الايام . وسمع سارون قائد جيش سورية ان يهوذا قد عصّب عصابة . فتجهز للخروج وخرج معه جيش قوي . فدنوا الى عقبة بيت حورون . فخرج يهوذا للقائهم وكسرهم . فقال قوله المأثور : « اولئك يأتوننا بجمع من ذوي الشتائم والنفاق واما نحن فنحارب عن نفوسنا وسننا »[3] . وفي هذا القول ما يكفي لتعليل الانكسار والانتصار . وشاع سفر دانيال في هذه الاونة (١٦٦) وتناولته الايدي وكثر الاقبال على مطالعته فكان خير مقوٍ ومعزٍ لليهود في محنتهم هذه[4] .

واستصغر انطيوخوس هذه الحركة واستحقرها . فقام في ربيع السنة ١٦٥ الى مادي وفارس ليحدّ ميثراداتس (Mithradates) الاول ملك برثية ويمنعه عن التوسع . وحاول انطيوخوس في اثناء تجواله في خوزستان ان ينهب هيكل نانية . فصده المؤمنون عن ذلك ونجا بنفسه ولكنه أصيب بمرض عقلي وتوفي في اصفهان في صيف السنة ١٦٣ .

وكان انطيوخوس الرابع قد وكل زمام الامور في المملكة في اثناء غيابه الى ليسياس (Lysias) احد انسبائه . فقام هذا يعالج مشكلة اليهود في فلسطين فأنفذ في السنة ١٦٥ حملة بقيادة نيكانور (Nicanor) وجرجياس (Gorgias) لتأديب العصاة واخضاعهم . وما ان وصلت طلائع هذا الجيش الى امواس حتى فاجأها يهوذا المكابي برجاله فشتت شملها . فاسترعى هذا الفشل اهتمام ليسياس فسار في السنة ١٦٤ بنفسه الى فلسطين في مناورة استكشافية وبلغ بيت صور . فهاله انتشار الثورة وقفل راجعاً الى

(1) سفر المكابيين الاول ٢ : ١ — ٢٩

(2) Bevan, A. A., *J. Theol. Stud.*, 1929, 191 ff.

(3) سفر المكابيين الاول ٣ : ٢٠

(4) Bevan, E., *Syria*, *op. cit.*, *Cam. Anc. Hist.*, VIII, 509-513.

العاصمة . ورأى ان يسالم اليهود « فراسلهم ووعد بانه يسلم بكل ما هو حق » وبان يستميل الملك الى موالاتهم . فرضي المكابي بكل ما سأل ليسياس . ثم كتب انطيوخوس : « نحن نريد لهذا الشعب ان يكون كغيره خالياً عن البلبال فانا نحكم بان يرد لهم الهيكل وان يساسوا بمقتضى عادات آبائهم »[1] . فعاد المكابيون الى اوروشليم ورُدّ الهيكل الى اليهود فأعادوا تكريسه في الخامس والعشرين من كانون الاول سنة ١٦٤ . ولا يزالون يبتهجون بهذا العيد حتى يومنا هذا .

وعاد الثائرون من اليهود الى المدن والقرى والمزارع التي خرجوا منها ليعيشوا مطمئنين هادئين . فعادت المشادة بينهم وبين اليهود المتهلّنين الى سابق عهدها . ثم توفي انطيوخوس الرابع في السنة ١٦٣ . وكان قد اوصى بان يتولى فيليبوس القائد الوصاية على ابنه الطفل انطيوخوس الخامس . وكان ليسياس لا يزال وكيل الملك في انطاكية والوصي الفعلي على انطيوخوس الخامس . فتوقع المكابيون نزاعاً بين فيليبوس وبين ليسياس فطَمِعُوا وضيقوا على المتهلنين . فاستجار هؤلاء بليسياس فسار بقوة كبيرة الى اليهودية . وكان المكابيون قد حصنوا بيت صور فلما وصل ليسياس اليها ضرب الحصار عليها واستأنف السير نحو اوروشليم . فاعترضه المكابيون عند بيت زخريا فأوقع بهم هزيمة شنعاء . ثم استسلمت بيت صور . ووردت انباء تفيد ان فيليبوس قادم الى انطاكية على رأس الجيش فاضطر ليسياس ان يكتفي بما توصل اليه في فلسطين فأصدر عفواً عن المكابيين وقبض على منلاوس الكاهن الاعظم وساقه الى سورية وهدم القلعة والابراج التي كان قد انشأها المكابيون عند تلة صهيون في اوروشليم وابقى حامية سلوقية في قلعة هذه المدينة وعين عليها هيغيمونيذس (Hegemonides) حاكماً عسكرياً واشترط ان يذبح للملك في الهيكل . ثم عين كاهناً اعظم الكيمس المتهلن (Elcimus) وسار الى عكة ومنها الى انطاكية .

ووصل فيليبوس بالجيش الى سورية فسار السياس الى قتاله بما كان لديه من قوة وأوقع به ففرّ فيليبوس الى مصر ملتجئاً . وشك ليسياس في نوايا انطيوخيسة اخت انطيوخوس الرابع وارملة اريارثوس الرابع ملك قبدونية — وكانت قد اقامت في انطاكية بعد وفـــاة زوجها — فدبر لها مكيدة وقتلها مع ابنتها . ووصلت في هذا الوقت نفسه في السنة ١٦٢ لجنة رومانية الى سورية برئاسة غنايوس اوكتافيوس (Gnaeus Octavius) تتثبت من اخلاد انطاكية الى السلم والسكينة فشق تدخلها على الاوساط الهلينية المتطرفة وهب احد هؤلاء فاغتال غنايوس اوكتافيوس لدى وصوله الى اللاذقية . فاهتم ليسياس واغتم وارسل

(1) سفر المكابيين الثاني ١١ : ٢٥

وفداً الى رومة يبرئه من هذا الذنب ويخرجه من تبعته . ولكن رومة تحفظت ولم تبد رأيها . وكان ديمتريوس ابن سلوقوس الرابع لا يزال رهينة في رومة . فلما علم بما جرى فرَّ من رومة خلسة بمعونة صديقه المؤرخ بوليبيوس[1] واتجه شطر الشرق مطالباً بحقه في الملك . وسكت مجلس رومة عن هذا الفرار ولم يحاول منعه .

ديمتريوس الاول : (١٦٢ — ١٥٠) ووصل ديمتريوس الى طرابلس في خريف السنة ١٦٢ . وما ان وطأت قدماه البر فيها حتى ثار الجيش على ليسياس الوصي وقتلوا انطيوخوس الخامس الصبي . وكان يتولى امور بابل آنئذ صديق حميم لانطيوخوس الرابع يدعى تيمارخوس (Timarchos) فما ان علم هذا بما جرى لابن صديقه حتى ثارت ثائرته واعلن نفسه ملكاً على بابل ومادي[2] . فاضطر ديمتريوس ان يستعجل رومة في الاعتراف به ملكاً على عرش انطاكية . ولكن تيمارخوس فاوض رومة في الامر نفسه ايضاً فتردد مجلسها ولم يقل كلمته ولعله خشي مواهب ديمتريوس وحزمه ونشاطه فآثر اضعافه على تقويته . واستغل المكابيون هذا التردد في رومة فأوفدوا في السنة ١٦١ من يستعطف رومة ويرجو معونتها . فوقعت رومة معهم معاهدة صداقة ووعدت باسعافهم في حال هجوم دولة اخرى عليهم[3] .

ولم يكن ديمتريوس فاتر العزم ساقط الهمة. فانه ما كاد يعلم بخبث المكابيين حتى جرد عليهم حملة بقيادة بكيدس (Bachides) «امير عبر النهر» . وقلّد الكيموس رئاسة الكهنوت وأرسله مع بكيدس . وكان الكيموس هذا كاهناً من نسل هارون فلما بلغت الحملة ارض يهوذا اجتمعت الى الكيموس وبكيدس جماعة الكتبة ووافاهما الحسيديون وهم المقدمون في بني اسرائيل يسألونهما السلم «لانهم قالوا ان مع جيوش بكيدس كاهناً من نسل هارون فلا يظلمنا » . فسلّم بكيدس البلاد الى ألكيموس وأبقى معه جيشاً يؤازره وانصرف الى انطاكية[4] .

وكان تيمارخوس قد حالف ملك ارمينية ونهض بالجيوش قاصداً انطاكية . فهبّ ديمتريوس لقتاله في اواخر السنة ١٦١ . فلما علم سكان المدن اليونانية في ما بين النهرين بقدومه خرجوا على تيمارخوس واعلنوا الطاعة لديمتريوس الملك الشرعي . فدب الرعب الى

(1) Volkmann, H., *Klio*, 1925, 382 ff.
(2) Diod., XXXI, 27.
(3) Taubler, E., *Imperium Romanum*, 1, 240 ff.
(4) سفر المكابيين الاول ٧ : ٧ — ٢٢

الى قلب تيمارخوس فقبض عليه وقتل . وفتحت بابل ابوابها لاستقبال ديمتريوس ونادت سلوقية التي على الدجلة بديمتريوس «مخلصاً» (Soter) فأصبح هذا اللفظ لقبه الرسمي طوال عهده .

وفي صيف السنة ١٦٠ وصلت الى مياه رودوس لجنة رومانية برئاسة تيبيريوس غراكوس (Tiberius S. Gracchus) صديق ديمتريوس القديم للنظر في شؤون الشرق . فوافاها الى رودوس وفد سوري واعترفت اللجنة بديمتريوس ملكاً على عرش انطاكية . وفي الخريف قام وفد سوري الى رومة يقتاد قاتل اوكتافيوس ويحمل تاجاً من ذهب[1] .

وكان الكيموس يجهد في تولي الكهنوت الاعظم . فعاد المكابيون الى الجهاد قاتلين بحد السيف اليهود المتهلنين . فشكا ألكيموس المكابيين الى ديمتريوس . فوفد نيكانور على اوروشليم بجيش كثير . ففاجأه يهوذا عند أداسة في الثالث عشر من اذار. فانكسر جيش نيكانور وكان هو اول من سقط في القتال . ففرح اليهود ورسموا ان يعيد ذلك اليوم الثالث عشر من اذار كل سنة[2] . ولما علم ديمتريوس ان نيكانور وجيوشه قد سقطوا في الحرب ارسل بعد شهر واحد بكيدس والكيموس ومعهما جناح الجيش الايمن . وكان يهوذا المكابي قد نزل بلاشع بثلاثة الاف رجل منتخبين . فاشتد القتال وسقط يهوذا وهرب رجاله الباقون[3] . ولم يتمكن بكيدس من القاء القبض على اخوة يهوذا . وفرَّ هؤلاء ببعض الرجال عبر الاردن . فارسل يوناثان المكابي — الذي تزعم مكان اخيه يهوذا — اخاه يوحنا يسأل الانباط ان يعيروهم عدتهم . فخرج بنو يمري من مادبا وقبضوا على يوحنا وكل ما معه وذهبوا بالجميع . وفي السنة ١٥٩ توفي الكيموس الكاهن الاعظم . وبقيت وظيفته شاغرةً مدة من الزمن . وفي اواخر السنة ١٥٧ حاول بكيدس ان يقتص من يوناثان واخيه سمعان . فزحف الى عبر الاردن فلمس صعوبة الحرب فيها فصالح يوناثان على ان يقيم في اليهودية آمناً ولكن خارج اوروشليم . فقبل يوناثان بذلك واقام في مكماش[4] .

ولكن ارتفاع ديمتريوس في السلطان والمجد ما لبث ان اثار جزع رومة وتوجسها . وكان ديمتريوس قد تدخل في النزاع بين اريارثوس الخامس ملك قبدوقية وبين اخيه اوروفرنيس (Orophernes) وأيد هذا على ذلك فتدخل اتلوس ملك برغامون وعضد اريارثوس فأمسى اتلوس خصماً لديمتريوس . وانتصر اريارثوس على اخيه اوروفرنيس في السنة

---

(1) Bevan, E., *Syria and the Jews*, *Cam. Anc. Hist.*, VIII, 520.
(2) سفر المكابيين الاول ٧ : ٣٩ — ٤٩
(3) سفر المكابيين الاول ٩ : ١ — ١٩
(4) Abel, F., *Hist. Palest.*, I, 165-170.

١٥٦ فاشتد التنافر بين برغامون وبين سورية . ثم حاول ديمتريوس في السنة ١٥٥ ان يستولي على قبرص فأثار بذلك غضب جاره في الجنوب بطلميوس السادس . وكان ديمتريوس قد لمس تخنث الاوساط اليونانية العالية في مملكته فحاول محاربة هذا الانحطاط والفساد فاكتسب كره هذه الاوساط ونفورهم . وما لبث ان ابتعد عنهم وانعزل فاقام في حصن خارج انطاكية .

وأحبت رومة ان يرقى عرش انطاكية حقير ذليل ينصاع لامرها وينفذ رغباتها . وأحس اتلوس بهذه الرغبة فانتقى غلاماً كان شديد الشبه بانطيوخوس الرابع اسمه بالاس (Balas) فادعى ان هذا الفتى هو ابن ذاك البطل وأسماه اسكندر وجعله يقيم في قيليقية عند حدود سورية . ثم وفق بين هذا الفتى وبين هرقليدس – وزير المال السوري واخي تيمارخوس الذي كان قد لجأ الى آسية الصغرى – ودفع بهما الى رومة يطالبان بعرش سورية . فاعترف مجلس رومة بحق اسكندر في الملأ وشجعه على العمل . فنزل بالاس في عكة في صيف السنة ١٥٢ مطالباً بعرش انطاكية[1] .

وشعر ديمتريوس عندئذٍ بالعزلة الدولية التي كان قد جناها على نفسه فهبّ لساعته يتودد الى اليهود . فكتب الى يوناثان المكابي يسالمه وأذن له ان يجمع جيشاً وان يتجهز بالاسلحة وان يكون مناصراً له وردّ اليه الرهائن وأخلى الحصون التي كان بكيدس قد انشأها . وسمع اسكندر بالاس بهذا فكتب هو ايضاً الى يوناثان يقيمه كاهناً اعظم ويسميه « وليّ الملك » . وارسل اليه ارجواناً وتاجاً من ذهب . فشق ذلك على ديمتريوس فكتب إلى يوناثان يقول : « لقد بلغنا انكم محافظون على عهودكم لنا ثابتون في مودتكم . والآن فاني اعفيكم واحط عن جميع اليهود كل جزية ومكس الملح والاكاليل وثلث الزرع ونصف إناء الشجر الذي يحق لي اخذه . وليكتتب من اليهود في جيوش الملك الى ثلاثين الف رجل يعطى لهم وظائف كما يحق لسائر جنود الملك . وقد وهبت بطلمايس (عكة) وما يتبعها للمقدس الذي باورشليم »[2] . ولكن يوناثان وجماعته لم يثقوا بهذا كله فآثروا اسكندر بالاس وبقوا على مناصرته . وارسل بطلميوس مصر قوة تساند بالاس وعبرت قوات برغامية وقبدوقية حدود سورية الشمالية . وثارت انطاكية على ديمتريوس وخانه بعض كبار رجاله . ولكنه ظل مجاهداً حتى سقط في احدى المعارك متألماً من جراحه وذلك في السنة ١٥٠[3] .

(1) Polyb., XXXIII, 15, 18; Diod., XXXI, 32; Antiq., XIII, 35-46; Babelon, E., *Rois de Syrie*, CXXIII.

(2) سفر المكابيين الاول ١٠ : ٢ – ٤٦

(3) Antiq., XIII, 59-61; Justin, XXXV.

اسكندر بالاس ومصر : (١٥٠ ــ ١٤٥) وكان بطلميوس السادس قد تبنى الحركة التي قام بها اسكندر بالاس وأمدّه بالمال والرجال وأوصله الى الشاطئ السوري على ظهر سفن مصرية . فلما نال بالاس مراده وصفا له الجوّ والى بطلميوس وخطب بنته كليوبترة (Cleopatra Thea) . وقبل بطلميوس بهذه المصاهرة وأقام العرس في عكة . واشترك يوناثان المكابي في حفلات هذا العرس واهدى لبطلميوس واسكندر « فضة وذهباً وهدايا كثيرة » . فألبسه اسكندر ارجواناً واجلسه بجانبه واقامه قائداً وشريكاً في الملك (Strategos Meridarches)[1]. وولدت كليوبترة لبالاس ابناً ذكراً اسماه انطيوخوس . وهو الذي أصبح فيما يعد انطيوخوس السادس .

ولم يكن اسكندر بالاس من ذوي السلوك المستقيم . ولم يكن وزيره امونيوس (Ammonios) اقلّ شروراً منه . فانهمكا بارتكاب المنكرات واضاعة الوقت جزافاً . وأقاما في عكة وتركا تدبير امور العاصمة لقائدين عسكريين كانا قد انحازا اليهما في اثناء محنة ديمتريوس الاخيرة. واتفق اسكندر ووزيره وهذان القائدان على ابادة ذرية سلوقوس الرابع فقتلوا زوجة ديمتريوس الاول وابنه انتيغونوس وجميع اصدقائهم[2] . وكان ابن ديمتريوس الاول ديمتريوس الثاني مقيماً في قنيذة (Cnide) في كارية من اعمال جنوبي آسية الصغرى فرأى الظرف ملائماً للمطالبة بالعرش . فجمع جيشاً من المرتزقة من جزيرة كريت ونزل بهم في ربيع السنة ١٤٧ في سورية الشمالية او في قيليقية . فاجتمع تحت لوائه جمع غفير من الذين لم تسرهم دولة اسكندر بالاس . واعلن ابولونيوس نفسه حاكماً على سورية الجنوبية باسم ديمتريوس الثاني فقاومه يوناثان المكابي صديق بالاس واشتد الاضطراب وعمت الفوضى[3] .

وكان بطلميوس السادس لا يزال يطمع في سورية الجنوبية كسائر سلفائه في مصر فجمع جيشاً كبيراً وسفناً عديدة وقدم سورية متظاهراً بالسلم . ففتح له اهل المدن ولاقوه اذ كان الاسكندر قد امر بلقائه لانه صهره . ولاقى يوناثان المكابي بطلميوس في يافة ورحب به ثم شيّعه عبر الساحل حتى النهر الكبير (Eleutherus) . فاستحوذ بطلميوس على مدن الساحل الى سلوقية التي على مصب العاصي . فلما تمّ له هذا الاحتلال أنفذ رسلاً الى ديمتريوس الثاني يقول : « هلمّ فنعقد عهداً بيني وبينك وأهب لك بنتي التي

---

(1) سفر المكابيين الاول ١٠ : ٥١ — ٦٥

(2) Abel, F., *Hist. Palest.*, I, 177; Bevan, E., *Syria* etc., *Cam. Anc. Hist.*, VIII, 524.

(3) Justin, XXXV, 2, 2; Diod., XXXIII, 3.

عند الاسكندر ونملك ملك ابيك فاني قد قدمت على عطائي ابنتي له لانه رام قتلي »[1] . ففرّ بالاس الى قيليقية ودخل بطلميوس عاصمة السلوقيين ظـافرًا منتصرًا . وقدّم له الانطاكيون التاج السلوقي ولكنه أبى خوفاً من تدخل رومة . وأجلس بطلميوس وديمتريوس الثاني صهره الجديد على عرش آبائه . وجمع اسكندر بالاس جيشاً جديداً في قيليقية وعاد في السنة ١٤٥ الى سورية للحرب والقتال . وكان بطلميوس السادس لا يزال في سورية بجيشه الكبير فدارت معركة كبيرة عند نهر عفرين (Oenoparas) احد روافد العاصي في منطقة انطاكية غلب فيها بالاس وجرح بطلميوس . وبعد ذلك بقليل توفي بطلميوس متأثرًا من جراحه . اما بالاس فانه فرّ الى « ديار العرب مستجيرًا بهم فقطع زبديئيل العربي رأسه وبعث به الى بطلميوس »[2] .

---

(1) سفر المكابيين الاول ١١ : ٩ – ١١
(2) سفر المكابيين الاول ١١ : ١٦ – ١٨

الفصل التاسع

التفكك والانهيار

١٤٥ - ٣٠

ديمتريوس الثاني : (١٤٥ — ١٣٩) وبوفاة بطلميوس السادس انتهى حكم البطالسة في سورية الجنوبية والساحل الفينيقي وبدأ عهد ديمتريوس الثاني «المنتصر والإله الذي يحب اخاه» (Nicator Theos Philadelphus) . وكان ديمتريوس لا يزال في السادسة عشرة من عمره فسلّم زمام الامور لوزيره الكريتي قائد جنوده المرتزقة الذي كان يدعى لاستينس (Lasthenes) وكان لاستينس قليل الخبرة والتدريب . ومع انه كان يرغب في الاصلاح فانه كان يقدم على الامور بدون روية ولا نظر في العواقب . ومن ذلك انه أمر بتسريح العساكر السوريين وبقتل بعض جنود بطلميوس السادس . فضمر المسرحون السوء وباتوا ينتظرون فرصة للإيقاع بقائد المرتزقة وزير ديمتريوس . وعاث المرتزقة من جنود لاستينس في انطاكية فعلَت اصوات التذمر في كل مكان . وظهرت شرارة الثورة فبعث ديمتريوس الثاني يستنجد بيوناثان المكابي . فجاء يوناثان وأحط على العاصمة ففتحها وأنقذ ديمتريوس من الخطر ونهب المدينة واحرق جانباً منها . فأخلد الشعب الى السكينة ولكنهم زادوا حقداً على الحكومة[1] .

وفي السنة ١٤٣ قصد ديودوتوس (Diodotus) الابامي زبديئيل العربي يطلب منه انطيوخوس ابن اسكندر بالاس الذي كان رهناً عنده . فأخذه وذهب به الى العراق ونادى به ملكاً على سورية . وكان الشعب قد كره ديمتريوس وكان ديمتريوس قد اخلف فيما وعد وتغير على يوناثان المكابي فاتحد الجميع مع انطيوخوس ابن بالاس ولقبوه « الإله المجيد ديونيسوس » (Theos Epiphanes Dionysos) وحاربوا ديمتريوس الثاني فانكسر والتجأ الى قلعة سلوقية التي على مصب العاصي . فدخل انطيوخوس السادس مدينة انطاكية ولبس تاج الملك وأطلق وزيره ديودوتوس على نفسه الاسم تريفون (Tryphon) . وظلّت

---

(1) Diod., XXXIII, 4; Justin, XXXV, 2; Antiq., XIII, 129 f.

سلوقية وساحل البحر تحت حكم ديمتريوس الثاني فانشطرت المملكة شطرين : سورية الداخلية في يد انطيوخوس السادس وسورية الساحلية وما وراء الفرات تحت حكم ديمتريوس الثاني .

وانحاز يوناثان المكابي الى جانب تريفون وانطيوخوس واستغل انقسام المملكة السلوقية فوطد سلطته في اليهودية ووسع سلطانه خارجها وأرسل وفداً الى رومة ليقرّ الموالاة بين اليهود وبين رومة ويجددها[1] . وجاء في سفر المكابيين الاول وفي الفصل الثاني عشر ان يوناثان راسل الاسبارطيين ايضاً . فاضطرب تريفون وألقى القبض بحيلة على يوناثان في عكة ثم قتله في السنة ١٤٢ في شرق الاردن[2] .

ولما فاز تريفون بما اراد خلع انطيوخوس السادس في السنة ١٤٢ وأعلن نفسه ملكاً على سورية وتوابعها متخذاً لقب (Basileus Autokrator) مبتدءًا تأريخياً جديداً على مسكوكاته . فوالى اليهود ديمتريوس الثاني خصمه . وتقبل هذا ولاءهم بتعطش فائق فكتب اليهم « يعفوهم مما عليهم ويبقي الحصون في ايديهم » . وفي ايار السنة ١٤١ أخلى القلعة في اوروشليم فأتم بذلك استقلال اليهود واتخذ سمعان اخو يوناثان وخلفه لقب « الكاهن الاعظم والقائد وامير شعب الله »[3] .

وفي تموز السنة ١٤١ دخل مثريداتس (Mithridates) الاول ملك برثية بابل منتصراً[4] واستولى على سلوقية التي على دجلة فاضطر ديمتريوس ان يسير بجيش الى العراق . فعبر الفرات في السنة ١٤٠ واكره البرث على التراجع . ثم استأنف الحرب في السنة ١٣٩ في فارس نفسها فوقع في يد مثريداتس اسيراً . وأكرم مثريداتس ضيفه السلوقي وزوجه من ابنته واحتفظ به اداة يستعملها عند الحاجة لاشباع مطامعه في السياسة والحرب .

انطيوخوس السابع : (١٣٩–١٢٩) وعلم انطيوخوس اخو ديمتريوس بما جرى لاخيه في فارس . وكان لا يزال في سيدة من اعمال بامفيلية في جنوبي آسية الصغرى . فهبّ يستعد للاستيلاء على عرش آبائه . وكتب من سيدة الى سمعان المكابي « يقرر له كل حطيطة حطها عنه الملوك من قبله وكل ما أعفوه منه من التقادم . وأباح له ان يضرب في بلاده سكة خاصة وان تكون اوروشليم والاقداس حرة . واعفاه من كل ضريبة كانت فيما سلف

---

(1) سفر المكابيين الاول ١٢ : ١ – ٥ Bevan, E., *Syria* etc., *Cam. Anc. Hist.*, VIII, 526.
(2) Abel, F., *Hist. Palest.*, I, 191-192.
(3) Bevan, E., *Syria* etc., *Cam. Anc. Hist.*, VIII, 527.
(4) Kugler, F. X., *Von Moses bis Paulus*, 338-343.

او تكون فيما يأتي » . وجعل الملك امير اليهود اثنارخوساً . فبدأ سمعان يسك النقود النحاسية باسمه[1] . وكانت كليوبترة زوجة ديمتريوس الثاني قد بقيت في سلوقية التي على مصب العاصي فلما اقبل انطيوخوس السابع في السنة ١٣٨ ليستولي على العرش دعته للنزول في سلوقية وتزوجت به . وكانت قد احبت الرعايا وبذلت وسعها في ملاطفتهم فأحبوها وتواردوا اليها . فلما اشهرت الحرب على تريفون مع زوجها جمعت جيشاً كبيراً ولم يبقَ مع تريفون الا نفر يسير . فتعقب انطيوخوس السابع السيديتي (Sidetes) تريفون في سورية الشمالية فانطلق الى دورة في ساحل فلسطين . فنزل انطيوخوس على دورة وأحاط بها وضايقها من البحر . فركب تريفون سفينة وفرّ بها الى عرطوس عند مصب نهر البارد . فتعقبه انطيوخوس ففرّ الى ابامية وفيها انتحر[2] .

وما ان استتب الامر لانطيوخوس السابع على هذا الوجه حتى طالب سمعان المكابي بالجزية عن يافة وجازر والقلعة التي باوروشليم . وهذه المدن والقلعة كانت في عرف انطيوخوس في خارج تخوم اليهودية غير خاضعة شرعاً لسمعان وحكومته . فأجاب سمعان: « انّا لم نأخذ ارضاً لغريب ولم نستولِ على شيءٍ لاجنبي ولكنه ميراث آبائنا الذي كان اعداؤنا قد استولوا عليه ظلماً »[3] . ففوّض انطيوخوس كندوباوس ان يزحف على اليهودية . فكانت موقعة في سهل مودين انكسر فيها كندوباوس وعاد الى سيده . وبعد ذلك بسنوات ثلاث اي في اوائل السنة ١٣٤ اغتال بطلميوس عمّه سمعان طمعاً بالسلطة وكتب الى انطيوخوس ان يوجه اليه جيشاً لنُصرته . فانتهز انطيوخوس هذه الفرصة واستولى على يافة وجازر وغيرهما وحاصر اوروشليم سنة كاملة (١٣٣ — ١٣٢) ودخلها ظافراً . ولم يصغ لمشورة المتطرفين من رجال حاشيته الذين رغبوا في القضاء على اليهود بل اعتدل ففرض غرامة حربية وجزية عن المدن والاراضي التي كانت تقع خارج تخوم اليهودية . وبعد ان دك حصون اوروشليم استصحب معه اخا الكاهن الاعظم رهينة[4] .

وأبدى انطيوخوس السابع منذ البداية مقدرة في تسيير شؤون الدولة وحزماً في السهر على سلامتها . فلما قُدر له ان ينتصر على تريفون والمكابيين تاقت نفسه الى بسط سلطانه على الولايات الشرعية فعبر الفرات في السنة ١٣٠ وهزم البرثيين عند الزاب واكرههم

---

(1) سفر المكابيين الاول ١٥ : ٥ — ٩ Appien, *Syr.*, 68; Antiq., XIII, 223 f.

(2) Strab., 668; Frontin, II, 13, 2; Antiq., XIII, 224.

(3) سفر المكابيين الاول ١٥ : ٢٨ — ٣٥

(4) Bevan, E., *Syria* etc., *Cam. Anc. Hist.*, VIII, 529-530; Abel, F., *Hist.*, *Palest.*, I, 206-208.

على التراجع الى فارس . ثم استأنف الحرب في السنة ١٢٩ ودخل مادي وفارس فتراجع البرثيون الى بلادهم . وأقبل الشتاء فتوقفت الاعمال الحربية فاستقر انطيوخوس في اقبطنة ووزع جنوده على المدن والقرى المجاورة . فاستثقل السكان هذا الاحتلال وغضبوا لكرامتهم من تصرف الضباط السوريين والجنود . وعلم فرآتس الثاني (Phraates) ملك البرث بذلك فدبر مكيدة كبرى وفاجأ انطيوخوس بهجوم خاطف فقضى عليه وعلى جنوده وارسل جثته في تابوت من الفضة الى سورية[1] .

ديمتريوس الثاني : (١٢٩ — ١٢٥) وكان فرآتس الثاني قد أعتق ديمتريوس الثاني منذ السنة ١٣٠ ليطالب بالعرش السلوقي فيُلهي انطيوخوس اخاه عن متابعة الحرب . فوصل الى سورية بعد وفاة اخيه وتسلم زمام الحكم فيها . فشق ذلك على زوجته الاولى كليوبترة فخرجت من سلوقية التي على مصب العاصي وامتنعت في عكة . ولم ترضَ الاوساط السورية العالية عن عودة ديمتريوس الى الحكم لتكبره وانتفاخه وقسوته ولانه كان قد جارى البرثيين في عاداتهم فالتحى[2] !

وأحب ديمتريوس ان يتدخل في النزاع بين بطلميوس السابع وكليوبترة الثانية (والدة كليوبترة ثية زوجته الاولى) ليدفع بذلك طمع بطلميوس بسورية الجنوبية . فسار بجيش الى مصر . وما ان وصل الى بيلوسيوم حتى تمرد عليه الجند ممتنعين عن متابعة السير . وكان بطلميوس السابع قد اتصل بالاوساط السياسية في انطاكية وابامية وحرضها على ديمتريوس. فلما قام ديمتريوس الى مصر ثارت انطاكية وابامية عليه وطلبتا الى بطلميوس ان يبعث بامير سلوقي يأتمنه فلم يجد . فجعل ابن التاجر المصري بروتارخوس (Protarchos) يدعي انه ابن اسكندر بالاس وانفذه الى انطاكية على رأس قوة عسكرية . فدخلها آمناً واطلق على نفسه الاسم اسكندر الثاني (١٢٨) . اما الانطاكيون فانهم قبلوا به ولكنهم سمّوه زبيناس (Zebinas) اي الملك « المشترى »[3] . وعاد ديمتريوس الى سورية ليؤمن مصالحه ويدافع عن عرشه . وتلاقى الملكان عند دمشق فتغلب اسكندر الثاني على ديمتريوس الثاني . فالتجأ ديمتريوس الى عكة ليحتمي بها ولكن زوجته الاولى منعته عن الدخول اليها . فقام الى صور فمنعته هذه ايضاً عن الدخول . فحاول الفرار بحراً (١٢٦ — ١٢٥) فوقع في يد اعدائه فعذبوه في صور ثم قتلوه[4] .

(1) Antiq., XIII, 249-253; Diod., XXXIV, 17; Bouché-Leclercq, *Hist. Séleuc.*, 379-384.
(2) Babelon, E., *Rois de Syrie* etc., 146 f.
(3) Justin, XXXIX, 1, 4-5; Bouché-Leclercq, *Hist. Séleuc.*, II, 77.
(4) Justin, XXXIX, 1, 7-8; Appien, *Syr.*, 68; Liv., *Epit.*, 60; Antiq., XIII, 267-269.

وقدر اسكندر الثاني هذا الموقف الذي وقفته صور فمنحها استقلالاً ذاتياً فظهرت مسكوكاتها تحمل رأس هرقيل ملكارت بدلاً من رأس الملك السلوقي. وظهرت مسكوكات عكة في هذا الوقت نفسه (١٢٥) حاملة رأس كليوبترة « الملكة الآلهة » . وكانت كليوبترة لا تزال تحلم بالملك فاشركت معها في ملكها هذا في السنة ١٢٥ ابنها انطيوخوس لزوجها ديمتريوس الثاني الذي عرف فيما بعد باللقب Grypos اي ذي الانف الاقنى .

انطيوخوس الثامن وانطيوخوس التاسع : (١٢٥ — ٩٥) ومال بطلميوس السابع الى ذي الانف الاقنى وازوجه من ابنته كليوبترة تريفونة (Tryphoena) فابتعد السوريون عن اسكندر الثاني « زبيناس » . ثم خرق زبيناس حرمة هيكل زفس في دفنة فأخذ ما فيه من فضة وذهب ليدفع جماكيات جنوده المرتزقة فثار الانطاكيون عليه فوقع في يد انطيوخوس الثامن فأمر بقتله (١٢٣ — ١٢٢) .

ثم فضّلت كليوبترة ابنها انطيوخوس لزوجها انطيوخوس السيديتي (Sidetes) على ابنها انطيوخوس الثامن . فتتبع انطيوخوس الثامن أنفه الاقنى وتشمم خبث والدته وانها تترصد قتله كما قتلت اخاه سلوقوس الخامس . فلما عاد من صيده ذات يوم قدمت له والدته كأساً من الشراب المسموم فتيقظ فأقسم الا يشرب منه الا بعدها فشربت ضرورة فماتت في السنة ١٢١ .

وصفا الجو لانطيوخوس الثامن فاتخذ لقب Epiphanes واكرم هياكل ذلوس وخص هيكل ذيونيسوس في اثينة بالعطايا والهدايا ليذكّر الاثينيين بالسنوات التي قضاها بينهم يتلقى علومه عن اساتذتهم فخلدوا ذكره بتمثال من الرخام اقاموه له بالقرب من هيكل ذيونيسوس[١] .

وكانت كليوبترة ثية تخاف على ابنها انطيوخوس لزوجها انطيوخوس السيديتي فارسلته الى كيزيكوس (Cyzicos) عند بحر مرمرا لتبعده عن الارتباك والخلل الطارئين في البلاد السورية . ولم يكن انطيوخوس هذا ممن يهتم بالسياسة بل كان يحب الانفراد والاعتزال . غير انه لما توفيت والدته مالت افكاره للحوادث الجارية فبدأ يتدبر توصلاً للعرش . فتزوج كليوبترة الرابعة امرأة بطلميوس الثامن واخته المطلقة منه . واتخذ لنفسه لقب (Philopator) اي « المحب والده » وجمع جنداً في كيزيكوس وزحف بهم على انطاكية (١١٧) . فأيده سكانها واطلقوا عليه لقب « الكيزيكي » وفرّ ذو الانف الاقنى الى اسبندوس في

(1) *Orientis Graeci Inscriptiones Selectae*, 258-260; *Bulletin Corresp. Héllén.*, 1915, 27-32.

بامفيلية . وبعد ان قضى ذو الانف مدة من الزمن يستعد فيها للقتال عاد الى سورية واحتل انطاكية . وكان الكيزيكي قد ترك زوجته فيها فلما استولى ذو الانف على انطاكية التجأت زوجة الكيزيكي الى احد المعابد في دفنه . فلم تمد الجيوش اليها يداً لان ذا الانف أمرهم الا يفعلوا . غير ان امرأته شقيقتها دخلت المعبد وقتلت اختها . ثم احتشد الاثنان جنوداً وجرداها للقتال فانتصر الكيزيكي انتصاراً تاماً في السنة ١١١ فقتل اخت زوجته انتقاماً . وبعد ذلك بقليل تخابر الانطيوخسان فتوافقا على اقتسام البلاد فحكم الكيزيكي فينيقية وسورية الجنوبية واستولى ذو الانف على سورية الشمالية[١] .

واتخذ انطيوخوس التاسع الكيزيكي دمشق عاصمة له وأقام فيها حتى اشتهر امره وعظم شأنه[٢] . وكان اليهود في اثناء هذه الحروب والفتن قد اضمروا العداوة لجميع السلوقيين على السواء مداهنين ومخادعين ومراوغين . وكان يوحنا هركانوس زعيم اليهود قد زحف على السامرة وحاصرها . فعبّى الكيزيكي جيشاً كثيفاً وزحف به في السنة ١٠٨ على يوحنا ليرده عن السامرة ولكنه اخفق . فبعث يلتمس النجدة من بطلميوس الثامن . فأنجده صاحب مصر بستة الاف مقاتل ففرقهم الكيزيكي فرقاً وبدأ ينهب القرى والمزارع في اليهودية . واستولى على يافة وجازر . اما هركانوس فانه بعد ان اخذ السامرة عنوة ودك حصونها تقدم نحو الشمال فرشا احد قادة الكيزيكي واحتل بيسان . وتدخلت رومة فعاد الكيزيكي عن فتوحاته في اليهودية[٣] .

وكانت مصر قد بدأت بالانقسام والشقاق مجاراة لسورية جارتها وكان بطلميوس الثامن قد فرّ الى قبرص وحل محله اخوه بطلميوس التاسع فلما تعرض اليهود للمدن اليونانية في ساحل فلسطين استنجد سكان هذه المدن ببطلميوس الثامن . فلبى بطلميوس النداء ونزل في عكة . فأنفذ اخوه بطلميوس التاسع جيشاً الى فاسطين لمساعدة اليهود وارسل اخته سيلانة (Selene) في السنة ١٠٢ الى ذي الانف الاقنى الى انطاكية مزودة بالرجال والمال[٤] .

وتزوج ذو الانف من سيلانة في السنة ١٠٢ . ثم طمع وزير دفاعه هيراكليون (Heracleon) بالملك فقتل سيده في السنة ٩٦ ثم فرّ الى سورية الشمالية الشرقية الى حلب

---

(1) Wilcken, U., *Real-Enc.*, I, 2480-2484; Bouché-Leclercq, A., *Hist. Séleuc.*, I, 402-406.

(2) Babelon, E., *Rois de Syrie*, 161.

(3) Bevan, E., *House of Seleucus*, II, 256, 303.

(4) Abel, F., *Hist.*, *Palest.*, I, 226-229.

مسقط رأسه (Beroea) ومنبج (Hierapolis) وتل حراق (Heraclea) واسس لنفسه امارة مستقلة[1].

وخلّف « ذو الانف » انطيوخوس الثامن خمسة بنين سلوقوس وانطيوخوس وفيليبوس وديمتريوس وانطيوخوس . ولما رأى انطيوخوس التاسع « الكيزيكي » ان اخاه لامه كليوبترة قد مات وان انطاكية قد خلت ممن يملكها دخل اليها بغتةً واستولى عليها . غير ان ابناء اخيه ذي الانف قاتلوه قتالاً شديداً حتى اخذه احدهم سلوقوس اسيراً وقتله بثأر ابيه (٩٥) . وجاء في رواية اخرى ان حصانه جنح به الى صفوف اعدائه فانتحر قبل ان يقع اسيراً[2] .

استقلال المدن : وأدى هذا الشقاق والتناحر بين السلوقيين الى تسابق في استرضاء كبريات المدن في ساحل مملكتهم وداخلها . وكانت صور قد وصلت الى الاستقلال في ادارة شؤونها في السنة ١٢٥ لمناسبة امتناعها عن قبول ديمتريوس الثاني داخل اسوارها . وظفرت بانياس (Balania) الساحلية بهذا الامتياز نفسه في السنة ١٢٤ . ويستدل من مسكوكات صيدا انها تحررت بهذا الشكل في السنة ١١١ وان ذا الانف الاقنى أنعم على سلوقية التي على مصب العاصي باستقلال ذاتي في السنة ١٠٨ . ثم استقلت طرابلس في السنة ١٠٥ وعسقلان في السنة ١٠٤[3] .

الامراء الوطنيون واللقب « ملك » : وتوفي يوحنا هيركانوس عاهل اليهود في السنة ١٠٤ فخلفه ابنه اريستوبولوس فاتخذ لنفسه لقب ملك . وجارى الانباط اليهود في السياسة والحرب . وكانوا قد بسطوا نفوذهم على جميع شرقي الاردن حتى حوران . فلما اعلن اريستوبولوس نفسه ملكاً جاراه في ذلك الحارث الثاني صاحب البتراء ذو الاولاد الذكور السبع مئة[4] . وجرى مثل هذا تماماً في قوموجينة (Commagene) عند حدود ارمينية[5] .

حرب اهلية في مصر : ومات بطلميوس السادس « محب والدته » في السنة ١٤٥ وخلف ولداً طفلاً . فأسرع بطلميوس السابع من قيرونة وقتل ابن اخيه الطفل وتزوج

---

(1) Strab., XVI, 751.

(2) Bevan, E., *House of Seleucus*, II, 259, 304.

(3) Head, *Hist. Num.*, 659, 673, 675, 679; Rouvier, *J. As.*, 1898, 26.

(4) Just., XXXIX, 5, 5-6; Schurer, E., *Gesch. des Judischen Volkes*, I, 728 f.

(5) Babelon, E., *Rois de Syrie*, 207.

من ارملة اخيه ووالدة هذا الطفل كليوبترة الثانية فقبض على زمام الامور وحده . ولكنه ما لبث ان تزوج من اخت الطفل المقتول كليوبترة الثالثة . فشق على كليوبترة الثانية ان تشاطرها التـــاج بنت صغيرة . فاثارت سكان العاصمة على زوجها الجديد فاضطر بطلميوس السابع ان يفر الى قبرص . وكان قد رزق طفلاً ذكراً من كليوبترة الثانية فلما وصل الى قبرص قتل ابنه هذا بطلميوس الممفيتي (Memphites) وقطعه ارباً وارسله « هدية » الى والدته في الاسكندرية . ثم قُدر له ان يعود الى الحكم في عاصمته في السنة ١٢٩ ففرت كليوبترة الثانية والتجأت الى انطاكية . ثم تفاهم الزوجان فعادت كليوبترة الى الاسكندرية في السنة ١٢٤ . وشكا سكان العاصمة الملك الى رومة . فنظرت رومة في هذه الشكوى ولكنها لم تتخذ اي قرار بحق بطلميوس السابع . ودرس بطلميوس اسباب هذه الشكوى بشيء من الحكمة والدراية فأصدر في السنة ١١٨ حلاً لبعض المشاكل الداخلية التي كانت قد نشأت عن الاختلاف بينه وبين زوجته[1] .

ثم توفي بطلميوس السابع في السنة ١١٦ فطمعت زوجته كليوبترة الثالثة في ممارسة السلطة ففضلت ابنها الاصغر بطلميوس التاسع على ابنها الاكبر بطلميوس الثامن . فادعت ان بكرها حاول اغتيالها فاثارت الرعاع عليه فاضطر ان يفر الى قبرص في السنة ١٠٧ . فتناحر الاخان وتنازعا . وتعظمت كليوبترة الثالثة وتغطرست واستبدت بالامر فشق ذلك على ابنها بطلميوس التاسع فأمر بقتلها في السنة ١٠١ . وكان اخوه بطلميوس الثامن لا يزال يتعقبه بنظره من قبرص . فلما علم بهذا الاثم استغله لصالحه فأثار الاوساط الشعبية في الاسكندرية ضد اخيه . فكثر الشغب في الاسكندرية واشتد ضغط الشعب على بطلميوس التاسع في السنة ٨٩ حتى اضطره الى مغادرة العاصمة . وحاول العودة في السنة التالية ولجأ الى القوة فسقط قتيلاً .

وكان بطلميوس السابع قد أوصى بقيرونة الى ابنه ابيون (Apion) غير الشرعي . فحكمها مستقلاً عن مصر حتى وفاته في السنة ٩٦ . وظل ابيون عاقراً حتى آخر حياته . فلما حضرته الوفاة أوصى بحقه في الملك الى رومة . فتردد مجلسها في قبول هذه الهبة ثم ما لبث ان قبلها في السنة ٧٤ فجعل من قيرونة ولاية رومانية .

سلوقوس السادس وانطيوخوس العاشر : وما كاد سلوقوس السادس ينتصر في السنة ٩٥ على انطيوخوس التاسع الكيزيكي حتى ضارعه انطيوخوس العاشر ابن انطيوخوس

(1) Bevan, E., *Hist. Lagides*, 355-359.

التاسع . واتخذ انطيوخوس العاشر لقب « التقي الذي يحب والده » Eusebes Philopator وتزوج من سيلانة زوجة والده وعزم على اخذ ثأر ابيه . فانتشبت لذلك حرب هائلة كان النصر فيها لافسيبس التقي . اما سلوقوس السادس ففر هارباً الى قيليقية واستقر في موبسوستة (Mopsu-Hestia) وجعلها عاصمة لملكه . ودعا سلوقوس للتجند فلم يلبه الا القليلون . فأمر بضرب جزية على الشعب ليكثر ماله ويستأجر محاربين غرباء . ثم أمر بضبط الاملاك . فحنق الاهلون واحاطوا بقصره فأحرقوه فمات في السنة ٩٥ . فنهض انطيوخوس الحادي عشر (Epiphanes Philadelphos) وفيليبوس شقيقاه واستأجرا جيشاً من الرعاع الذين اتوا سورية اثناء الاحتلال للنهب والسلب وسارا بهم لقتال اهل موبسوستة الذين قاموا على اخيهما . فأخذاها وقتلا كثيراً من اهلها واباحا نهبها . ولما نجزا منها وعلما بما هما عليه من شدة البأس زحفا بالجنود عبر الامانوس وقاتلا افسيبس في جوار انطاكية . فدارت الدائرة عليهما وغرق انطيوخوس الحادي عشر في العاصي . ولعلهما كانا توأمين فانهما اتخذا لقب ملك في آن واحد وظهرا معاً على مسكوكاتهما .

وكان اخوهما الاصغر ديمتريوس الثالث قد استعان ببطلميوس الثامن الذي كان آنئذٍ بعيداً عن الحكم ملتجئاً الى قبرص (١٠٨ ــ ٨٨) فأنجده هذا بالمال والرجال ودخل ديمتّريوس سورية واستقرّ في دمشق متخذاً لقب (Theos Philopator Soter) مانحاً دمشق لقب ديمترية . وقد عرفه الجمهور باللقب (Eukairos) ومعناه المحظوظ . فتقسمت سورية في هذه الفترة (٩٥ ــ ٩٣) الى مملكات ثلاث مملكة لفيليبوس في الشمال ومملكة لديمتريوس في الجنوب ومملكة ثالثة لانطيوخوس العاشر بين الاثنتين .

وتنازع الاخان فيليبوس وديمتريوس في السنة ٨٨ . وكان فيليبوس عند صديقه وحليفه ستراتو صاحب حلب . ففاجأهما ديمتريوس بحصار عنيف . فاستنجد ستراتو بالعزيز العربي وبميترادانس حاكم العراق . فاعاناه بجيش قوي وحصرا ديمتريوس وجيشه وقطعا عنه المياه . فاستسلم ديمتريوس ونقل اسيراً الى فارس وتوفي فيها . فعاد فيليبوس الى انطاكية . ولكن اخاه الاصغر انطيوخوس الثاني عشر الذي اتخذ اللقب (Dionysos Epiphanes Philopator Kallinikos) كان قد دخل هذا المعترك واستقر في دمشق في السنة ٨٥ وارثاً ملك اخيه ديمتريوس مطالباً ايضاً بتاج سورية . فبات فيليبوس يترقب الفرص للإيقاع بانطيوخوس والتخلص منه . فلما خرج انطيوخوس لمحاربة الانباط انقضّ فيليبوس على دمشق . ولما وصل اليها فتح ميليسيوس (Milesios) محافظها ابوابها وادخل فيليبوس اليها . ثم ما لبث ان استغل خروج فيليبوس منها لمشاهدة سباق الخيل في الهيبوذروم خارجها فأقفل

ابوابها بوجهه وصده عنها . وعاد انطيوخوس الى مكافحة الانباط . فرأى ان يضربهم في الجنوب قبل الشمال . فسار الى الساحل الفلسطيني وحاول العبور منه الى غور الاردن فشرقيه . ولكن اليهود منعوه فذلل الصعاب التي اقاموها في وجهه ووصل في مكافحة الانباط الى موئتة . فلقي حتفه فيها في السنة ٨٤ على غير قصد . فأتاح بذلك لربئيل الاول ملك الانباط ان يفاخر بنصر لم يتوقعه[١] .

اشتداد شوكة الأنباط : وعمّ الاضطراب واشتـــد الارتباك في مملكة السلوقيين فتسربت من حدود البادية عشائر جديدة شدّت أزر القبائل النبطية التي قويت شوكتها وامتدّ نفوذها احياناً حتى اطراف سورية وفينيقيـــة وفلسطين . وفرضت هذه العشائر الاتاوة على التجار وابناء السبيل واستقر زعماؤهم في بعض الاماكن فأسسوا امارات مستقلة في كل شيء تقريباً ما عدا حق الملك القانوني الذي بقي للسلوقيين حتى مجيء الارمن فالروماني . واشهر هذه الامارات الرها في الشمال والرستن وحمص في وادي العاصي وخلقيص (مجدل عنجر) في البقاع ووادي بردى وتلال لبنان الشمالية والساحل البحري من البترون حتى طرابلس وعكار والادوميريون والفسيريون وبنو بيان في برية اليهودية . واشهر رجالات هذه الامارات في هـــذه الفترة التي نحن بصددها معن الاول وابجر الاول في الرها وشمسي جرم ويمبليخ في الرستن وحمص وبطلميوس ابن مناوس في البقاع ووادي بردى وذيونيسوس في طرابلس[٢] .

الحارث الثالث في دمشق : ويرى رجال الاختصاص ان بطلميوس ابن مناوس صاحب مجدل عنجر فرض سلطته في هذه المدة التي نحن بصددها على الجليل وحوران ووادي بردى والبقاع والساحل اللبناني ولاسيما البترون ورأس الشقعة (Theouprosopon) وانه انشأ القلاع في تلال لبنان الشمالية في جيغورتة وسنان وبورومة فوق جبيل والبترون وان شعبه في الجليل قاوموا اليهود فلم يقووا عليهم فدخلوا في دينهم فقدموا للنصرانية فيما بعد معظم الرسل تلاميذ السيد المسيح[٣] . ومما يقوله العلماء الباحثون ان دمشق بعد وفاة انطيوخوس الثاني عشر خشيت طمع بطلميوس وعشائره العيطوريين كما افزعها جشع اليهود وتصلفهم فدعت الحارث الثالث ملك الانباط ليتولى امورها . فجاءها الحارث في السنة ٨٤ وتسلم زمام امورها متخذاً لقب ملك سورية السفلى ودمشق[٤] .

(1) Kammerer, A., *Petra*, I, 152-153.
(2) Kammerer, A., *Petra*, I, 153-155; Strab., XVI, 755, 759; XIV, 669.
(3) Bevan, E., *House of Seleucus*, II, 256, Note 10.
(4) Antiq., XIII, 15, 2.

فتح ارمني : وقويت شوكة ملوك البونط في شمالي آسية الصغرى وامتد سلطانهم واتسع ملكهم حتى شمل في السنة ٨٨ معظم آسية الصغرى . ثم عبر متريداتس ملكهم « العظيم » المضائق ففرض سلطته في السنة ٨٧ على تراقية وجزء من مقدونية وبلاد اليونان[١] . وكان تيغرانس (Tigranes) ملك الارمن قد وطد اركان حكمه في الداخل ووحد صفوف الارمن ووسع حدود مملكته على حساب البرثيين وضم العراق الى ملكه . وفي السنة ٨٣ اتجهت انظار هذا الملك الطامح نحو سورية . فسير جيشاً قوياً عليها وتمكن من احتلال عاصمتها انطاكية . ولم يبدِ السوريون اية مقاومة لانهم كانوا قد سئموا تناحر السلوقيين وفتنتهم . ففرض تيغرانس سلطته على جميع سورية الشمالية ما عدا بعض مدنها الساحلية كسلوقية التي على مصب العاصي وعكة حصن الملكة سيلانة زوجة انطيوخوس العاشر . ولا نعلم بالضبط ماذا جرى لانطيوخوس العاشر « الملك التقي المحب لوالده » ولفيليبوس مناظره في انطاكية . فقد جاء في احد المراجع الاولية ان تيغرانس اكرهه على الخروج من سورية[٢] وجاء في مرجع آخر انه كان قد التجأ الى بلاط البرثيين قبل الفتح الارمني ببضع سنوات[٣] . ويقول يوسيفوس المؤرخ ان انطيوخوس العاشر مات موت الابطال محارباً البرثيين مدافعاً عن حقوق لاوذيقة الملكة[٤] .

واذا كنا لا نعلم ماذا جرى لانطيوخوس العاشر في آخر ايامه فان شيشرون ينبئنا ان اولاده التجأوا الى رومة وان رومة اعترفت بحقهم في الملك فاعتبرتهم في السنة ٧٥ ملوك سورية الشرعيين . ويضيف خطيب رومة المفوّه ان هؤلاء خرجوا من سورية الى رومة وعادوا الى سورية وانهم انفقوا بسخاء في اثناء اقامتهم في رومة الامر الذي يجعلنا نعتقد ان سلوقية التي على مصب العاصي آوتهم في اثناء محنتهم وامدتهم بالمال اللازم للمحافظة على هيبتهم وكرامتهم[٥] .

انطيوخوس الثالث عشر : وقدر لانطيوخوس الثالث عشر احد ابناء انطيوخوس العاشر ان يستولي على عرش اجداده قبل ان تصبح سورية ولاية رومانية . ففي السنة ٧٣ سار لوكيوس لوكلّوس (Lucius Lucullus) بجيش قوي الى الشرق ليعيد الى رومة ما اخذه منها متريداتس . فأوقع بملك البونط هزيمة كبرى عند كيزيكوس على شاطئ بحر مرمرا

(1) Plutarchus, *Sulla*, 24, 4; Valerius Max., IX, 2, Ext. 3.
(2) App., *Syr.*, 49, 70.
(3) Eus., I, 261.
(4) Joseph., *Arch.*, XIII, 371.
(5) Cicer., *Verr.*, Act. II, IV, 27 f.

ثم زحف توًا على البونط نفسها . ففر ميتريداتس في السنة ٦٩ الى ارمينية . فغزا لوكلوس ارمينية . وكان تيغرانس آنئذ منهمكاً في فرض سيطرته على مدن الساحل الفينيقي الفلسطيني ولاسيما عكة . وكانت عكة قد سقطت في يده وسيلانة قد امست اسيرته عندما علم بدخول الرومان الى مملكته في ارمينية . فأجلى قواته عن سورية وسار بجيشه نحو الشمال . وما لبث ان أمر بقتل اسيرته سيلانة في سلوقية التي على الفرات[١] .

وما كاد تيغرانس يخلي سورية حتى أطلّ انطيوخوس الثالث عشر مرشح رومة لعرش انطاكية . فاستقبله الانطاكيون استقبالاً حارًا واعترفوا بسلطته . فاتخذ لنفسه لقب (Asiaticus) لانه كان قد اقام مدة في آسية الصغرى[٢]. ويرى العلامة Ulrich Wilcken ان اللقب الذي اتخذه انطيوخوس الاخير كان لقب ابيه Eusebios . ثم ما لبث انطيوخوس الثالث عشر ان دخل في حرب عنيفة ضد العزيز احد زعماء الشمال فخسر جولته الاولى فثار بعض الانطاكيين عليه وارادوا خلعه . فعاد انطيوخوس الى عاصمته وتمكن من تأديب هؤلاء . ففرّ بعضهم الى قيليقية وحرضوا احد ابناء فيليبوس السلوقي على المطالبة بالعرش . فنهض هذا الى سورية يناصر انطيوخوس . فأيد العزيز المرشح الجديد . فاستجار انطيوخوس بشمسي جرم صاحب الرستن وحمص . ونهض شمسي جرم بمجموعه الى انطاكية . وقبل وصوله اليها دعا انطيوخوس اليه للتداول معه في شؤون الحرب . وكان شمسي جرم قد اتفق والعزيز على ان يقضي كل منهما على مرشحه للملك وان يقتسما بعد ذلك الغنائم بينهما . ولبى انطيوخوس الثالث عشر دعوة حليفه العربي فألقى القبض وحفظه عنده اسيرًا . وكاد فيليبوس الثاني ابن فيليبوس الاول يقع في الفخ نفسه ولكنه وجد ريح هذا الفخ فأعرض والتجأ الى انطاكية[٣] .

وفي السنة ٦٤ وصل بومبيوس (Pompeius) الى سورية ليحل مشاكلها باسم رومة . فكتب اليه انطيوخوس الثالث عشر يرجوه ان يعيده الى العرش فرفض . وجاء في تاريخ يوسيبيوس ان انطاكية قدمت مبلغاً كبيرًا من المال الى بومبيوس راجية ان لا يوافق على عودة انطيوخوس الى العرش[٤] . وقد لا تكون رواية يوسيبيوس صادقة صحيحة

(1) Strab., XVI, 749; App., *Syr.*, 49.
(2) App., *Syr.*, 49.
(3) Diod., XL, 1 a, 1 b.
(4) Eus., I, 261.

ولكنها تعبر عن شعور كان قد عمّ الاوساط اليونانية العالية في المدن السورية بان الدخول في حماية رومة خير من الاستمرار في الفوضى[١] .

ودخلت سورية في حكم رومة في السنة ٦٤ . وقتل شمسي جرم انطيوخوس الثالث عشر . وفي السنة ٥٦ دعت الاسكندرية فيليبوس الثاني يتسنم عرش البطالسة ولكن الوالي الروماني على سورية أولوس غابينوس (Aulus Gabinius) منعه عن قبول هذه الدعوة . فانتهى بذلك ذكر السلوقيين[٢] .

آخر عهد البطالسة : وتوفي بطلميوس الثامن في السنة ٨٠ قبل الميلاد فتناحر بطلميوس العاشر وبرنيقية الرابعة زوجة والده بطلميوس التاسع . فتدخل سكان العاصمة في هذا النزاع وقضوا على حياة بطلميوس العاشر في اليوم التاسع عشر من ملكه . فانقطعت بوفاته سلالة الذكور البطالسة وتولى العرش بعده بطلميوس الحادي عشر ابن بطلميوس الثامن لاحدى خليلاته . وهو بطليموس « المطرب » (Auletes) او بطلميوس « النغل » (Nothos) على حد تعبير العامة او بطلميوس « الإله المحب لوالده واخيه » (Theos Philopator Philadelphus) كما جاء في النصوص الرسمية[٣].

واعترضت رومة على ولاية « النغل المطرب » وادعت ان بطلميوس العاشر اوصى بحقه في الملك الى رومة كما كان قد فعل اتلوس الثالث ملك برغامون وبطلميوس ابيون ملك قيرونة . واختلف الرومان انفسهم في امر التوسع في الشرق فقال كراسوس (Crassus) ورولوس (Rullus) بوجوب الاستيلاء على مصر وضمها الى الامبراطورية (٦٥—٦٤) — وكانا يمثلان الاوساط الديموقراطية — وقاوم ذلك شيشرون ممثل الارستوقراطيين في اثناء قنصليته (٦٣) . فنتج عن هذا الاختلاف في الرأي ان رومة لم تعترف بملكية النغل ولم تنكرها عليه . وبعد عشرين سنة من التردد قبل قيصر وبومبيوس رشوة مغرية من النغل المطرب واستصدرا له في السنة ٥٩ قرارًا بالاعتراف به ملكاً على مصر . وفي السنة ٥٨ قام مرقس كاتون (Marcus Caton) الى قبرص لينقل الى ملكها نص قرار آخر قضى بضم هذه الجزيرة الى الامبراطورية الرومانية . وعرضت رومة على صاحب قبرص في مقابل تنازله عن حقه في الجزيرة الاعتراف به كاهناً اعظم على هيكل افروذيقة في بافوس

(1) Bevan, E., *House of Seleucus*, 267.
(2) Strab., XVII, 796; Eus., I, 261; Kuhn, A., *Beitrage zur Gesch. der Seleukiden*.
(3) Breccia, E., *Bull. Soc. Arch. d'Alexandrie*, No. 24.

(Paphos) ولكن بطلميوس قبرص آثر الانتحار فنقل كاتون ثروته الى رومة . وما ان علم سكان الاسكندرية بما جرى في قبرص حتى القوا التبعة في ذلك على بطلميوس النغل المطرب واكرهوه على الخروج من عاصمته (٥٨) . فقام النغل الى رومة يرجو معونتها . فقابل كاتون في طريقه اليها وذل امامه بان قبل ان يجلس على كرسي مثقوب كان قد تعمد كاتون اجلاسه عليه . ونجح بطلميوس النغل في رومة فعاد الى الاسكندرية على رأس قوة رومانية (٥٥) وتربع في الحكم حتى وفاته في السنة ٥١[1] .

وخلّف النغل اربعة : كليوبترة السابعة الشهيرة وارسينوة وبطلميوسين صغيرين الثاني عشر والثالث عشر . واعيدت مأساة التناحر بين كليوبترة كبيرة اخوتها وبين اخيها بطلميوس الثاني عشر . وتدخل الاسكندريون الى جانب بطلميوس واكرهوا كليوبترة على الخروج من مصر . ولكنها ما لبثت ان عادت الى الملك بمعونة يوليوس قيصر الذي هبط مصر على رأس جيشه بعد موقعة فرسلوسة (Pharsalus) ثم تدخل الاسكندريون مرة ثانية (٤٨ — ٤٧) وحاصروا قيصر وحبيبته في القصر . فاستنجد قيصر بوالي سورية . فأنفذ هذا قوة بقيادة متراداتس البرغامي . فتمكن قيصر من اخماد الفتنة . وكان بطلميوس الثاني عشر قد اختفى في اثناء الاضطرابات فلما انجلى الموقف رقي عرش البطالسة الى جانب كليوبترة السابعة اخوها الاصغر بطلميوس الثالث عشر .

وكان ما كان من امر يوليوس قيصر ووفاته في السنة ٤٤ . فقتلت كليوبترة اخاها بطلميوس الثالث عشر وادعت ان قيصريون (Caesarion) هو ابنها لقيصر . وكان انطيونيوس احد رجال قيصر قد تسلم الشرق بموجب اتفاقية السنة ٤٠ . فلما جاء مصر فُتن بجمال كليوبترة ودلّهه حبها . فآثر الاقامة في الاسكندرية وانطاكية ومنهما حكم الشرق الى حدود الفرات . وطلّق زوجته اوكتافية واقام مع كليوبترة بأبهة شرقية واعاد الى مصر جزءًا من سورية وقيليقية وقبرص (٣٦) . فشاع في رومة ان كليوبترة تطمع في الوصول الى عرش ينشأ لها في رومة . فكانت موقعة اكثيوم (Actium) وكان حصار الاسكندرية (٣١) . وهجرت كليوبترة انطونيوس فانتحر وحذت هي ايضاً حذوه فانتحرت انفــة وكبرياء . وجعل اوكتافيانوس مصر في السنة ٣٠ بلاداً رومانية[2] .

---

(1) Bevan, E., *Hist. Lagides*, 388-398.
(2) Plut., *Aton.*, 77; Bevan, E., *Hist. Lagides*, 399-430.

محتويات الكتاب

انجزت المطبعة الكاثوليكية في بيروت
طبع هذا الكتاب في الخامس من
شهر آذار سنة ١٩٦٩

PUBLICATIONS DE L'UNIVERSITÉ LIBANAISE

SECTION DES ÉTUDES HISTORIQUES

XV

HISTOIRE DES GRECS

PHILIPPE DE MACÉDOINE - CONQUÊTE ROMAINE

PAR

Dr ASAD RUSTUM

(1897-1965)



BEYROUTH 1969